الجمهـــوريـــة الجـزائـــريـــة الديـــمقراطيـــة الشـــعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة الــتــعــلــيـــم الــعـــالـــــي و الـــبـــحـــث الـــعـــلـــمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique




## كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية

## قسم التاريخ وعلم الاثار

# *السلطة والنشاط الحرفي في الجزائر خلال فترة الدايات*
# *(1671 –1830م )*

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراة الطور الثالث (ل م د)

في التاريخ الحديث

إعداد الباحثة:

شريط إيمان

إشراف أ.د :

حمدادو بن أعمر

أعضاء لجنة المناقشة :

| | | | |
|---|---|---|---|
| أ.د. بن معمر محمد | أستاذ | جامعة وهران 1 | رئيسا |
| أ.د. حمدادو بن أعمر | أستاذ | جامعة وهران 1 | مشرفا و مقررا |
| د.ة. متاجر صورية | أستاذة محاضرة أ | جامعة سيدي بلعباس | مشرف مساعد |
| د. آيت حبوش حميد | أستاذة محاضرة أ | جامعة وهران 1 | مناقشا |
| د.ة. بوسعادة خيرة | أستاذة محاضرة أ | جامعة وهران 2 | مناقشا |
| أ.د. جعفري مبارك | أستاذ | جامعة أدرار | مناقشا |

السنة الجامعية:2020/2019م- 1441-1442 هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

## شكر و تقدير :

الشكر أولا لله عزوجل الذي جعلني أوفق في إتمام هذا العمل

الشكر إلى الوالدين حفظهما الله

الشكر إلى الأستاذ المشرف على هذا العمل حمدادو بن عمر،

الذي أمدني بالنصح والتوجيه من أجل إ خراج هذا العمل على اكمل وجه،

وفتح لنا مجال البحث في مشروع السلطة، الإقتصاد و المجتمع

في الجزائر خلال العهد العثماني 1519 -1830 م و كذا فريق التكوين المؤطر للمشروع.

كما أتقدم بالشكر إلى كل أساتذة القسم التاريخ جامعة وهران ، و كل أساتذتي بقسم التاريخ بجامعة

الجيلالي اليابس سيدي بلعباس

و لا يفوتنا توجيه شكرنا الخالص إلى القائمين على المكتبة الوطنية ، مركز الكراسك ، المكتبة المركزية

بوهران ....

كما أتقدم بشكري إلى كل من قدم لي فائدة و أعانني، وأخص بالذكر الأستاذ موساوي عبد الله،

الأستاذ رحموني عبد الجليل الذي ساعدني في الحصول على بعض الوثائق من الأرشيف التونسي

الأستاذة غراف هاجر و كل الزملاء

**شريط إيمان**

## إهداء

أهدي هذا العمل إلى :

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله

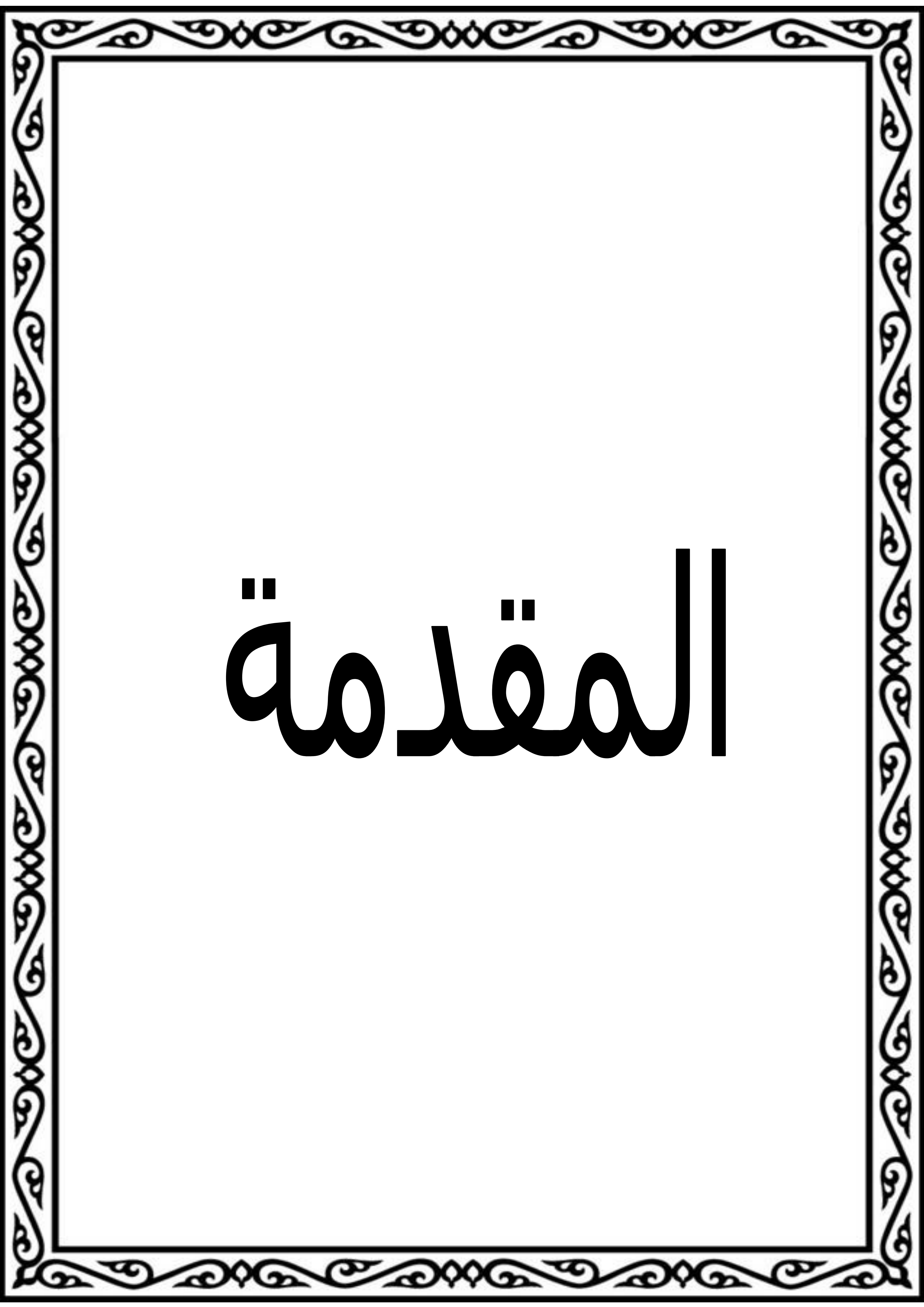
إلى زوجي و إبني " يونس آدم "

إلى كل عائلتي

# قائمة المختصرات :

| بالعربية | الدلالة |
|---|---|
| د.م.ج | ديوان المطبوعات الجامعية |
| ش.و.ن.ت | الشركة الوطنية للنشر و التوزيع |
| د.ت | دون تاريخ |
| د.ط | ون طبعة |
| د | التاريخ الهجري |
| م | التاريخ الميلادي |

| بالفرنسية | الدلالة |
|---|---|
| Ed | Edition |
| Op.cit | Retour au nom de l’auteur mentionné plus haut |
| R.A | Revue africaine |



# المقدمة

يتناول موضوع هذا البحث السلطة والنشاط الحرفي في الجزائر خلال مرحلة الدايات(1671-1830م)، حيث شهدت الجزائر خلال هذه الفترة وجود العديد من الأنشطة الإقتصادية، التي كان لها دورا في خدمة السكان والإقتصاد، الذي يعد العصب الحيوي لإيالة الجزائر، وبما أن النشاط الحرفي يعد إحدى العناصر الأساسية لإقتصاد الجزائر خلال فترة الدايات لما له من دور كبير في توفير مختلف المنتوجات والخدمات للسكان والمداخيل المالية للسلطة السياسية، وبحكم إنتشار النشاط الحرفي في مختلف مناطق البلاد وتنوع الأنشطة الحرفية والفئات التي إمتهنتها في المجتمع خلال هذه الفترة.

من هذا المنطلق إرتأينا البحث في موضوع السلطة والنشاط الحرفي في الجزائر خلال فترة الدايات، الذي يراد به تسليط الضوء على عنصر مهم من الإقتصاد وهو النشاط الحرفي وطريقة تنظيمه والعلاقة التي كانت تربطه بالسلطة السياسية، وعن ما إذا كان لهذه الأخيرة دورا في تنظيمه والإرتقاء به لخدمة إقتصاد إيالة الجزائر خلال فترة الدايات.

قد كان إختياري لموضوع السلطة والنشاط الحرفي في الجزائر خلال فترة الدايات(عائدا إلى عدة إعتبارات، منها رغبتي في البحث في تاريخ الجزائر الحديث من خلال المساهمة في دراسة إحدى المواضيع المتعلقة بالميدان الإقتصادي، وكذا رغبة مني في تعميق المعرفة العلمية بالموضوع، خاصة في ظل قلة الدراسات التي تعنى بالنشاط الحرفي في الجزائر خلال الفترة العثمانية عموما وفترة الدايات خاصة، فقلما نجد دراسات مستقلة حول هذا الموضوع، فجل الدراسات التي تعرضت للنشاط الحرفي كجزئية ضمن الدراسة العامة لإقتصاد إيالة الجزائر بإستثناء الدراسة التي قامت بها الباحثة عائشة غطاس الموسومة ب"الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830م.

فالهدف الأساسي الذي تتوخاه الدراسة، يتمثل في جمع وإستقصاء المادة التاريخية ذات الصلة بموضوع النشاط الحرفي في الجزائر خلال الفترة العثمانية، وذلك من خلال السعي للوقوف على ماكتب حول الموضوع، إضافة إلى دراسة مامدى صحة ماتداولته العديد من الكتابات الأجنبية حول أن النشاط الحرفي إفتقد إلى الإهتمام والتنظيم من قبل سكان الجزائر والسلطة السياسية وتبريرهم لذلك أن المجتمع الجزائري كان ريفيا بالدرجة الأولى ومهتما بالنشاط الزراعي، هذا إضافة عن دراسة طبيعة السلطة السياسية في الجزائر خلال فترة الدايات وعلاقتها بالنشاط الإقتصادي، إضافة دراسة طبيعة النشاطات الحرفية الموجودة في الجزائر وتنظيمها، وأهم العوامل التي أثرت على هذا النشاط خاصة في ظل التغيرات التي عرفتها فترة الدايات، إضافة إلى دراسة مدى مساهمة السلطة في تنظيم النشاط الحرفي وأهمية هذا الأخير وإنعكاساته على إقتصاد الجزائر.

لم يكن تحديد الفضاء الزمني(1671-1830م) إعتباطا، وإنما لأن فترة عهد الدايات تعد أطول فترة حكم عثماني بالجزائر،كما أنها فترة تزامنت مع فترة إنفصال الجزائر عن الدولة

العثمانية، وهو ماجعلها تختلف عن بقية الفترات السابقة، إذ خطى الدايات خطوة حاسمة في مجال تأكيد إستقلالهم عن الباب العالي حينما رفضوا التبعية المجسدة في الباشا المبعوث من طرف السلطان العثماني، وخلصنا إلى غاية 1830م وهي فترة نهاية التواجد العثماني بالجزائر والإحتلال الفرنسي.

وتتمثل إشكالية هذا البحث في دراسة طبيعة علاقة السلطة بالنشاط الحرفي، وعلى أي أساس قامت هذه العلاقة، بإعتبار أن هذا النشاط كان له دورا مهما في خدمة إقتصاد الإيالة الجزائرية خاصة في ظل التغيرات التي عرفتها مرحلة الدايات، ودوره في توفير المنتوجات والخدمات للسكان، وهل كان للسلطة السياسية دورا في تنظيم النشاط الحرفي والإرتقاء به إلى صناعات متطورة.

وهذه الإشكالية تمنحنا التعامل مع مجموعة من التساؤلات منها:

- ماهي مكونات السلطة السياسية في الجزائر خلال مرحلة الدايات؟ وبماذا تميز التنظيم السياسي؟

-ماهي أهم الأنشطة الحرفية التي مورست في الإيالة؟ وماهي أهم الفئات التي إمتهنتها؟.

- ورد في العديد المصادر الأجنبية أن النشاط الحرفي في الجزائر إفتقد إلى التنظيم، وبرروا ذلك بإهتمام سكان الإيالة بالنشاط الزراعي وإهمالهم لمختلف الأنشطة الإقتصادية الأخرى، ما موقع ذلك من الحقيقة التاريخية؟.

- ماطبيعة العلاقة بين السلطة والنشاط الحرفي؟ وعلى أي أساس قامت هذه العلاقة؟.

- كيف أثرت السلطة على النشاط الحرفي ومامدى مساهمتها في تنظيمه؟ وماهي أهم العوامل التي أثرت على النشاط الحرفي؟.

- مامدى مساهمة النشاط الحرفي في خدمة إقتصاد الإيالة؟ وهل إرتقى النشاط الحرفي في أواخر مرحلة الدايات إلى نشاطات صناعية تستخدم فيه وسائل متطورة على غرار ماحصل في أوربا؟

للإجابة على الإشكالية والتساؤلات المطروحة فقد إعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي،لوصف الأحداث والوقائع التاريخية كما وردت في مصادرها،كما إعتمدنا على المنهج التاريخي التحليلي لتحليل طريقة تنظيم النشاط الحرفي والعوامل التي أثرت عليه والعلاقة التي كانت تربطه بالسلطة، كما إعتمدنا عليه في تحليل المعطيات من نصوص وأقوال وردت في هذه الأطروحة.

وتضمن هذا الموضوع مدخل وثلاثة فصول، بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة التي جاءت عبارة عن حوصلة لأهم ماجاء في هذه الدراسة .

المدخل:خصصناه لدراسة الأوضاع العامة لإيالة الجزائر خلال مرحلة الدايات(1671-1830م)، حتى نتمكن من التعرف على التطورات السياسية، العسكرية، الإقتصادية، الإجتماعية والثقافية.

الفصل الأول والموسوم بالسلطة السياسية في الجزائر خلال مرحلة الدايات (1671-1830م)، والذي قسمناه إلى أربعة عناصر، العنصر الأول الذي جاء بعنوان "التأسيس وبداية مرحلة الدايات" قمنا فيه بالتعرض لنظام الدايات وإستقلالية إيالة الجزائر عن السلطة العثمانية، والمميزات العامة للسلطة السياسية خلال مرحلة الدايات، ثم تناولنا التنظيم الهيكلي للسلطة السياسية، ثم عرجنا بعد ذلك على التقسيم الإداري للجزائر خلال مرحلة السالفة الذكر، أما العنصر الأخير من هذا الفصل الذي جاء تحت عنوان "البايليكات والسلطة"، فتناولنا فيه التنظيم الإداري والسياسي للبايليكات وعلاقة الباي بالسلطة المركزية في العاصمة وبمختلف القبائل التابعة لبايلكه.

أما الفصل الثاني فخصصناه لدراسة تنظيم النشاط الحرفي خلال مرحلة الدايات(1671-1830م)، بحيث ذكرنا في بدايته التركيبة السكانية لفئة الحرفيين والحرف التي إختصت بها كل فئة، ثم ذكرنا أهم الأنشطة الحرفية والجماعات الحرفية، ولذلك من أجل إبراز التنظيم الذي ميز النشاط الحرفي في الإيالة، ثم تناولنا البنية التنظيمية للحرف والجماعات الحرفية، ومن ثم تحدثنا على أهم المواد الأولية المستخدمة في النشاط الحرفي من خلال تقديم نماذج عن أهم المواد الأولية المتوفرة في الإيالة، ثم عرجنا بعدها على طبيعة النشاط الحرفي عند المرأة ،وختمناه بالتطرق إلى أفراد الجيش والنشاط الحرفي، نظرا لما تميزت به هذه الفترة من حركة إنخراط أفراد الجيش البري في العديد من الأنشطة الحرفية.

كما خصصنا الفصل الثالث والأخير لدراسة شاملة حول علاقة السلطة السياسية بالنشاط الحرفي والذي قسمناه إلى ستة عناصر، العنصر الأول بعنوان"المؤسسات الحرفية والسلطة" وقمنا فيه بالتعرف إلى أهم المؤسسات الحرفية وطريقة تسييرها من قبل السلطة، أما العنصر الثاني فخصصناه لدراسة إنعكاسات الأوبئة والأمراض والكوارث الطبيعية، التي عرفتها البلاد خلال هذه المرحلة على النشاط الحرفي وسياسة السلطة إتجاهها، أما العنصر الثالث الذي عنوناه "السلطة ودورها في الفصل في النزاعات بين الحرفيين والجماعات الحرفية "، فتناولنا فيه أهمية ودور السلطة السياسية للفصل في النزاعات بين الحرفيين، وأعطينا نماذج حول العديد من النزاعات التي تحدث بين الحرفيين والجماعات الحرفية.

أما العنصرالرابع الذي عنوناه "النظام الضريبي والحرفيين"، فتناولنا فيه دراسة حول أنواع الضرائب التي فرضتها السلطة السياسية على الحرفيين والموظفين الذين عينتهم لجبايتها وطريقة إستخلاصها، أما العنصر الخامس فتناولنا فيه دور السلطة في تدعيم الحرف

العسكرية، إذ حاولنا فيه إظهار أهم الحرف العسكرية الموجودة في البلاد لما لها من أهمية على الجانب السياسي والعسكري.

أما العنصر السادس والذي ختمنا به الفصل فجاء بعنوان"إنعكاسات النشاط الحرفي على النشاط التجاري"، فحاولنا من خلاله التطرق إلى دور النشاط الحرفي في تنشيط حركة التجارة الداخلية والخارجية، وتوفير مختلف المنتوجات للرعية، إضافة إلى دور النشاط الحرفي في تسويق المنتوج المحلي إلى الخارج في إطار حركة التجارة الخارجية وإنعكاسات ذلك على الخزينة المالية للسلطة السياسية.

وفي النهاية ختمنا بحثنا بجملة من الإستنتاجات التي شملت فصوله الثلاثة وقادتنا إلى الإجابة على الإشكالية التي طرحناها في البداية، مع التأكيد على توسيع آفاق البحث في هذا الموضوع مستقبلا.

وبالنسبة للدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع نذكر منها :

- دراسة عائشة غطاس عنوانها "الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830م مقاربة إجتماعية إقتصادية" ، والتي عالجت من خلاله واقع النشاط الحرفي والجماعات الحرفية في مدينة الجزائر، من خلال تسليط الضوء على النشاط الحرفي والوضعية المادية للحرفيين.

- دراسة "المنور مروش" الموسومة ب "دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، العملة، الأسعار،المداخيل"، والتي سلط الضوء في جزء منها على عالم الحرف اليدوية والتجارية في الجزائر خلال الفترة العثمانية.

- دراسة "بن عتو بلبراوات" الموسومة ب" المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني" ،واالتي سلطت الضوء على مختلف الأنشطة الإقتصادية التي مارسها سكان الجزائر بما فيها النشاط الحرفي.

ولم يكن بوسعنا بلورة الموضوع وإتمام فصوله لولا توفر عددا من المصادر والمراجع الهامة التي إستنفدنا منها كثيرا والتي تم تصنيفها إلى :

- كتب الرحالة ومذكرات القناصل الأوروبيين، إذ وجدنا أثناء سير بحثنا أن كتب الأسرى والرحالة الأجانب الذين زاروا الجزائر خلال الفترة العثمانية أو مع بداية الإحتلال الفرنسي للجزائر، وكذلك مذكرات الشخصيات الرسمية والقناصل، فقد تطرقت إلى النشاط الحرفي في الجزائر خلال هذه الفترة، إذ بينت أهم الأنشطة الحرفية التي كانت تمارس في

الإيالة وطريقة ممارستها، وأهم المنتوجات الحرفية والمواد الأولية المتوفرة، وعلاقة السلطة بالرعية وحركة المبادلات التجارية على المستوى الداخلي والخارجي .

كما أمدتنا بمعلومات حول دور السلطة في تنظيم هذا النشاط من خلال بعض المحطات التي تضمنتها حول الضرائب المفروضة على الحرفيين، الأسواق والدكاكين بشكل يسّر لنا إنجاز هذا البحث، إلا أن المعلومات الواردة فيها كانت مبعثرة إضافة إلى تركيزها على مدينة الجزائر كعاصمة مركزية للإيالة وبعض المناطق الأخرى كبايلك الشرق، ومن هذه الكتب نذكر :

ـ "مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م" ، لوليام شالر، تعريب وتقديم وتعليق إسماعيل العربي.

ـ "مذكرات جزائرية عشية الإحتلال "لسيمون بفايفر، ترجمة، تقديم وتعليق أبو العيد دودو.

ـ "المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر 1790- 1830م"، للوسيت فالنسي، ترجمة إلياس مرقص.

ـ "قسنطينة أيام أحمد باي 1832- 1837م"، لفندلين شلوصر، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو.

ـ "ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا"، لهاينريش فون مالتسيان، ترجمة أبو العيد دودو

ـ "مذكرات أسير الداي كاثكارت، قنصل أمريكا في المغرب"لجيمس لياندر كاثكارث، ترجمة إسماعيل العربي.

- أما فيما يخص المصادر المحلية :وهي عبارة عن شهادات وروايات المعاصرين الذين عاشوا في الجزائر خلال الفترة العثمانية، بإعتبارها تحتوي على أخبار ومعلومات يسرت لنا بشكل كبير معرفة الأوضاع السائدة بالإيالة خلال مرحلة الدايات، إذ قدمت معلومات حول نظام الحكم وطبيعة السلطة السياسية في البلاد، إضافة إلى علاقة السلطة بالرعية في الأرياف والمدن والعديد من التطورات التي عرفتها البلاد خلال هذه المرحلة في الجانب السياسي والإقتصادي والذي ساعدنا بشكل أساسي في الموضوع.

إضافة إلى أن العديد منها إحتوت على معلومات مهمة حول مختلف الأنشطة الحرفية الموجودة وطريقة ممارستها، وأهم القوانين التي وضعتها السلطة لتنظيمها خاصة في المدن، ومن هذه المصادر نذكر:

ـ "المرآة" لحمدان بن عثمان خوجة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري أفادنا بالعديد من الحقائق حول السلطة السياسية في الجزائر خلال مرحلة الدايات، كما قدم العديد من المعلومات حول بعض الانشطة الحرفية و الموظفين الذين وضعتهم السلطة لتسيير هذا النشاط .

ـ "قانون أسواق مدينة الجزائر(1625-1705م) لعبد الله بن محمد الشويهد، و الذي أفادنا في التعرف على أهم الضرائب التي فرضتها السلطة على الحرفيين و أهم النزاعات التي تحصل بينهم و كيفية تدخل السلطة للفصل فيها .

ـ "مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر"، لأحمد الشريف الزهار الذي أفادنا في التعرف في العديد من الوقائع السياسية التي حصلت خلال مرحلة الدايات .

ـ "مجاعات قسنطينة" لمحمد الصالح إبن العنتري، تحقيق وتقديم رابح بونار الذي أمدنا بالمعلومات حول الأوبئة و الكوارث التي عرفتها الإيالة خلال هذه المرحلة .

ـ "فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة وإستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة" لإبن العنتري.

- المجلة الإفريقية: الناطقة باللغة الفرنسية والصادرة بالجزائر خلال الفترة الفرنسية، والتي إحتوت على مجموعة من المقالات المتفرقة عبر أعداد المجلة، والتي قدمت العديد من المعلومات التاريخية القيمة حول مرحلة الدايات.

ـ كتابات ناصر الدين سعيدوني والتي إحتوت على معلومات كثيرة حول فترة الدايات خاصة فيما يتعلق بالجانب الإقتصادي ومن كتبه نذكر على سبيل المثال:

ـ النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830م.

ـ دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني .

ـ دراسات في الملكية العقارية.

ـ كتابات محمد العربي الزبيري التي إحتوت هي الأخرى على معلومات هامة حول الأوضاع الإقتصادية للتجارة الداخلية والخارجية للإيالة، نذكر منها كتاب"التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة الممتدة مابين (1792-1830م).

إضافة إلى العديد من المراجع الأخرى نذكر منها:

ـ كتاب الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر لعائشة غطاس، والذي إحتوى على معلومات قيمة حول النشاط الحرفي، كتاب "دراسات عن الجزائر في العهد العثماني"ل المنور مروش والذي تطرق إلى أهم الحرف والصناعات الموجودة في الجزائر خلال الفترة العثمانية، كتاب "المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519(-1830م) لأرزقي شويتام والذي تطرق إلى التركيبة السكانية للمجتمع الجزائري والأنشطة الإقتصادية، التي كانوا يمارسونها إضافة إلى علاقة السكان بالسلطة.

ولقد واجهتنا صعوبات إعترضت سبيلنا في إنجاز هذه الأطروحة ،نذكر منها:

ـ قلة التأليف التاريخي حول النشاط الحرفي في مرحلة الدايات .

ـ صعوبة التحكم في الموضوع والمراجع بإعتباره موضوعا واسعا ومعلوماته مبعثرة في مختلف المصادر والمراجع، إذ قليلا ما نجد دراسات تخصصت في النشاط الحرفي خلال هذه المرحلة.

وما كانت هذه الدراسة لترى النور لولا إستنادا على مجموعة من الدراسات السابقة، وماهي إلا لبنة تضاف إلى سلسلة من الجهود المبذولة التي قام بها الباحثون لإزالة اللبس عن كثير من الجوانب المختلفة للإيالة الجزائرية خلال العهد العثماني .

وفي النهاية، نأمل أن يكون عملنا هذا مساهمة في خدمة البحث العلمي وأن يكون إثراء لمن يرغب في دراسة هذه المواضيع، أو على الأقل دافعا للتعمق في البحث والدراسات لمن أراد البحث في هذا الموضوع، كما نأمل أن تكون إضافة للمكتبة التاريخية الجزائرية.



# المدخل

# لمحة عن الأوضاع العامة للجزائر خلال فترة الدايات

**أولا: الأوضاع السياسية والإدارية والعسكرية**

تميزت الأوضاع السياسية والإدارية والعسكرية في الجزائر خلال مرحلة الدايات(1671-1830م)، بمجموعة من الخصائص التي ميزتها على الفترات التي سبقت إرتباط الجزائر بالدولة العثمانية.

**1- الأوضاع السياسية :**

تعتبر فترة حكم الدايات(1671-1830م) من أهم فترات تاريخ الجزائر الحديث، كونها مرحلة ذات خصائص ومميزات تختلف عن المراحل التي سبقتها إذ تعتبر آخر مرحلة إرتبطت فيها الجزائر بالدولة العثمانية، كما دخلت الجزائر مرحلة جديدة أصبحت فيها السلطة مستقلة عن الدولة العثمانية حيث تنازلت هذه الأخيرة عن تعيين حكام الجزائر، كما ذكرت بعض الكتابات التاريخية أن الجزائر كانت خلال هذه المرحلة مملكة.

في حين يمكن القول أن الجزائر خلال هذه المرحلة كانت تحكم بنظام خاص لم يعرف في أي بلد آخر، ميزته أنه يجمع مابين الصبغة المدنية والعسكرية، الصبغة المدنية تتجلى في أن الداي يتم إنتخابه من الديوان [1] ، فأغلب أعضاء الديوان كانوا منخرطين في الجيش[2]، ورغم هذا الإنفصال إلا أنه أبقى الدايات على منصب الباشا الشرفي لفترة من الوقت، حيث كان يعين السلطان العثماني باشا يجلس إلى جانب الداي دون أن يكون له حكم أو نفوذ في السلطة.

لكن بعد ذلك قاوم الدايات هذه الإزدواجية في السلطة واستطاع الجمع بين منصب الداي والباشا، وبذلك أصبح الداي هو نفسه الباشا بداية من سنة1123هـ/1711م عندما قام علي شاوش (1122-1130هـ) /(1710-1718م) بطرد المبعوث القادم من القسطنطينية إلى الجزائر سنة 1711م[3].

(1)- حمدان بن عثمان خوجة.المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، ش،و،ن،ت، ط2، الجزائر1982، ص127.
(2)- حمدان بن عثمان خوجة .المرآة، المصدر السابق ،ص127 .
(3)- عزيز سامح آلتر. الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية،تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989، ص 463.

أما عن الدور الذي يقوم به الدايات، فلخصه حمدان خوجة في قوله: "... ليس للداي سلطة غير الأمر بتطبيق القوانين المدنية والعسكرية والإشراف على حصون المدينة وتنظيم الجيوش ومراسلة القبائل المختلفة قصد التهدئة والمحافظة على الأمن وحماية القبائل من سائر أنواع الظلم..."(1).

لكن العديد من الدايات لم يتقيدوا بهذه المهام خاصة فيما يتعلق بشؤون الرعية، إذ كثيرا ما يحيدون عن هذه المبادئ، فكانوا يزرعون الفتن بين مختلف القبائل(2)، هذا ما يجعلنا نصنف نوعين من الحكام خلال مرحلة الدايات، النوع الأول منصرف الى الأعمال الخيرية، نجده يسخّر جميع الثروات لإنفاقها على الرعية ويعمل على القضاء على الفتن الداخلية كالداي محمد بن عثمان باشا (1178-1203 هـ) (1766-1791م)(3).

عرف عن هذا الداي بناءه للمسجد العتيق الذي يعد من أجمل المساجد في العاصمة وأكثرها زخرفة وبهاءا، وبناءه أبراج الجهاد والحصون لحماية مرسى مدينة الجزائر، وأثنى عليه أحمد الشريف الزهار في قوله: "... ومن خيراته أنه أتى بماء الحامة للبلاد... وبنى له ساقية وأوقف عليه أوقافا لخدمة مجر الماء أن فسد... وأمر بتفريقه على أبراج باب الجهاد وعلى المساجد والثكنات العسكرية..."(4).

أما الصنف الثاني من الدايات، فقد عرفوا بعدم قدرتهم على تسيير شؤون الدولة، لأن وصولهم إلى هذا المنصب كان عن طريق التمردات التي يقوم بها في الغالب الجيش الإنكشاري المطالب بزيادة الأجور، حيث تميز هذا الصنف من الدايات بالإسراف والتبذير

---

(1)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص125

(2)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، ص ص 55-56.

(3)- الداي محمد بن عثمان باشا: شخصية متعلمة انخرط في صفوف الأوجاق بمدينة الجزائر ثم ارتقى الى منصب خوجة، لحراسة القصر ثم ارتقى إلى منصب خزناجي، تميز عهده بالإستقرار وكثرة الإصلاحات تعتبر فترة حكمه من أطول فترات الحكم (1765م -1791) ،ينظر: حنيفي هلايلي. اوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى للطباعة والنشر، ط1، الجزائر، 2008، ص137.

(4)- أحمد الشريف الزهار: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب اشراف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980، ص ص 23-24.

كما كان العديد منهم يشتغلون في مهن وضيعة كمهنة الفحامين أو الإسكافيين أو الكناسين، مثل الداي علي الغسال الذي قيل بأنه كان يشتغل بغسل الأموات قبل 1220هـ/ 1808[1].

لذلك يمكن القول بأن منتصف القرن الثامن عشر ميلادي، عرف هدوءا واستقرار في الإيالة نتيجة للإنتعاش الإقتصادي الذي عرفته البلاد والذي إنعكس إيجابيا على نظام الحكم الذي عرف استقرارا ملحوظا، إذ عرفت الإيالة مابين(1160-1210هـ) ( 1748م-1798م) أي مدة خمسين سنة حوالي أربع دايات[2].

على العكس ماحدث في أوائل القرن التاسع عشر ميلادي الذي عرف إنهيار إقتصاديا ،مما تسبب في عدم الإستقرار في نظام الحكم[3]، خاصة الفترة الأخيرة (1203-1242هـ) ( 1791م-1830 م) التي عرفت إغتيال ستة دايات من قبل الجيش الإنكشاري. وهم الداي مصطفى باشا 1217هـ/ 1805م، الداي علي الغسال1221هـ/1809م، الداي علي باشا 1227هـ /1815م، الداي مصطفى باشا 1815، الداي عمر باشا 1229هـ / 1817م[4].

الملاحظ أن معظم حكام الجزائر خلال هذه المرحلة كانوا من الأتراك ،أي أن العنصر المحلي همش في الحكم، كما نلاحظ أيضا المخالفات التي يقوم بها الجيش الإنكشاري والتي تتضح جليا في المحاولات الإنقلابية والإغتيالات التي يتعرض لها الحكام هذا ما جعل حمدان خوجة يصف هذا الجيش خلال هذه مرحلة بقوله: "... صارت تلك الميليشيا المسلحة التي لا مبدأ لها، صارت ترتكب المخالفات ضد البدو والقبائل ثم قام هؤلاء البؤساء بإشعال الثروات وقلب قادة الدولة حسب هواهم..."[5].

---

(1)- حنيفي هلايلي. أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني،ط1 ،دار الهدى ،الجزائر ،2008، المرجع السابق، ص ص 137-138.

(2)- الأربع دايات هم: محمد بكبير داي 1748م-1754م، باب علي داي 1754م-1766م، داي محمد بن عثمان م1766-1791م، حسن داي 1791م-1798م، ينظر: حنيفي هلايلي. أوراق في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، المرجع السابق، ص21.

(3)- حنيفي هلايلي. أوراق في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص ص 21-22.

(4)- بن عتو بلبروات. المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه، جامعة وهران،2008، من ص112إلى ص 114.

(5)- حمدان بن عثمان خوجة،.المرآة ،المصدر السابق، ص149.

إضافة إلى الإضطرابات في جهاز الحكم، ظهرت العديد من الثورات في مختلف أنحاء الإيالة ومن هذه الثروات نذكر، ثورة درقاوة[1]، والمعروف أن الدرقاوي إنتصر على مصطفى العجمي باي وهران في موقعة فرطاسة سنة 1217هـ / 1805م[2]، ثورة ابن الأحرش قادها محمد بن عبد الله الشريف الملقب بـ "البودالي" في منطقة الشمال القسنطيني في عهد الداي مصطفى باشا ( 1210- 1217 هـ) (1798-1805م) الذي كلف عثمان باي قسنطينة بالقضاء على ابن الأحرش وأتباعه، لكن هذا الأخير تحالف مع مرابط في منطقة ميلة يدعى"الزبوشي"، وتمكن من القضاء على جيش عثمان باي وقتله في معركة واد الزهور سنة 1216 هـ / 1804م[3].

ثورة التيجانية، تنتسب هذه الثورة إلى محمد الكبير التيجاني، وكان لها أتباع كثيرون في الصحراء، كان مقرها بعين ماضي قرب الأغواط، ولما أحست السلطة بخطرها قام الحكام بإرسال العديد من الحملات العسكرية مابين سنوات (1199-1239هـ)(1787م إلى 1827م) ، وبعد تولي عثمان باي الحكم في بايلك الغرب قام بمحاصرة القرية سنة 1825م، انتهت هذه الثورة بإبرام الصلح مابين الطرفين[4].

لذلك يمكن القول بالرغم من البواعث الدينية لهذه الثورات، لأن أغلبها تبناها رجال الدين والطرق الصوفية، لكن نجد أن السياسة التي تبنتها السلطة إتجاه السكان كانت سببا أساسيا في ظهور هذه الثورات. إذ كان الأتراك العثمانيون اللذين يتولون الوظائف الحكومية يعتبرون أنفسهم سادة البلاد بدون منازع وأنهم أحق بها وبحكمها من أهلها[5].

---

(1)- تنتسب هذه الثورة إلى ابن عبد الله ابن الشريف الدرقاوي في ناحية وهران،كاتب العديد من القبائل من أجل القيام بثورة ضد السلطة وتحقق ذلك بالفعل وقاد ثورته المعروفة بثورة درقاوة، ينظر: مذكرات أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص ص 11-12 .

(2)- حنيفي هلايلي.أوراق في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 23.

(3)- محمد الصالح ابن العنتري. مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم رابح بونار، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974 ، ص ص32-34.

(4)- حنيفي هلايلي .أوراق في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص25.

(5)- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي. تاريخ الجزائر العام، ج3، د.م.ج، الجزائر، 1982، ص476.

## 2- الأوضاع الإدارية:

إن إرتباط الجزائر بالدولة العثمانية أدخلها في أنظمة مختلفة عن المرحلة التي سبقتها بما في ذلك الجانب الإداري، لذلك نقول أن التنظيم الإداري للجزائر خلال فترة الدايات سبق هذه الفترة إذ يعود إلى سنة 1519م، حين إلتحقت الجزائر رسميا بالسلطة العثمانية وعُين خير الدين حاكماعلى الجزائر ليصبح أول بيلربايا [1] .

قسمت الجزائر إلى أربع بايليكات، وهي دار السلطان ومقره مدينة الجزائر التي تعتبر عاصمة البلاد، بايلك الشرق مركزه قسنطينة، بايلك الغرب مركزه مازونة ثم معسكر ثم وهران، وبايلك تيطري مركزه المدية[2] .

وكان الداي هو الحاكم الأول للبلاد مهمته تطبيق القوانين المدنية والعسكرية وتنظيم الجيوش ومراسلة القبائل المختلفة و حكام الدول للحفاظ على الأمن في الداخل والخارج[3] ، إضافة إلى إشرافه على الأمور الإدارية من مراقبة البايلكات، وكان يساعده في مهامه مجموعة من الموظفين السامين كالخزناجي، الأغا، وكيل الحرج، خوجة الخيل [4] .

وكان على رأس كل بايلك باي، لذلك كان يوجد بإعتبار وجود ثلاث أقاليم ثلاث بايات، ذلك وفقا للتقسيم الإداري، وبمجرد تعيين هؤلاء البايات يصبحون قادة وسادة على أقاليمهم [5].

## 3- الأوضاع العسكرية:

عرفت التنظيمات العسكرية للجزائر خلال مرحلة الدايات نوعين من الجيوش، هما الجيش البري الذي إنقسم إلى قسمين، الجيش النظامي والجيش الغير النظامي، أما النوع الثاني فهو الجيش البحري.

**أ- الجيش البري:** إنقسم الجيش البري إلى قسمين وهما:

(1)- وليام شالر.المصدر السابق، ص ص41،41

(2)-لوسيت فالنسي .المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر 1830،1790م، ترجمة إلياس مرقص ،دار الحقيقة،بيروت ،1969،ص105

(3)-للمزيد أنظر إلى الفصل الأول السلطة والبايلكات ص58

(4)-.محمد العربي الزبيري. التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة مابين 1792م -1830م ،المؤسسة الوطنية للكتاب،ط2، الجزائر،1984، ص ص 19 20

(5)- وليام سبنسر .الجزائر في عهد رياس البحر ،تعريب :عبد القادر زبادية ،دار القصبة ،الجزائر ،2007، ،ص83

**- الجيش النظامي:** يتكون الجيش النظامي من الإنكشارية ويعود تأسيس الجيش الإنكشاري إلى أول فرقة من الجيش الإنكشاري إلتحقت بالجيش البري لجيش الجزائر سنة 1520م. وهي فرقة بعثها السلطان العثماني سليم الأول مع الوفد الجزائري، الذي حمل لهم رسالة الجزائريين المعبرة عن رغبتهم في الإلتحاق بالدولة العثمانية[1]. وتتفق الكتابات التاريخية على أن الجيش الإنكشاري تمركز في مدينة الجزائرلإعتبارها العاصمة المركزية والإقتصادية للجزائر، حيث عرفت إنتشار العديد من الثكنات العسكرية أما المدن الأخرى فإنها كانت مقرا للحاميات العسكرية.

وعن طريقة تجنيد المجندين، فيذكر وليام شالر أن الحكومة الجزائرية كان لها وكلاء في القسطنطينية وفي أزمير، مهمتهم جمع الجنود ونقلهم إلى الجزائر عن طريق إستئجار سفن لنقلهم وبعد وصولهم يصبحون جنودا ويحمل كل جندي لقب إنكشاري، يوزعون على مختلف ثكنات مدينة الجزائر بعد أن يُمنح لهم لباس عسكري خاص وسلاح[2]. أما عن عددهم فإختلفت المصادر التاريخية في تقديره، فقد قدرهم وليام شالر بخمسة آلاف جندي وضابط، كما ذكر أن عددهم عرف تناقصا في أواخر مرحلة الدايات، ويرجع ذلك إلى قلة المجندين حول ذلك يقول: "... وفي الوقت الحاضر قد هبط عددهم لأسباب معينة إلى أربعة آلاف..."[3]، ويذكر وليام شالر في موقع آخر أن الجيش الإنكشاري يتكون من خمسة عشر ألف جندي وضابط مما يبين إختلاف في تقديم إحصائيات دقيقة حول عدد الجنود والضباط الإنكشاريين[4].

أما عن صفات هؤلاء المجندين ذكر حمدان خوجة أنهم لم يكونوا من النزهاء الذين لهم جاه ومكانة، بل هم أناسا أدينوا وأدبوا في موطنهم الأصلي نتيجة لإرتكابهم لجرائم وإستدل

---

(1)- عائشة غطاس: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر2007، ص69 .

(2)- وليام شالر.مذكرات قنصل أمريكا وليام شالر1816-1824، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، ش،و،ن،ت، الجزائر.1982، ص ص52-53.

(3)- وليام شالر. المصدر السابق، ص51.

(4)- المصدر السابق ص61.

بذلك في قوله"... هكذا صارت تلك الميليشيا المسلحة التي لامبدأ لها ترتكب المخالفات ضد البدو والقبائل[1].

شكل الأتراك والكراغلة جيش المشاة أما العرب فشكلوا الخيالة[2]، ويتوزع الجيش على الحاميات المتنقلة في العاصمة ومختلف مدن الجزائر، وكان هؤلاء الجنود يفضلون البقاء في مختلف مدن الإيالة على الإستقرار في العاصمة، لأن مرتباتهم تتضاعف في غيابهم ويتزايد إدخارهم لأن حياة المدينة أغلى من حياة الريف، كما أن بايات المقاطعات الثلاث كانوا يقدمون لهم الهدايا والمنح[3].

أما عن أجرة الجندي فكانت تمنح له عند نهاية كل شهرين قمريين، إضافة إلى حصوله على مكافآت أخرى، ويشرف على عملية توزيع المرتبات الخزناجي وكبار الموظفين في الإيالة[4]. وكان هذا الراتب يتضاعف حسب أقدمية الجندي، كما كانت تمنح للجندي أجرة إضافية عند خوضه للمعارك الحربية، أو عند تعيين داي جديد[5]. أما عن الثكنات العسكرية فإمتازت بطابع عمراني على النمط التركي[6]، وكانت هذه الثكنات تتألف من حصنا كبيرا وأروقة تحيط بها، تطل بطابقها الأرضي والعلوي عليها، وكانت الغرف في أغلبها مظلمة ورطبة، وكل واحدة تحت إشراف مسؤول تركي يسمى طبجي[7].

أما عن دورهم الأساسي فتمثل في الحفاظ على الأمن وتحقيق الإستقرار الداخلي وحماية الحدود، إضافة إلى جباية الضرائب من السكان، لكن وجدنا أن وليام شالر ذكر أن هذا

(1)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص149.
(2)- وليام شالر، المصدر السابق، ص61.
(3)- عن الحاميات العسكرية الموجودة في إيالة الجزائر، يذكر حمدان بن عثمان خوجة أن حامية قسنطينة تتكون من مئة خيمة، حامية معسكر من ستين خيمة، حامية مدية من أربعين خيمة، وتحتوي كل خيمة على ثلاثين جنديا يقودهم ضابط برتبة بولكباشي ،وفي كل خيمة محافظ للمؤونة ويساعده في مهمته عامل يسمى الصاغا يكلف بجلب المياه من مختلف الآبار وتوزيعها على الجيوش، مما يعكس التنظيم المحكم الذي وضعته السلطة في تنظيم الحاميات العسكرية، ينظر: حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، ص ص139-140.
(4)-Venture De Paradis, Tunis et Alger en 18 é siécle, Paris,ed sandbad, 1983, p118.
(5)-Venture De Paradis, Alger au 18é siécle, R.A, n°40, Alger, 1896, p40.
(6)-Rinn.L, Le royaume d’Alger sous le dernier Dey, R.A, Alger, n°41, Alger, 1897, p132.
(7)- ألبير ديفولكس. خطط مدينة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس والأرشيف العثماني، ترجمة وتحقيق مصطفى بن حمو بدر الدين بلقاضي، المؤسسة للفنون المطبعية، الجزائر، 2004، ص256.

الجيش يفتقد إلى النظام والطاعة العسكرية فيقول: "... يمكن وصفه بأنه تنقصه الفعالية الكلية"[1].

**- الجيش الإحتياطي(الغير نظامي):**

إن حاجة إيالة الجزائر إلى تنويع مداخيلها المالية خاصة في أواخر مرحلة الدايات، جعلتها تهتم بقبائل المخزن في المجالين الإداري والعسكري خاصة في ظل تراجع مداخيل السلطة من الغنائم البحرية بعد تراجع دور الأسطول البحري الجزائري، والإتفاقيات الدولية التي أبرمتها الحكومة الجزائرية، وتجريم القرصنة البحرية بقانون دولي في مؤتمر فيينا سنة 1815م، وإجبار الجزائر على إحترامها بالرغم من أنها غُيبت. إضافة إلى تخلي الجزائر تدريجيا عن التجنيد العسكري من تركيا وأزمير والأناضول جعلت السلطة تبحث عن حل بديل وهو التركيز على مداخيل الأرياف.

لذلك إتجهت إلى قبائل المخزن المحاربة، التي أبدت إستعدادها للقتال من خلال إجبار القبائل الممتنعة في المناطق الجبلية والصحراوية على دفع الضرائب[2]، ونحن نجد في مذكرات وليام شالر مايؤكد ذلك، إذ يقول أن تراجع دور الأسطول البحري الذي كان يجني أرباحا جعل السلطة تلجأ إلى زيادة الضرائب على السكان[3]. كما ذكر أن بايات وحكام الأقاليم قاموا بتعيين أعوان عسكريين من قبائل المخزن يستعينون بهم لجمع الضرائب ولإخماد ثورات القبائل المتمردة على السلطة، ووصف هؤلاء الأعوان في قوله: "...كانوا يستحوذون على كل ما يقع تحت أنضارهم من أموال الشعب، وهو ماجعل العديد من السكان يتركون أراضيهم الخصبة ويلجأون الى الجبال[4]، كما كانت السلطة تلجأ إليهم للتوغل في المناطق الريفية وإخضاع القبائل الثائرة.

---

(1)- وليام شالر. المصدر السابق، ص61.
(2)- بن عتو بلبروات. المرجع السابق، ص10.
(3)- وليام شالر. المصدر السابق، ص58.
(4)- المصدر السابق، ص59-60.

**ب - الجيش البحري:**

إمتلكت الجزائر أسطولا بحريا يعود تأسيسه إلى بداية إرتباط الجزائر بالدولة العثمانية وجهود الإخوة بربروس في بناء هذا الأسطول، الذي كان له دورا سياسيا، عسكريا وإقتصاديا. قوة هذا الأسطول جعل الكثير من الأجانب يشيدون بذلك، مثل وليام شالر الذي يقول: "...تلك هي حالة الأسطول البحري الجزائري الذي يتمتع بشهرة عظيمة تردد صداها أغاني الشعراء ويرتعد من ذكره الأطفال والعجائز والذي تسبب في إهانة الكثير من الدول..."[1]، هذا ماجعل الجيش البحري الجزائري يعتبر سيد البحر الأبيض المتوسط بدون منازع[2].

كانت تستخدم الحكومة الجزائرية في أسطولها حوالي ثلاثة آلاف بحار، ويمكن أن تضاعف العدد حسب الضرورة إذ يصل إلى ستة ألف بحار، وتنقل البارجة الكبيرة حوالي خمسة مئة بحار وضابط[3]، وأخبرنا جون ب وولف بقوله: "إن السفن ذات الطاقم من 20إلى 40مدفعا، كانت تحمل من 300إلى 450 رجلا، وأحيانا أكثر من ذلك، كما كانت السفن تحمل عادة عددا كبيرا من الرجال القادرين على قيادة سفينة مأسورة والرجوع بها إلى الجزائر، بالإضافة إلى بحارة أخرين للمساعدة على إدارة مثل هذه السفن[4].

إلا أن هذا الأسطول البحري عرف تراجعا ملحوظا في أواخر مرحلة الدايات نتيجة للحملة العسكرية البريطانية والهولندية التي تعرض لها سنة 1816م، التي تسببت في تحطيم عددامن قطعه الحربية[5].

ومن أهم الموانئ البحرية ميناء وهران، ميناء الجزائر، ميناء عنابة، والذي ترسو بهم مختلف السفن التجارية والعسكرية. وكانت السفن الجزائرية تضم طاقما يتميز بحسن التنظيم إذ ينقسم الى عدة مجموعات هي:

---

(1)- وليام شالر. المصدر السابق، ص63.

(2)-Devoulx (A), La Marine Régence d'Alger, R.A, n°13, Alger, 1869, p13.

(3)- وليام شالر. المصدر السابق، ص62-63.

(4)- جون ب وولف. الجزائر وأوربا 1500م -1830م ،تر:أبو القاسم سعد الله ،عالم المعرفة ،الجزائر 2009، المرجع السابق، ص ص188-189.

(5)- وليام شالر. المصدر السابق، ص62.

ـ مجموعة القيادة: تضم هيئة الضباط السفينة هم الرايس، قبطان السفينة، الباشا رايس ومساعده، رئيس العسّة، ناظر الطاقم، الخوجة، كاتب الرايس، الباشا جراح، ناظر الأسرى، رياس الطريق، مجموعة المناورة والتي تتكون من ربانية السفينة وهم: البرقانجي والغاردة كابو والبريتاجي الذين يتولون أمر الأشرعة في السفن ثلاثية الصواري، الدمانجي، ملاح الدفة، الصندل رايس، رايس القارب، المسترداش، معلم نجار، القلفاط، العنبرجي، مسؤول مخزن المؤن، الخزناجي، مسؤول مخزن الذخيرة، وكيل الحرج، مسؤول التموين.

ـ المجموعة القتالية: تتكون من بعض وحدات الإنكشارية تكون تحت قيادة آغا، يساعده شاوش وعدد من الأوضاباشية ووكلاء الحرج. وتتفق الكتابات التاريخية على أن معظم هؤلاء البحارة من الأعلاج والأسرى المسيحيين[1].

لذلك يمكن القول أن إيالة الجزائر إمتلكت خلال هذه المرحلة أسطولا بحريا قويا ومنظما، استمدت ذلك من خلال جنوده الماهرين والإنضباط والطاعة الذي عرفوا به إتجاه رؤسائهم، ذلك من أجل تحقيق مصلحة واحدة وهي الجهاد البحري وحماية الإيالة والرد على الغزوات الأوروبية المتتالية ضدها. هذا ماجعلهم يحظوا بالإحترام والودّ من قبل سكان الإيالة نتيجة لدورهم في تحقيق الإنتعاش الإقتصادي للإيالة بفضل غنائم الجهاد البحري، إلا أن هذا الأسطول عرف تراجعا في أواخر مرحلة الدايات، لأنه لم يعرف تطورا مثلما حصل في البحرية الاوروبية.

## ثانيا: الأوضاع الإقتصادية:

إرتكز النشاط الإقتصادي خلال مرحلة الدايات على جملة من العناصر الأساسية،وهي الزراعة، الثروة الحيوانية، الصناعة ،التجارة الداخلية والخارجية ،في هذا السياق سوف نحاول تسليط الضوء على مختلف هذه العناصر مبرزين خصوصيات كل عنصر.

1. **الزراعة**: إتفقت المصادر التاريخية على أن النشاط الزراعي يعتبر النشاط الأساسي لأغلب سكان الجزائر بحكم أن حوالي 90% من السكان كانوا يستقرون بالأرياف[1]. تحكم

(1)- أمين محرز. الجزائر في عهد الأغوات (1659م -1671 م)، دار البصائر للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر 2011، ص37.

في هذا القطاع عدة عوامل أهمها طبيعة الملكية وكيفية إستغلال الأرض بإعتبارهما عاملان أساسيان في العملية الإنتاجية[2].

أ. **نظام ملكية الأراضي** : إنقسمت ملكية الأراضي إلى عدة أنواع أهمها:

- **أراضي البايلك (ملكية الدولة):**

هي الأراضي التي تعود ملكيتها للدولة مباشرة، ويحق للحكام التصرف فيها، أغلبها تم إلحاقه بسجلات البايلك[3]، وتنتشر أغلبها في السهول الخصبة الواقعة بالقرب من طرق المواصلات الرئيسية والقلاع العسكرية الحصينة، كسهول عنابة، قسنطينة، سطيف، سيباو، المتيجة، الشلف، وهران وغريس[4]. وكانت تستغل هذه الأراضي بعدة طرق كنظام الخماسة والتويزة[5]، فالأول يعتمد على عمل الفلاح في الأراضي لفائدة الدولة مع توفيرها لوسائل العمل الزراعية كالمحارث الحيوانات والبذور، مقابل حصوله على الإنتاج. أما النظام الثاني فتلجأ فيه الدولة إلى فلاحي القبائل الرعية، ذلك من خلال تسخيرهم للعمل تطوعيا خاصة في موسم الزرع أو الحصد[6]، أو بكراء الأراضي الزراعية، إذ عندما تجد الدولة بأنه لا توجد فائدة من إقطاع مساحات من أراضي البايلك للمتعاملين معها، تلجأ إلى أسلوب الكراء لفائدة سكان القرى والدواوير والمداشر. ولعبت فئة الحضر دورا في إنجاح هذه العملية من خلال توسطها بين الفلاحين العاملين وحكام الدولة[7].

---

(1)- أرزقي شويتام. المجتمع الجزائري وفعالياته خلال العهد العثماني(1519-1830م)، دار الكتاب العربي، ط1، الجزائر، 2009، ص30

(2)- ناصر الدين سعيدوني.النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800-1830)،ش،و،ن،ت، الجزائر، 1979، ص51.

(3)- يمينة درياس. السكة الجزائرية في العهد العثماني، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.2007، ص17.

(4)- بن عتو بلبراوات . المرجع السابق، ص302.

(5)- أرزقي شويتام. المجتمع الجزائري وفعاليته...، المرجع السابق، ص307.

(6)- ناصر الدين سعيدوني. النظام المالي للحزائرفي الفترة العثمانية، ص ص 93-92.

(7)- بلبروات بن عتو. المرجع السابق، ص303.

ومن هنا يمكن القول أن حق الإنتفاع من أراضي البايلك لم يكن حكرا على قبائل المخزن، وإنما شملت الموظفين السامين والقادة العسكرين وشيوخ القبائل الكبرى[(1)]، فكثيرا ماكان يقوم البايات بتقسيم أراضي البايليك على زعماء القبائل المتحالفة مع الأتراك[(2)].

**- الأراضي الخاصة:**

هي أراضي يستغلها أصحابها مباشرة، لايتوجب عليهم إتجاه الدولة سوى ضريبة العشر والزكاة، توجد هذه الأراضي بجوار المدن[3] أو الفحوص[(4)]. وكانت أغلب هذه الأراضي ملكا ملكا لموظفي الدولة وأعيان المدينة وأغنيائها كحمدان خوجة، الذي إمتلك أراضي في سهل المتيجة[(5)].

كما توجد أراضي خاصة بالمناطق الجبلية والسهلية الداخلية والواحات الصحراوية مثل الونشريس، الظهرة، جرجرة، الأوراس، سهول معسكر والواحات الصحراوية[(6)]، وللملاك حق التصرف فيها بكل حرية سواءا ببيعها أو تأجيرها أو تركتها للوراثة، وبالتالي فهي أراضي ذات ملكية فردية[(7)].

**- الأراضي المشاعة:**

هي الأراضي التابعة للقبائل تشغل جماعيا في إطار القبيلة أو الدوار أو العرش، وكان هذا النوع من الأراضي أقل شأنًا من الناحية الإقتصادية لوقوعها في المناطق الجبلية أو الصحراوية[(8)]. وكان لكل أسرة من العرش أو القبيلة أو الدوار قطعة أرض تُستغل في

---

(1)-Mahfoud Kaddache, L'Algérie durant la période ottomane , O.P.U, Alger, 2003, p182.
(2)-Djillali Sari, Les villes précoloniales de l'Algérie occidentale(Nedroma-mazouna-Kala), S.N.E.D, Alger, 1978, p42.

(3)الفحص هي مساحات زراعية تقع بضواحي المدن التي تخصص لزراعة الحبوب، والخضر والفواكه كسهل متيجة بمدينة الجزائر الذي وصفته العديد من الكتابات على أنه مدهش في خصوبته وتوجد به العديد من البساتين

(4)- جيمس ويلسون ستفانس، الأسرى الامريكان في الجزائر 1785-1797م، تر: علي تابلية، دار النشر تالة، الجزائر، 2007، ص147.

(5)- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، المصدر السابق ،الجزائر، ص 88.

(6)- ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، المرجع السابق، ص 42-43.

(7)- Eugéne Robe, Essai sur l'histoire de la propriété en Algérie, imprimerie de degand, Bone, 1848, p6.

(8)- أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته ...، المرجع السابق،ص307.

الزراعة مع ترك جزء منها بورا، من أجل تجديد خصوبة الأرض، أو استغلالها في النشاط الرعوي، وجرت الأعراف القبلية أن الأرض تمنح لمن يخدمها[1].

وكانت هذه الأراضي تحت مراقبة السلطة عن طريق قيادها في الأرياف وشيوخ القبائل التي توكل لهم مهمة جمع الضرائب. توزعت هذا النوع من الأراضي في عدة مناطق كمناطق وهران الداخلية، بعض مناطق التيطري الجنوبية، وبعض مناطق بايلك الشرق، حيث كانت تستقر قبائل النمامشة، الحنانشة، الحركاتة، أولاد قاسم وأولاد مقران[2].

**- أراضي الوقف:**

هي الأراضي التابعة للمؤسسات الدينية كالمساجد، الزوايا أو الحرمين الشريفين، المكة والمدينة، والتي حُبست للإنفاق على الأعمال الخيرية، أو المؤسسات الخيرية كالمساجد والزوايا، وصنفت إلى ثلاث أنواع الأحباس الخيرية التي تعود فوائدها على عامة المسلمين وهي المخصصة للأعمال الخيرية، ومن أهم مؤسساتها مؤسسة الحرمين الشريفين والمساجد المَالكية والمساجد الحنفية التابعة لمؤسسة سبل الخيرات[3].

**- الأحباس الخيرية :**

هي التي تُخصص إلى أفراد عائلة المُحبس وأحفاده، حيث يقوم الواقف بحبس الأراضي بعد موته ولاترجع مداخيل الأراضي الحبسية إلى المؤسسة الخيرية الدينية التي أسس لأجلها، إلا بعد موت الواقف[4].

**- أراضي الموات:**

هي الأراضي التي تُركت بدون استغلال أو الأراضي الغير صالحة للفلاحة، رغم الإمكانيات المتوفرة لإستغلالها والإنتفاع بها، إلا أن سكان الجزائر لم يستغلوها وحولوا

(1)- ناصر الدين سعيدوني، دراسات ف الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1986، ، ص47.
(2)- المرجع السابق ص 44-45.
(3)- ناصر الدين سعيدوني. الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1791-1830)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص112.
(4)-المرجع السابق، ص112.

الكثير منها الى أراضي رعوية[1]، تقع أغلب أراضي الموات في المناطق الشبه الجافة المعرضة للجفاف، عرفت هذه الأراضي إتساعا خاصة مع مطلع القرن التاسع عشر نتيجة لقلة السكان والجفاف وضعف السلطة. ففي أواخر مرحلة الدايات قدر الفرنسيون مساحة الأرض الصالحة للزراعة في منطقة التل بحوالي تسعة ملايين هكتار يُستغل منها سوى خمسة ملايين هكتار، مما يعكس إهمال الحكام للنشاط الزراعي خلال هذه المرحلة[2].

رغم هذا التنوع في الأراضي الزراعية وشساعة المساحة، إلا أن العديد من الكتابات التاريخية أكدت على عدم إستغلالها من قبل سكان الجزائر خلال مرحلة الدايات، فجزء كبير منها كان مخصصا للنشاط الرعوي لشساعة الأراضي التي تغطيها الحشائش والأشجار الغير مثمرة، وهو ما أكده وليام شالر الذي ذكر أن سكان الريف في الجزائر غير مجتهدين ولايحيطون بالمعارف الزراعية مما جعل زراعة الخضر مثلا في حاجة الى تنوع وتوفير[3].

يمكن أن نرجع ذلك إلى السياسة الضريبية التي فرضتها السلطة على الإنتاج الزراعي، مما أدى إلى عدم إهتمام الفلاح بالأرض و بالتالي نقص في الإنتاج الزراعي، حول ذلك يقول وليام شالر :"... أن إنتاج البلد من الزيت والحبوب ينقص ولايزيد عن حاجة السكان في بلد يمكن ان يعتبر بحق أخصب بلدان العالم..."[4].

كما لاحظ هاينريش فون مالتيسيان، أن الفلاح الجزائري لايولي إهتماما كبيرا بأرضه حيث يكتفي بزراعتها وإزالة الأعشاب الضارة حولها. ويرجع ذلك إلى الحياة البسيطة التي يعيشها إذ يحتاج إلى محصول قليل لسد حاجاته، إضافة إلى بيعه الحبوب بأثمان منخفضة في المدن هذا ما لم يشجعهم على زيادة الإنناج [5].

(1)- ناصر الدين سعيدوني. دراسات في الملكية العقارية...، المرجع السابق، ص86.
(2)-المرجع السابق، ص ص40-43.
(3)- وليام شالر. المصدر السابق، ص30.
(4)المصدر السابق، ص101.
(5)- هاينريش فون مالتياسيان، ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا، تر: أبو العيد دودو، ج1، ش و ن ت، الجزائر، 1976، ص ص372.

ب. **المحاصيل الزراعية:** عرفت المحاصيل الزراعية تنوعا مابين الحبوب، الخضر والأشجار المثمرة، ذلك بحكم تنوع المناخ وشساعة المساحة. ومن أهم المحاصيل الزراعية التي اهتم بزراعتها سكان الجزائر خلال مرحلة الدايات نذكر:

**- الحبوب:**

عرفت هذه الزراعة إنتشارا واسعا خاصة في المناطق الشمالية نتيجة لوفرة كمية التساقط الملائمة، خُصصت لها مساحات شاسعة، وعلق حمدان خوجة عن إنتشار زراعة الحبوب في المناطق السهلية للجزائر في أواخر مرحلة الدايات قائلا: "...الأراضي شديدة الخصب بحيث أن إرتفاع سنابل القمح والشعير يزيد في بعض الأحيان عن قامة الرجل..."، ويضيف قائلا على وفرة إنتاج الحبوب: "... وفي أثناء الحصاد تهمل السنابل القصيرة ويترك في الحقول كثيرا من التبن والحبوب... ولذلك فإن الحيوانات تكون سمينة والحليب جيدا كثيرا..."[(1)].

ومما زاد من وفرة الحبوب إنتهاج الفلاحين للدورة الزراعية التقليدية، إذ كان يُترك قسم من الأرض للرعي، قسم آخر يتم زراعته وبالتالي يتسنى للتربة المتروكة للرعي أن تستريح وتستعيد خصوبتها، كما كان الفلاح يناوب بين المزروعات المختلفة في أرض واحدة[(2)].

**- الخضر:**

عرفت زراعة الخضر إنتشارا واسعا خلال مرحلة الدايات بمختلف أنواعها، خاصة الخضر، التي تعرف رواجا في الأسواق المحلية، نتيجة لكثرة إستهلاكها من قبل سكان الجزائر كالجزر، البصل، البطاطا... هذا ماجعل شالر يعلّق على وفرة الخضر بالجزائر وعلى أن الإعتناء أكثر بهذا النوع من الزراعة يمكن أن يزيد في كمية الإنتاج فيقول: "...

(1)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص71.
(2)-Saidouni Nacerddine, L’Algérois rural à la fin de l’époque ottoman (1791-1830), Dar al-gharb al-islami, Beyrouth, 2001, p212.

وسهول هذا البلد وهضابه الكثيرة خليقة بأن تنتج أرفع أنواع الخضروات لو يُتاح لها سكان مجتهدون ويعرفون الزراعة..."[1].

**- الأشجار المثمرة:**

كان الفلاح الجزائري يهتم بغرس مختلف أنواع الأشجار المثمرة، حيث عمت أشجار البرتقال فحوص مدينتي القليعة والبليدة، إضافة إلى أشجار الزيتون والكروم، كما إختص الأندلسيون بزراعة أشجار التوت، الإجاص، الكرز والجوز وأدخلوا عليها تقنيات حديثة لم تكن معروفة لدى الجزائرين[2].

ذكر ويليام شالر أن المناطق الشمالية التي تميزت بإعتدال مناخها كانت تنتج بها مختلف أنواع الاشجار المثمرة، مما أدى الى وفرة عدة أنواع من الفواكه كالتين، الرمان، العنب[3].

أما عن المناطق الصحراوية، فعرفت إنتشار زراعة النخيل نتيجة لوفرة المناخ الملائم لهذا النوع من الزراعة والمتمثل في إرتفاع درجة الحرارة، ذكر فاندلين شلوصر أن ثروة سكان الصحراء تتمثل في الجمال والأغنام وغابات النخيل، كما بين كيف يتم جني المحصول وتخزينه فيقول: "... وتوضع التمور بمجرد أن تنضج وتُجمع في الشمس لتجفف وتزول عنها رخاوتها ودهنها، و يُدّك أيضا في جلود الماعز، وتوضع فوقها حجارة ثقيلة ثم تباع..."، كما أكد أيضا على أن تجارة التمر تعد أهم تجارة إمتهنها سكان الصحراء إذ كانوا يرسلونها إلى قسنطينة ثم تونس[4].

وأشاد العديد من الأجانب بجودة التمور الجزائرية، نذكر منهم وليام شالر في مذكراته في حديثه عن جودة هذه الأخيرة ولذتها، خاصة في الواحات الصحراوية العميقة، كمنطقة بسكرة التي إشتهرت بهذا النوع من الزراعة التي تعد موردا أساسيا لعيش سكان المنطقة[5].

---

(1)- وليام شالر. المصدر السابق، ص30.
(2)- ناصر الدين سعيدوني،.ورقات جزائرية: دراسات واأحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2000، ص56.
(3)- وليام شالر. المصدر السابق، ص30.
(4)- فندلين شلوصر. قسنطينة أيام أحمد باي(1832-1837) ترجمة وتقديم أبو العيد دودو،الجزائر 2007، ص102.
(5)- وليام شالر. المصدر السابق، ص30.

**- تربية النحل:**

عرفت الجزائر وفرة مادة العسل خاصة في المناطق الجبلية كجبال القبائل، وهذا ما أشار إليه فاندلين شلوصر في حديثه عن سكان القبائل إذ يقول: "...خاصة وأن الجبال التي يقطنون فيها (يقصد سكان القبائل) تتوفر على غابات كثيفة، هذا ما جعل القبائل يهتم كثيرا بتربية النحل... وطعم العسل جد لذيذ ويوجد بكثرة..."[(1)].

**- تربية المواشي:**

بإعتبار المجتمع الجزائري خلال مرحلة الدايات كان مجتمعا ريفيا بالدرجة الأولى. فقد إهتم سكان الريف في التل والصحراء بالنشاط الرعوي. ذلك من خلال تربية المواشي كالأنعام، المعزو الأبقار، والتي كانوا ينتفعون من لحومها وصوفها ووبرها إضافة الى إستعمالها كوسيلة للنقل والعمل الفلاحي، كالخيول التي ذكر حمدان خوجة أن سكان الجزائر كانوا مولوعين بتربيتها. وهدفهم الأساسي مضاعفة أعدادها هذا ما جعلهم يفرقون بين أنواعها ويحفظونها بعناية[(2)]. كما أكد وليام شالر على أن سكان الأرياف كانوا يلجأون إلى مختلف المناطق التي يتوفر فيها العشب لتغذية الحيوانات التي يمتلكونها[(3)].

أما عن تربية المواشي في الصحراء، فقد أشار حمدان خوجة أن ممتلكات هؤلاء السكان إنحصرت في الجمال والبقر والخيل، كما أضاف أيضا أن جمالهم شبية بالمتوحشة لاتروض إلا بصعوبة، كما أن صوفها تعتبر من أجود الأنواع[(4)].

**2.الصناعة:**

عرف المجتمع الجزائري خلال مرحلة الدايات نشاطا صناعيا أغلبه تقليديا إستمد خاماته من الإنتاج الزراعي والحيواني، كان الإنتاج المحلي لايتعدى الصناعات اليدوية والمعدنية

(1)- فندلين شلوصر. المصدر السابق، ص96.
(2)- حمدان بن عثمان خوجة،. المرآة، المصدر السابق، ص72.
(3)- وليام شالر. المصدر السابق، ص33.
(4)- حمدان بن عثمان خوجة،المرآة، المصدر السابق، ص ص75-76.

والتحويلية، فعرفت مختلف مدن و أرياف الإيالة إنتشار الورشات الحرفية، إلا أن هذا النشاط عرف تمركزا في المدن أكثر من الأرياف. وهو ماأكدته العديد من الكتابات التاريخية خاصة وأن النشاط الحرفي تميز بالتنظيم داخل المدن، على عكس الأرياف التي إفتقدت إلى هذا التنظيم. فكتب لوسيت فالنسي بشأن ذلك من خلال إعطائه نموذجا حول مدينة الجزائر قائلا: "...كانت مدينة الجزائر تؤمن وظائفا أكثر تنوعا إذ نجد جميع الحرف وجميع التجارات..."[1]

ومن أهم الحرف التي عرفت إنتشارا في المدن والأرياف نذكر:

**- الصناعة النسيجية:**

عرفت هذه الحرفة إنتشارا في مختلف المدن والأرياف وتمثلت في نسج الاغطية والزرابي، والملابس الصوفية بمختلف أنواعها كالبرانس والشالات، وكانت تمارس هذه الحرفة داخل البيوت في الأرياف خاصة من قبل النساء وذكر شالر أن نسج الصوف لصناعة البرانس والشالات والسجاد منتشرة في القرى الريفية[2].

كما ذكر هاينريش أن قبائل بني عباس الثمانية والساكنة بأربعين قرية ببلاد جرجرة، إشتهرت بصناعة البرانس، كما أشار أنه لبني عباس دكانين لبيع البرانس في مدينة الجزائر[3].

كما عرفت المدن إنتشارا واسعا لهذه الحرفة، التي كانت داخل البيوت وفي ورشات خاصة للنسيج .خاصة وأن الجزائر كانت تنتج كميات كبيرة من الصوف تصنع منها البرانس، والتي غالبا ماكانت تصدر إلى العديد من الدول كمصر وتركيا نتيجة لجودتها وإتقان صنعتها[4].

---

(1)- لوسيت فالنسي. المصدر السابق، ص62.
(2)- وليام شالر. المصدر السابق، ص93.
(3)- هاينريش فون مالتسيان. المصدر السابق، ج2، ص159.
(4)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص97.

**- الصناعة الجلدية:** تواجدت هذه الصناعة بالعديد من المناطق كقسنطينة، الجزائر، تلمسان، مازونة، تمثلت في صناعة الأحذية، السروج، المحافظ[1].

**- الصناعة المعدنية:**

تمثلت هذه الصناعة في إستخراج المعادن كالحديد والنحاس، الذي عرف وفرة في العديد من المناطق الجبلية، فكانوا يقومون بإستخراجها وصهرها، لصنع محتلف أنواع الأسلحة كالسيوف والأدوات الزراعية المختلفة، ذكر فندلين شلوصر عن وجود مسبكة بمدينة قسنطينة[2]، كما لاحظ أيضا أن وفرة الفضة أدت الى تزيف سكان سكان الإيالة لقطعا نقدية مطابقة للعملة الإسبانية والفرنسية[3].

**- صناعة السفن**:

أولى الحكام الجزائريين خلال مرحلة الدايات عناية خاصة بهذه الصناعة، لأن الجزائر كانت بحاجة الى أسطول قوي، كانت صناعة السفن تتلقى كميات كبيرة من الخشب ليُصنع بها أحواض السفن الصغيرة والكبيرة، كما يقومون بإصلاح السفن الحربية بمختلف أنواعها من البارجة إلى أصغر السفن[4].

وعرفت صناعة السفن إهتماما من قبل السلطة، إذ عملوا على إنشاء العديد من الورشات في المدن الساحلية لصناعتها، هذا ما مكنهم من القيام بعمليات وغارات حربية، ضد العديد من السفن الأوربية[5].

**- الصناعة الفخارية:**

تمثلت في صناعة مختاف أنواع الأواني، كما إنطوت تحتها صناعة مواد البناء كالأجور، القرميد، الجير، وقد تواجدت العديد من الورشات والأفران في مدينة الجزائر نتيجة لكثرة

(1)- أرزقي شويتام. المجتمع الجزائري وفعاليته ...، المرجع السابق، ص324.
(2)- فندلين شلوصر. المصدر السابق، ص 80.
(3)- المصدر السابق، ص102.
(4)- وليام شالر. المصدر السابق، ص 62.
(5)-Devoulx(A), Le registre des prises maritimes, R.A ,n°16, Alger, 1872, p71.

الطلب على هذه المواد، كأفران باب عزوز التي اختصت بصنع الأجر وقطع الخزف، أفران باب الواد التي تصنع مادة الجير[1].

إضافة إلى هذه الصناعات وجدت صناعات أخرى لاتقل أهمية عن الصناعات سالفة الذكر، كالصناعة الغذائية فوجدت المطاحن وأفران الخبز ومعاصر الزيتون، وصناعة الصابون وغيرها من الصناعات التي مورست في المدن والأرياف.

### 3. التجارة:

إن الموقع الاستراتيجي للجزائر ساعد على إزدهار النشاط التجاري الداخلي والخارجي خلال مرحلة الدايات بشكل لفت أنظار الذين زاروها، حتى قبل هذه المرحلة، ترك الرحالة والسفير المغربي علي بن محمد التمقروتي، الذي زار مدينة الجزائر سنة 1591م، وصفا يعكس إزدهار النشاط التجاري في الجزائر خلال العهد العثماني قائلا: "... الجزائر عامرة كثيرة الأسواق... فبلادهم لذلك أفضل من جميع بلاد إفريقيا وأعمر وأكثر تجارا وفضلا وأنفذ أسواقا وأوجد سلعة، حتى يسمونها إسطنبول الصغرى..."[2].

#### أ. التجارة الداخلية:

لقد هيمنت المدن الكبرى وخاصة مدينة الجزائر على العلاقات التجارية مع باقي مناطق الإيالة خلال مرحلة الدايات، ويرجع ذلك إلى الوزن الديمغرافي والذي جعلها مركزا إستهلاكيا في البلاد، تصب في أسواقه مختلف المنتوجات القادمة من البياليك الثلاث[3].

في هذا الصدد ذكر كورين شوفاليه، أن مدينة الجزائر تتمتع بازدهار كبير في التجارة نتيجة لموقعها الساحلي ووفرة المرافق التجارية كالأسواق والدكاكين[4]، إضافة إلى وجود

---

(1)- أمين محرز. المرجع السابق، ص184.
(2)- أمين محرز. المرجع السابق، ص190.
(3)-المرجع السابق، ص 192.
(4)- كورين شوفالييه. الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541م، تر: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،2007 ، ص12.

منشآت أخرى ذات طابع تجاري كالفنادق والرحبات، التي يقصدها التجار من مختلف المناطق إذ يخزنون فيها البضائع لعرضها في أسواق المدن[1].

وكانت العلاقات التجارية بين مناطق الإيالة، تقوم عبر شبكة من الطرقات مستخدمة القوافل التي تحمل مختلف المنتوجات[2]، وهذه العلاقة التجارية بين أقطار الإيالة قائمة عبر طرق رئيسية كانت تربط مدينة الجزائر بالمدن والقرى، كطريق البليدة وطريق القليعة، طريق برج سباو، دلس، طريق شرشال وطريق الجبل الرابطة بين برج الحراش والمدية[3].

وكان النشاط التجاري خاضعا للمراقبة من قبل السلطة ، ذلك من خلال تعين مجموعة من الموظفين لمراقبة المراكز التجارية من أسواق ودكاكين كالمحتسب، الشرطة وأمناء الحرف، والتي توكل لهم مهمة مراقبة الأسعار والمكاييل والموازين وجودة السلع[4].

ب. **التجارة الخارجية:**

كانت المبادلات التجارية بين الجزائر والأسواق الخارجية خلال مرحلة الدايات تتم عبر الطرق البحرية، بحكم إشراف الجزائر على حوض البحر الأبيض المتوسط، كفرنسا، إسبانيا، إيطاليا وإسطنبول، إذ كانت موانئ الجزائر تستقبل بضائع متنوعة[5]، ذكر حمدان خوجة أن العديد من المنتوجات الجزائرية لقيت رواجا في الأسواق الخارجية أعطى مثالا حول البرانس الجزائرية الشهيرة ذات اللون الأسود والتي تصدر إلى مصر وتركيا[6].

كما أشار العديد من الرحالة إلى أن المبادلات التجارية التي كانت تتم بين الجزائر ودول أوروبا في أواخر مرحلة الدايات تميزت بالإزدهار، إذ تصدرإلى إنجلترا وبعض الدول الإسكندنافية العديد من المنتوجات النسيجية والتعدينية، تمر في غالب الأحيان بمحطة ليفورنو من أجل دخولها الى الجزائر، كما كانت تقدم معظم مدن الجزائر كوهران، عنابة

(1)- عائشة غطاس. الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص274.
(2)- أمين محرز. المرجع السابق، ص193.
(3)- المرجع السابق، ص193.
(4)- عائشة غطاس. الحرف والحرفيون ...، المصدر السسابق ص70-71.
(5)- أمين محرز. المرجع السابق، ص197.
(6)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص97.

العديد من المنتوجات الزراعية والحيوانية كالقمح، الدواجن والأبقار لمرسيليا، إيطاليا وليفورنو(1).

وكانت كانت تتم المبادلات التجارية عبر الطرق البرية والتي تستعمل فيها قوافل عابرة للصحراء، التي تربط بين أسواق بلدان شمال افريقيا، الساحل السوداني والحجاز. وكانت هذه المبادلات عبرالمناطق الشمالية والصحراوية تتم بشكل منظم كل سنة أو سنتين على الأكثر، ومن أكبر القوافل هي ركب الحج المغربي التي تنطلق من المغرب نحو جنوب الجزائر مارة بالأغواط، بسكرة والجريد التونسي وطرابلس الغرب باتجاه مصر(2).

وقد أولت السلطة خلال مرحلة الدايات عناية بتنظيم التجارة الخارجية للإيالة، ذلك من خلال إنشاء مصلحة للجمارك والتي تفرض رسوما على الصادرات والواردات من السلع مما شكل موردا ماليا مهما بالنسبة للسلطة(3).

## ثالثا: الأوضاع الاجتماعية

### 1. التركيبة السكانية:

تميزت التركيبة السكانية للجزائر خلال مرحة الدايات بالتنوع إذ ضمت العديد من الأجناس الذين عرفوا إختلاطا فيما بينهم(4). فنجد سكان المدن وسكان الأرياف وكل واحد له له خصوصيات و نمط حياة يختلف به عن الآخر، رغم هذا التنوع إلا أن المجتمع الجزائري تميز بالإنسجام والترابط(5)، ولكي نتعرف على التركيبة السكانية حاولنا أن نقسم السكان حسب المناطق التي يقطنون بها والنشاط الإقتصادي الممارس وطبيعة علاقتهم بالسلطة على النحو التالي:

(1) لوسيت فالنسي. المصدر السابق، ص86.
(2) أمين محرز. المرجع السابق،ص 198-199.
(3) حمدان عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص 109.
(4) سيمون يفايفز. مذكرات جزائرية عشية الاحتلال تعريب وتقديم أبو العيد دودو ش.و.ن.ت، الجزائر،1974، ص136.
(5)- وليام سبنسر.المرجع السابق ، ص81.

أ. **سكان المدن:**

يقطنون في مختلف مدن الجزائر[1] .وهم عبارة عن خليط من عدة أجناس[2] ،إذ نجد الأتراك الذين يحتلون المرتبة الأولى في السلم الإجتماعي، حيث ضمت في صفوفها القادة العسكرية والموظفين السامين من السياسيين والإداريين والجنود، وكانوا من ذوي أصول وأجناس مختلفة[3] منحت لهم السلطة العديد من الإمتيازات، إلا أنهم ظلوا منعزلين عن بقية السكان، ذلك من أجل إبقاء هيمنتهم على المناصب الحكومية وصيانة تقاليدهم الخاصة بنظم العيش والسلوك والمحافظة على الإمتيازات التي يتمتعون بها[4]. كان معظم الأتراك يفضلون كسب عيشهم من المرتبات التي يحصلون عليها، أو من إيجار المحلات التي يمتلكونها وممارسة بعض الانشطة الحرفية[5].

بالإضافة إلى الأتراك نجد الكراغلة، هذه الفئة التي تشكلت نتيجة للزواج المختلط بين أفراد الجيش التركي بالنساء الجزائريات، وقد ظهرت لأول مرة في المدن التي توجد بها الحاميات العسكرية كالجزائر، تلمسان، معسكر، مستغانم، قلعة بني راشد و قسنطينة[6]. شكل الكراغلة طبقة متميزة في المجتمع، تمارس العديد من الوظائف كالتجارة والمهام الإدارية، كما إنظموا إلى صفوف الجيش، تذكر العديد من المصادر أن المهام الإدارية مع مطلع القرن 19م أصبحت في معظمها من إختصاصهم[7]، تعرضوا للمراقبة من قبل السلطة السلطة العثمانية، نتيجة لتخوفهم من تواطئهم مع أعيان البدو ووجهاء القبائل من أجل الإستلاء على السلطة[8].

(1)- سيمون بفايفر. المصدر السابق، ص166.
(2)- هانريش فون مالتياس. المصدر السابق، ص57.
(3)- عمار عمورة. الجزائر بوابة التاريخ من ما قبل التاريخ الى 1962، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص244.
(4)- ناصر الدين سعيدوني .النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية ...، المرجع السابق، ص42.
(5)- ناصر الدين سعيدوني,المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني في المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص94.
(6)- عائشة غطاس.، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر ، 1700-1830 ، منشورات ANEP ، الجزائر . ص15.
(7)- صالح عباد. الجزائر خلال الحكم التركي، 1514-1830، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص357.
(8)-حنيفي هلايلي.أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني...، المرجع السابق، ص166.

كما نجد عناصر أخرى اللذين إستقروا في المدن المعروفين بالبلدية، وتطلق عليهم العديد من المصادر المور[1]، واشتغل أغلب أفرادها في التجارة خاصة وأنهم يمتلكون الدكاكين التي يزاولون فيها حرفهم ويسوقون منتوجاتهم، هذا مايجعلهم يمتهنون الوظائف المربحة والخدملات الإجتماعية المرموقة[2].

وتندرج ضمن هذه الجماعة عناصر أخرى كالجالية الأندلسية التي يعود تواجدها إلى قرار الطرد الذي أصدره الملك الاسباني فيليب الثالث سنة 1609م من أجل القضاء على الوجود الإسلامي باسبانيا[3]، إستقروا في المناطق الساحلية كبجاية، مستغانم، تنس، البليدة، شرشال... أظهروا كفاءة في العديد من الصناعات كصناعة الأسلحة والتجارة وصناعة الخزف والبناء[4].

بالرغم من التأثير الواضح للأندلسيين على المجتمع الجزائري، حيث أدخلوا العديد من النظم الجديدة في المجتمع الجزائري، لأنهم كانوا أكثر تطورا مقارنة بباقي العناصر الحضرية الأخرى، رغم ذلك لم يولوا إهتماما بالأمور العسكرية والوظائف الإدارية بالدولة، لأنهم إهتموا بالأعمال الإقتصادية[5] كالنشاط الحرفي والتجارة، كما نجد جماعة الأشراف التي يعود نسبها الى أهل البيت وكان عددهم قليلا إشتغلوا في التجارة والعديد من الحرف[6].

الحرف[6].

إنضم إلى سكان المدن فئة أخرى عرفوا بالبرانية أو جماعة الدخلاء، هم اللذين قدموا إلى مدن الجزائر من مختلف الجهات، عرفوا بتسميتهم حسب المناطق التي قدموا منها من أجل العمل، إرتبطت كل جماعة بمهن خاصة بها، نذكر منهم الجيجليون، البسكريون،

(1)- سيمون بفايفر. المصدر السابق، ص166.
(2)- عبد الله بن محمد الشويهد. قانون أسواق مدينة الجزائر، 1695م-1705م، تحقيق وتقديم وتعليق: ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2006، ص25.
(3)- ناصر الدين سعيدوني. دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص130.
(4)- عمار بوحوش. التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، 1997، ص75.
(5)- عمار بوحوش. المرجع السابق، ص73.
(6)- عبد الله بن محمد شويهد. المصدر السابق، ص25.

الأغواطيون، المزابيون، القبائليون...[1]، كان يشرف على كل جماعة أمين مكلف بالسهر على مصالح جماعته ويكون في الغالب كوسيط بينهم وبين السلطة[2].

إضافة إلى فئة الدخلاء التي تشكلت من الجالية اليهودية، وإنقسمت جماعة اليهود الى قسمين اليهود الأهالي وهم يهود الجزائر الأصليين،عرفوا بإسم "توشابيم" في اللغة العبرية، واليهود الأوروبيين هم الوافدون من أوروبا ويعرفو وباسم "ميغوراشيم" ومعناه الفارون أو المنفيون في اللغة العبرية، كان هؤلاء اليهود منتظمين في تنظيم طائفي يترأسه شيخ أو مقدم اليهود وهو من يتولى تنظيم شؤون الطائفة[3].

عرف عن اليهود ممارستهم للنشاط التجاري وممارستهم للعديد من الحرف، كحرفة الصياغة، يقول عنهم وليام شالر في مذكراته أنهم يمارسون جميع فروع التجارة مهم يحتكرون في هذه البلاد السمسرة وأعمال المصارف وتبديل العملة، ويوجد كذلك عدد كبير من الصاغة بينهم وذلك في الذهب والفضة على السواء[4].

إضافة إلى المسيحيين الذين تشكلوا من التجار الأجانب والقناصلة ورجال البعثات الدينية والتبشيرية[5] والأسرى الذين يشكلون الأغلبية من المسيحيين الذين ينتمون إلى دول مختلفة كإسبانيا، إيطاليا وفرنسا... إلخ، اشتغل العديد منهم في مهن مختلفة كمجذفين، حدادين ونجارين.

ونجد الزنوج الذين تعود أصول أغلبهم الى السودان[6]، عرف عددهم تكاثرا خلال مرحلة مرحلة الدايات، إذ قدّر بوتان عددهم سنة 1808م ب3500 شخص في مدينة الجزائر وعرفوا بجماعة الوصفان، نجد إشارة لهم في مخطوط قانون أسواق مدينة الجزائر،"... ويتم الإتفاق على أن يكون الخبز من ثلاثة عشر أوقية، وذلك بموافقة أمين الجيجلين وقائد

---

(1)- عائشة غطاس. الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص ص 23-24.
(2)- سيمون بفايفر. المصدر السابق، ص165.
(3)- أمين محرز. المرجع السابق، ص159.
(4)- وليام شالر. المصدر السابق، ص89.
(5)- أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي من ق10 الى ق 14 هـ، ش.و.ن.ت، الجزائر، ج1، 1984، ص 150.
(6) أمين محرز. المرجع السابق، ص157.

الوصفان..." إشتغل أغلبهم كباعة للخبز وإمتهنوا حرفة صنع الحصائر والسلال وتقديم الخدمات داخل المنازل[1].

ب. **سكان الريف:**

أجمعت المصادر التاريخية على أن سكان الريف كانوا يمثلون أغلبية سكان البلاد يعيشون على شكل قبائل، بعضهم يقطن في المنطقة التلية، يعتمدون على النشاط الزراعي نظرا لوجود الأراضي الخصبة، والآخر يقطن في الهضاب والصحراء يعتمدون على النشاط الرعوي[2]، لذلك سوف نقسم سكان الريف حسب علاقتهم بالسلطة كمايلي:

- **قبائل المخزن:**

هم عبارة عن تجمعات سكانية موالية للحكام، يمتلكون الأراضي الزراعية الخصبة. مهمتها الأساسية جباية الضرائب، تنفيذ أوامر البايليك والحفاظ على الأمن وفي مقابل ذلك منحتها السلطة العديد من الامتيازات كالإعفاء من دفع الضرائب[3].

- **قبائل الرعية:**

هم سكان القرى والدواوير الخاضعين مباشرة لسلطة البايلك، كانوا مراقبين من قبل السلطة من طرف قبائل المخزن ومعرضين للضغط والاستغلال[4]، فرضت عليهم السلطة ضرائب ورسوما مختلفة [5]، ونتيجة للإضطهاد الذي تعرضوا له شُقت عصا الطاعة في الكثير من الاحيان ضد السلطة، وذلك من أجل تحسين ظروف العيش والتخلص من القيود[6].

(1)- عبد الله بن محمد الشويهد. المصدر السابق، ص67.
(2)- أرزقي شويتام. المجتمع الجزائري وفعاليته...، المرجع السابق، ص98.
(3)- ناصر سعيدوني. دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص98.
(4)- عمار عمور. المرجع السابق، ص227.
(5)- أرزقي شويتام. المجتمع الجزائري وفعاليته ...، المرجع السابق، ص99.
(6)- ناصر الدين سعيدوني.النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية...، المرجع السابق، ص49.

- **القبائل المتحالفة:**

كانت بعيدة عن السلطة، متحصنة بالمناطق الجبلية كالأوراس والونشريس والبابور[1] والقبائل، يترأسها زعماء محليين ذو عقلية قبلية معروفين بنفوذهم الديني وأصالة نسبهم، أو بكفائتهم الحربية[2] إمتهنت هذه القبائل النشاط الزراعي والرعوي. ونحن نجد في العديد من الكتابات تخوف السلطة من هذه القبائل لذلك عملت على التقرب من زعماء الشيوخ والمرابطين عن طريق المصاهرة[3]. أو بإثارة صراعات عشارية بين الأحلاف القبلية الكبرى حول نطاق المياه ومجال الرعي[4].

- **القبائل الممتنعة:**

هي قبائل رافضة للسلطة، كانوا يقطنون في العديد من المناطق الصحراوية والجبال، حاولت السلطة إخضاعها عن طريق قبائل المخزن وتنصيب الحاميات العسكرية[5]، وهو ما ما أكده حمدان خوجة الذي بين أن السلطة استعانت ببعض القبائل المخزنية لإخضاع القبائل الثائرة[6].

إنتهجت السلطة سياسة خاصة إتجاه هذا النوع من القبائل، و لم يكن من أولوياتها فرض الضرائب مثل بقية المناطق السهلية الخاضعة لها، بل كانت تهدف الى تحويل العديد من القبائل الممتنعة إلى قبائل مخزنية أو إجبارها على دفع ضريبة رمزية، دليلا على تبعيتها للحكومة[7].

---

(1)- المرجع السابق، ص49.
(2)- عمار عمور. المرجع السابق، ص227.
(3)- عمار عمور، المرجع السابق، ص227.
(4)- عباد صالح. الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص363.
(5)- عمار عمور. المرجع السابق، ص227.
(6)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص111.
(7)- Show (T) voyage dans les regence d'Alger, trad de l'anglais par : J. Mac carthy, Marline éditeur, Paris, 1830, p14.

ومن أمثلة ذلك، ماوقع لقبيلة ريغة الواقعة بضواحي مليانة والتي كانت في حرب ضد السلطة لرفضها دفع الضرائب، وكذلك الشأن بالنسبة لقبائل بني فرح وجندل ومطماطة والعطاف(1).

وفي حالة إذا رفضت إحدى القبائل الإلتزام بدفع الضرائب المفروضة، كانت تضطر السلطة إلى شن حملات عسكرية ضدها، وقد وصلت حالة التوتر بين هذه القبائل والسلطة الى ذروتها في أواخر القرن18م وبداية القرن 19م، إذ امتنعت العديد من القبائل عن دفع الضرائب نتيجة لتدهور أوضاعها الإقتصادية وضعف السلطة في تلك المرحلة، إضافة الى إفراط السلطة في جمع الضرائب(2).

### 2. الأوضاع الصحية:

إرتبط الوضع الصحي في الجزائر خلال مرحلة الدايات بسلسلة من الأمراض والأوبئة والكوارث الطبيعية التي تعرضت لها الجزائر بصفة متكررة:

**الأمراض والأوبئة:**

عرفت إنتشارا واسعا خلال مرحلة الدايات ويمكن أن نرجعها إلى عدة عوامل، أهمها إنتقال الأمراض عن طريق قوافل الحجاج والمجندين من مختلف الأقاليم العثمانية، إضافة إلى حركة التجار والبعثات الطلابية عبر الطرق البحرية والبرية. وقد لاحظ لوسيت فالنسي ذلك في الوباء الذي وصل إلى الجزائر سنة 1817م، عن طريق الحدود الشرقية، والذي أثر على مدينة عنابة بصفة كبيرة وحجم الخراب الذي لحق بها نتيجة لإرتفاع عدد القتلى(3).

كما عانت وهران، الجزائر وتلمسان، من وباء الطاعون الذي كان ينتقل عن طريق الحجاج(4)، إذ تعرضت وهران إلى أخطر وباء خلال فترة حكم الباي محمد الكبير، ما أجبره

(1)- أرزقي شويتام. المجتمع الجزائري وفعاليته...، المرجع السابق، ص276.
(2)- أرزقي شويتام،المجتمع الجزائري وفاليته ...، المرجع السابق، ص ص 274-290.
(3)- لوسيت فالنسي. المصدر السابق، ص29.
(4)- حمدان بن عثمان خوجة. اتحاف المنصفين والأداب في الإحتراس من الوباء، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، ش،و،ن،ت، الجزائر، 1968، ص43.

أجبره على مغادرة المدينة والإقامة بسهل ملاتة إلى أن زال المرض[1]، بالإضافة إلى الوباء عرفت الجزائر عدة أمراض كالحمى، الجدري، والجذام والأمراض الجلدية[2]، إلا أن أخطر مرض عانت منه الجزائر هو الطاعون، الذي اتفقت كل المصادر على انه شكل وباءا متواجدا بإستمرار في بلادنا مقارنة بالأمراض الأخرى، وتحكمت فيه عوامل طبيعية، كالجفاف وإجتياح الجراد والزلازل وكان هذا الوباء ينتقل برا وبحرا[3].

أدت هذه الأمراض إلى وفاة العديد من سكان المدن الكبرى كوهران، عنابة الجزائر وتلمسان، كالطاعون الذي ضرب مدينة تلمسان سنة 1790م إلى1791م، يقول عنه لوسيت فالنسي أنه إجتاح الجزائر سنة 1784 م وضرب كذلك مدينة تلمسان سنة 1790م و 1791م كما يقول أن حوالي ثلث السكان لقو حتفهم[4].

مما زاد من سوء الحالة الصحية للسكان عدم إهتمام الحكام بأمور الصحة، فلم يقوموا بأي إجراءات وقائية ضد الأمراض، بإستثناء بعض المحاولات كمحالة صالح باي قسنطينة 1787م، الذي قام بفرض حزام صحي حول مدينة عنابة لمنع إنتقال العدوى الى مدينة قسنطينة[5]، إضافة الى قلة المرافق الصحية إذ كانت الزوايا تستقبل الحجاج وتقدم لهم بعض الإسعافات، فإلى جانب دورها الثقافي والديني لعبت دورا صحيا[6]. بحيث أن أول مستشفى شيد كان من طرف البيلرباي حسن بن خير الدين سنة1548م. إلا أنه إفتقد إلى التجهيزات والأدوات الضرورية، كما تم تشييد عدة مستشفيات لأسر المسيحيين من قبل الدول الأوروبية كفرنسا وإسبانيا، كالمستشفى الذي شيده الراهب الإسباني قاريدو rarido سنة 1662م[7].

وزاد من حدة هذه الأمراض خلال مرحلة الدايات عدم إهتمام الجزائريين بعلم الطب وهو ما أكدته العديد من المصادر الأوروبية، إذ كتب سيمون بفايفر عن وضع الطب في الجزائر

(1)- عائشة غطاس. الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الثقافة، ع76، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1978، ص ص 85-86.

(2)- أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ص ص430-433.

(3)- فلة موساوي القشاعي. الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1871) تحت اشراف الدكتور ناصر اليمن سعيدوني والأستاذ دانيال بانزاك،رسالة دكتوراه،جامعة الجزائر، 2003 -2004، ص47.

(4)- لويست فالنسي. المصدر السابق، ص28.

(5)- ناصر الدين سعيدوني. المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص88.

(6)- أرزقي شويتام. المجتمع الجزائري وفعاليته...، المرجع السابق، ص407.

(7)- المرجع السابق . ص 407.

قائلا: "... أما الطب لم يعرفوا عند الكثير... كانوا يعذبون الناس من خلال إستعمال النيران للكي والمواد السامة كدواء للناس ويلجأون الى بعض النباتات المخدرة القوية فيقع المريض ضحية جهل هؤلاء الأطباء..."[1].

في حين نجد أن حمدان خوجة ذكر عكس ذلك إذا قال أن سكان الجزائر أولوا اهتماما بالعلوم الطبية، والدليل تأليفهم للعديد من الكتب في العلوم الطبية[2]، فكتب العلماء عن داء الطاعون نظرا لماكان يخلّفه من كوارث، كتأليف الدر المصون في تدبير الوباء والطاعون لأبي راس الناصري، إتحاف المنصفين والأداب في الاحتراس عن الوباء لحمدان خوجة[3].

**الكوارث الطبيعية:** تسبب في تدهور النمو الديمغرافي في الجزائر خلال مرحلة الدايات ونذكر منها:

- **الزلازل:**

عرفت الجزائر خلال هذه المرحلة سلسلة من الهزات الأرضية تسببت في تخريب العديد من المدن وخسائر كبيرة في الأرواح، منها زلزال 1716م الذي ضرب مدينة الجزائر[4]، زلزال 1755م، زلزال 1825م الذي ضرب مدينتي الجزائر والبليدة[5].

- **الجفاف وإجتياح الجراد:**

عرفت الجزائر ظاهرة الجفاف في العديد من السنوات كجفاف 1705م[6]، جفاف 1796م الذي تعرضت له العديد من المناطق الغربية[7]، وجفاف 1804م الذي تسبب في حدوث

(1)- سيمون بفايفر. المصدر السابق، ص 170.
(2)- حمدان بن عثمان خوجة. إتحاف المنصفين و الأداب في الاحتراس عن الوباء...، المصدر السابق، ص21.
(3)- عائشة غطاس. الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني...، المرجع السابق، ص123.
(4)- عائشة غطاس. الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص67.
(5)- أحمد الشريف الزهار. المصدر السابق، ص18.
(6)- لوسيت فالنسي. المصدر السابق، ص32.
(7)- أرزقي شريتام. المجتمع الجزائري وفعاليته...المرجع السابق، ص433.

مجاعات كبيرة في العديد من مناطق الجزائر[1]، إضافة إلى إجتياح الجراد الذي يلحق أضرارا كبيرة بالمحاصيل الزراعية، ففي سنة 1814م تضررت مدينة الجزائر منه[2].

**المجاعات:**

إن ظهور الجفاف في الكثير من السنوات أثر على الإنتاج الزراعي، مما أدى إلى ظهور المجاعات مثل مجاعة 1780م، 1752م، 1778م، 1779م، فكان السكان يموتون من جراءها نتيجة للجوع، ومجاعة 1787م - 1789م، الذي تسببت فيها الجراد وصاحبها الوباء[3]، ومجاعة 1800م التي أدت إلى إختفاء الأقوات مما اضطر الداي مصطفى باشا الى الى استيراد القمح من موانئ البحر الأسود[4].

## 3. الأوضاع الديمغرافية:

إن الإحصائيات حول عدد سكان الجزائر خلال مرحلة الدايات قليلة نظرا لعدم اهتمام المصادر الأجنبية و المحلية بهذا الجانب، فقد وردت بعض الإشارات إلا أنها لا تعكس بصدق العدد الإجمالي لعدد سكان الجزائر خلال هذه المرحلة، لكن المتفق عليه هو أنه إبتداءا من منتصف القرن 18م، دخل النمو الديمغرافي في الجزائر مرحلة التراجع نتيجة لعدة عوامل أهمها:

- ضعف الأسطول الجزائري مما أدى إلى إنخفاض في عدد الأسرى.
- اشتداد الكوارث الطبيعية و التي أدت إلى تزايد في عدد الوفيات في مختلف مدن وأرياف الإيالة.
- توقف الهجرات الخارجية خاصة من قبل الأندلسيين[5].

---

(1)- أحمد الشريف الزهار.المصدر السابق، ص31.
(2)- المصدر السابق، ص 117.
(3)- ناصر الدين سعيدوني. الاحوال الصحية والوضع الديمغرافي في الجزائر اثناء العهد التركي، مجلة الثقافة، ع92 تصدرها وزارة الثقافة والسياحة الجزائر، 1986، ص105.
(4)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق،ص160.
(5)- حميد آيت حبوش. المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني 1519-1830 م على ضوء المصادر الاوروبية، رسالة ماجستير سيدي بلعباس، 2009، ص ص 80-81.

ولكي نحدد عدد سكان الجزائر رجعنا إلى العديد من المصادر المحلية والأجنبية التي أرخت لهذه الفترة، لكن هذه الدراسات قلّما تناولت تعداد سكان الجزائر، كما انها حتى وإن تطرقت إلى ذلك فلم تقدم إحصائيات دقيقة، ففي مذكرات وليام شالر ذكر أن عدد سكان الجزائرلا يتعدى المليون نسمة.وفي مقام آخر قدّر عدد السكان بثلاثة ملايين نسمة بعد سنة 1816م[1]

أما عن المصادر المحلية المهتمة بإحصاء سكان الجزائر خلال هذه المرحلة قليلة، نذكر منها ماورد في كتاب المرآة لحمدان بن عثمان خوجة الذي ذكر في كتابه: "... يسكن إيالة الجزائر عشرة ملاين نسمة، وتتكون هذه الإيالة من مدن وقرى وموانئ وأرياف، غير أن جزء الأكبر الذي هو قاعدتها ومصدر ثروتها يوجد خارج المدن التي يبدو انها تكوّنها ويسكن هذا الجزء اناس يطلق عليهم اسم البدو...".[2]

ويمكن إرجاع هذا الإختلاف إلى أن هؤلاء الأجانب الذين قدّموا إحصائيات حول عدد سكان البلاد لم يستطيعوا أن يعرفوا أوضاع الجزائرمثل السكان الأصليين، كما أنهم لم يمكثوا فترة طويلة بل زاروها مرة أو مرتين، كما أنهم لم يتعرفوا على كل مناطق الإيالة وإنما بعض مدنها الكبرى، هذا ماجعل إحصائياتهم مشكوكة.

**رابعا : الأوضاع الثقافية**

الثقافة هي عُصارة ما يتناوله الفكر في كل عصر ولدى كل جيل، وتمثلت مظاهر الثقافة في الجزائر خلال مرحلة الدايات في التعليم ومؤسساته المتمثلة في المساجد، المدارس، الزوايا والكتاتيب، فإذا نظرنا إلى الثقافة من هذه الزاوية، نجد أن هذه العناصر كانت متوفرة في الجزائر خلال هذه المرحلة، هذا ما أدى الى إجماع المصادر التاريخية على أن نسبة الأمية كانت ضئيلة جدا قبل إحتلال فرنسا للجزائر[3]، يذكر أبو قاسم سعد الله في تاريخه الثقافي، أن العاصمة كانت تضم عددا من المؤسسات الدينية التي لها دورا تعليميا[4]، ويعد

(1)ويليام شالر. المصدر السابق، ص38.
(2) المصدر السابق، ص92.
(3)- أرزقي شويتام. المجتمع الجزائري وفعالياته خلال العهد العثماني...، المرجع السابق، ص459.
(4) - أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص168.

بايليك الغرب من أهم مراكز الإشعاع الثقافي، نتيجة لتوفره على العديد من المراكز التعليمية التي كانت تستقطب الطلبة والعلماء[1]

ففي المدن إنتشرت المؤسسات التعليمية، منها ماكان خاصا يشرف عليه السكان ومنها ماهو عام تتولى أمره الدولة[(2)]، أما بالأرياف فاقتصر التعليم في الزوايا والمساجد فكانت كل قرية جزائرية تتوفر على مسجد[(3)].

وهنا يذكر أبو القاسم سعد الله أن سبب إنتشار المساجد والجوامع في مختلف المدن والقرى التلية والصحراوية في الجزائر، يرجع إلى التضامن في إنجازها مابين سكان الجزائر[(4)]، وإقتصر التعليم في الجزائر خلال مرحلة الدايات، على تعليم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن و الحساب هذا في المرحلة التعليمية الأولى، أما طريقتهم فتتمثل في الكتابة على الألواح الخشبية والقراءة بصوت مرتفع في لوحة الطالب، وبعد حفظ مافيها يعرض على شيخه وكانت هذه الطريقة التعليمية لاتكلف الكثير[(5)].

أما المرحلة التعليمية الثانية فخُصصت لتعليم اللغة وفروعها كالصرف والنحو والحساب وغيرها من العلوم الأخرى[(6)]، أما المرحلة الثالثة فكان الطلاب يتلقون فيها علم الأصول ومختلف الفروع الفقهية والتاريخ والمنطق والصرف[(7)].

ولا يختلف التعليم في المدارس عن التعليم في الزوايا ،إذ كان أهداف المدرسة تحفيظ القرآن الكريم إلا جانب تعليم مبادئ القراءة والكتابة وبعض العلوم الأخرى الدينية خاصة،كالحديث ،الفقه والتوحيد و هو نفس الدور الذي كانت تقوم به الزوايا[8]

([1]) حمدادو بن عمر .واقع الحياة الثقافية والفكرية في أواخر العهد العثماني ببايلك الغرب ،حوليات التاريخ والجغرافيا ،العدد4 ،مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة ،الجزائر،ص24.

(2)- جيمس لياندر كاثكارت. مذكرات اسير الداي كاثكارت، قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة وتعليق وتقديم اسماعيل العربي، د،و،ج ، الجزائر، 1982، ص99.

(3)- المصدر نفسه، ص66.

(4)- أبو القاسم سعد الله.تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، ص244.

(5)- وليام شالر. المصدرالسابق، ص182.

(6)- أرزقي شويتام. المجتمع الجزائري وفعالياته...، المرجع السابق، ص483.

(7)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص13.

(8) حمدادو بن عمر .واقع ...،المرجع السابق ،ص28

غلب على التعليم في الجزائر الطابع الديني، إذ أكد ويليام شالر أن العلوم الأخرى كالطب، الرياضيات، الكيمياء والفلك لم تكن منتشرة في الجزائر في قوله: "... وأما العلوم في الجزائر فإنها غير موجودة أو هي متى كانت موجودة محتقرة، بل إن علم الطب نفسه لايوجد من يدعيه..."(1).

أما عن المكتبات، فكانت الجزائر تتوفر على الكثير من الكتب التي غالبا ما تُجلب من الخارج خاصة من الأندلس، مصر، إسطنبول والحجاز، حيث كان للحجاج دور كبير في جلبها(2)، وتوزعت المكتبات بالمدن كالجزائر، تلمسان وبجاية، وقد تحدث أبو القاسم سعد الله عن المكانة العلمية لمدينة قسنطينة، قائلا أنها مدينة تضم منشآت عمرانية كثيرة كالمساجد والمدارس...إلخ، وإكتسبت نتيجة ذلك شهرة علمية في العالم الإسلامي لا تضاهيها سوى شهرة فاس والقاهرة، كما عُرف عن بجاية أنها حاضرة علمية كان يقصدها العلماء من كل المناطق(3)، وذكر أبو راس الناصري أن "وهران مدينة كثيرة العلماء والمدارس"(4).

وكانت المكتبات العامة والخاصة، تضم المخطوطات في مختلف العلوم ويقصدها الطلبة للمطالعة، خاصة المكتبات العامة التي كانت وقفا على المساجد والزوايا والمدارس5

ولعبت الجالية الأندلسية دورا كبيرا في الإثراء الثقافي خلال هذه المرحلة، إذ كان يتم النسخ بالخط الاندلسي، مشتهرة قسنطينة بالنساخين والخطاطين إضافة إلى غنى المكتبات بالمخطوطات في شتى المجالات(6).

وعرفت الجزائر العديد من العلماء والصالحين، ففي (كعبة الطائفين)أخبار مهمة عن علماء، ومنهم محمد بن فغول، إبراهيم الترزي، أحمد البوني صاحب شمس المعارف، محمد

---

(1)- ويليام شالر.المصدر السابق، ص183.
(2)- أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، المرجع السابق، ص ص244-245.
(3)- المرجع السابق، ص ص171-172.
(4) نفسه . ص 179.
(5) حمدادو بن عمر .واقع...، المرجع السابق ،ص ص 32،31
(6)- محمد بن ميمون الجزائري.التحفة المرضيّة في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق وتقديم، محمد بن عبد الكريم، ط2، ش و ن ت ، الجزائر، 1972، ص61.

السنوسي، محمد الهواري، أبو مدين شعيب، محمد التواتي، عبد الرحمات الثعالبي، أحمد بن يوسف الملياني، محمد علي الخروبي، بوعمران الهواري والشيخ السجراري[1].

لكن بالرغم من هذا الثراء إلا أن معظم المصادر التاريخية تتفق أن السلطة لم تولي إهتماما كبيرا بالجانب الثقافي والتعليمي، فالموارد المالية للمراكز التعليمية كان مصدرها الأساسي من المؤسسات الخيرية والصدقات والأوقاف، لكن في مقابل ذلك نجد ان العديد من الحكام اهتموا بالعلماء وبعض رجال الزوايا كباي معسكر ابراهيم الملياني 1751م-1756 م الذي قيل أنه كان محبا للعلم والعلماء وكان يكثر من جلوسهم والمذاكرة معهم(2).

(1)- أبو القاسم سعد الله.كعبة الطائفين مخطوط جزائري ، المجلة التاريخية المغربية، ع87، تونس،1977، ص64.

(2)- محمد بن يوسف الزياني. دليل الحيران وأنيس السهران في اخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، ش و ن ت ، الجزائر، 1979، ص197.



# الفصل الأول :

# السلطة السياسية في الجزائر خلال مرحلة الدايات

**أولا: مرحلة التأسيس والبداية**

إن إستنجاد الجزائر بالأتراك العثمانيون وبروز جهود الإخوة بربروس في تحرير الجزائرمن الإسبان، بعد أن إستجابوا لطلب المساعدة الذي قدمه أهالي مدينة الجزائر(1)، أدى إلى إرتباط الجزائر بالدولة العثمانية في مطلع القرن السادس العشر،هذا ما أدخلها في سلطة سياسية جديدة، كما أدخلها في نظم إدارية إقتصادية وعسكرية، تختلف عن ماكانت عليه من قبل(2).

ومر النظام السياسي في الجزائر خلال هذه الفترة(1519م -1830م) بعدة مراحل تاريخية، عبرت بشكل أو بآخر عن تعاقب السلطات الحاكمة، وكذا صلاحيات الحكام وعلاقتهم مع الباب العالي، وكان النظام في الجزائر خلال هذه المرحلة يقوم على مبادئ الإسلام والمذهبين الحنفي والمالكي.

لقد سبقت مرحلة الدايات مرحلة حكم قصيرة مقارنة ببقية فترات الحكم التي ارتبطت فيها الجزائر بالدولة العثمانية، عرفت بمرحلة الأغوات(1659م -1671م)*، وكان الحاكم يلقب بآغا الإنكشارية ويختار من بين العسكريين المتميزين، وتتفق الكتابات التاريخية على أن هذا العهد هو عهد تسلُط الجيش على الحكم كما تعتبر أصعب مرحلة حكم من تاريخ الحكم العثماني في الجزائر(3).

جاء هذا النظام* كمحاولة لإيجاد نوع من الإستقلالية داخل الطبقة الحاكمة، وحددت فترة حكم الآغا بسنة، وأول آغا حكم الإيالة خليل بلكباشي1659م. وهو الذي حرك الإنقلاب نظام الباشوات باعتباره من أبرز أعضاء الديوان ومن أكثرهم نفوذا، اُتخذت في فترة حكمه عدة

---

(1)-Walsin Esterhazy, De la domination turque dans l’ancien régence d’Alger, lib de Charles Glosslin, Paris, 1840, p126

(2)- مجهول. كتاب غزوات عروج وخير الدين، تصحيح وتعليق: نورالدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية، الجزائر1934، ص27.

* الأغا هي كلمة تركية تعني السيد وكانت تطلق على رئيس القوات الإنكشارية ويسمى آغا الإنكشارية ويختار من بين العسكريين المتميزيين

(3)- حنيفي هلايلي. أوراق في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني...، المرجع السابق، ص134.

*سبقت هذه المرحلة مرحلة الباشوات1587م - 1659م وتميزت هذه المرحلة بالصراع بين الجيش الإنكشاري و طائفة الرياس بسبب تطلع ضباط الإنكشارية إلى الحكام بجمع الأموال في إنتظار إنتهاء مدة الولاية التي حددت بأربع سنوات،أنظر مبارك الميلي تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ج3،مكتبة النهضة الجزائرية،الجزائر 1964م ص 137.

تدابير لتنظيم مالية الجزائر، ذلك من خلال العمل على توفير موارد إضافية للخزينة، كما عمل على تفعيل حركة التجارة، واستطاع دفع أجور الانكشارية في وقتها المحدد، مما جعلهم يكنون له الإحترام حتى لقبوه "بابا خليل"[(1)]. قام الديوان بعد ذلك بتجديد عهدته مرة ثانية إلا أنه تعرض للإغتيال في أكتوبر 1660م.

خلفه في الحكم إبن عمه "رمضان بلكباشي" المعروف باسم "يورك رمضان" (1660م-1661م) الذي عمل على توطيد سلطته من خلال توزيع الأعطيات على الجنود الإنكشارية. هذا ما جعله يكسب ودّهم و يطلق لقب "بابا رمضان" وشهدت فترة حكمه تعاظم نفوذ الأغوات المعزولين من أعضاء مجلسه الذين تقاسموا فيما بينهم مختلف المناصب العليا في الدولة[(2)]، لكن هذا الآغا لقي حتفه من قبل الجنود، خلفه في الحكم شعبان آغا (1661م-1664م) عرف عنه مواجهته لخطة الملك الفرنسي لويس الرابع عشر الهادفة لإيجاد مناطق نفوذ فرنسية بسواحل بلاد المغرب[(3)].

بالرغم من فرض سيطرته على نظام الحكم إلا أن محاولته الإعتداء على إبراهيم باشا جعلته يتعرض للقتل عن طريق الشنق[4]، بعد ذلك وصل إلى الحكم "علي آغا" الذي عُرف بحزمه في إتخاذ القرارات، لكنه تعرض للإغتيال في 24 سبتمبر1671م من قبل الإنكشارية، فكانت النتيجة إنتشار الفوضى وإنعدام الأمن وإستياء الباب العالي من إنفصال حكام الجزائر عنها وقطع كل المساعدات عنهم[(5)].

هذا ماجعل الكل يرفض الإقتراب من هذا المنصب خوفا من نفس المصير وهو الإغتيال، وبهذا إجتمع الديوان وقرر إنهاء نظام حكم الأغوات الذي تميز بتراجع نفوذ السلطان العثماني في الجزائر، استفحال الصراع بين ضباط القوات البرية وطائفة الرياس، انتشار الفوضى،قصر مرحلة الآغوات مقارنة بالمراحل الأخرى من إرتباط الجزائر بالدولة العثمانية.

(1)- أمين محرز. المرجع السابق، ص79-80.
(2)-المرجع السابق، ص88.
(3)- ناصر الدين سعيدوني. ورقات جزائرية ...، المرجع السابق، ص50.
(4)- عمار بوحوش. التاريخ السياسي للجزائر ...، المرجع السابق، ص59.
(5)-المرجع السابق، ص61.

وبذلك تم سحب منصب الآغا وتعويضه بمنصب آخر في الجزائر وهو منصب الداي، لتدخل الجزائر بداية من سنة 1671 م إلى مرحلة جديدة عرفت بمرحلة الدايات، أصبحت فيها السلطة مستقلة عن الباب العالي حيث تنازل هذا الأخير عن تعيين حكام الجزائر، وأصبحت طائفة الرياس هي من تتولى إنتخاب الداي، مع إحتفاظ السلطان العثماني بحق تأكيد الإختيار عن طريق إرسال القفطان والسيف للداي كرمز لتكليفه بالسلطة[1]، وكان مقر الحكم القصبة [2]، بعدما كان الباب العالي هو الذي يرسل الباشا، الذي توكل له مهمة السيادة، والجيش الانكشاري هو الذي يشرف على تحقيق الأمن الداخلي ويعزل ويعين من الحكام من يشاء[3].

وكدليل لولاء الحكومة الجزائرية للباب العالي، كانت تقدم مرة كل ثلاث سنوات هدية إلى القسطنطينية مع السفير الموجود في الجزائر في حين ذكرت بعض الكتابات التاريخية أن الحكومة في الجزائر خلال مرحلة الدايات أصبحت لاتدفع الضريبة إلى الباب العالي بالرغم من أنها كانت تحت حمايته، إذ أصبحت تكتفي بإرسال بعض الهدايا الثمينة والخيول العربية الأصيلة سنويا كرمز للولاء[4].

وبذلك يمكن أن نقول بأن الجزائر خلال مرحلة الدايات أصبحت تحكم بنظام من نوع خاص ميزته الأساسية أنه يجمع مابين الصبغة المدنية والعسكرية، الصبغة المدنية تتجلى في لجوء الداي إلى العلماء لإستشارتهم لحل المشاكل التي تعاني منها الإيالة، أما الصبغة العسكرية فتظهر في الديوان الذي يعين الداي أو يعزله والذي كان يتكون من الغالبية العسكرية[5] ، وكان الداي عادة من الموظفين الكبار في السلطة أو من الذين إشتغلوا في

(1)- وليام شالر. المصدر السابق، ص41.
(2)-المصدر السابق، ص98-99.
(3)- جيمس ويلسون ستيفانس. الأسرى الامريكان في الجزائر، 1785-1797، ترجمة على تابليت، دار تالة، الجزائر، 2007، ص 162.
(4)- المرجع السابق، ص162.
(5)- محمد العربي الزبيري. المرجع السابق ،ص120.
*الداي :اختلفت المصادر في التعريف بالداي،فنجد أن الداي كلمة تركية بمعنى الخال او الرئيس ،ثم استعملت بمعنى الحاكم ،كما نجد أنها تعني العم، وهي تسمية تتوافق مع آمر الجيش في تونس ،وأصبحت هذه التسمية تطلق على الحاكم الأعلى للجزائر،للمزيد أنظر وليام سبنسر،الجزائر في عهد رياس البحر ،ص 39.

منصب خليفة الباي[1].

كان يتم انتخاب الداي* من طرف الديوان أو المجلس العمومي[2] والذي يتشكل من ضباط يقودون التشكيلة العسكرية، وقد بين ويليام شالر أهمية الديوان في تسيير نظام الحكم فيقول: "... كان الديوان جهاز الدولة الحقيقي يناقش جميع الإجراءات الحكومية ويتخذ القرارات..."[3].

يتكون الديوان من ديوانيين، الديوان الصغير يتكون من 24 ضابط من الأوجاق[4]، فكان بمثابة مجلس للوزراء يجتمع أعضائه كل يوم لدراسة المسائل العادية المتعلقة بالحكم، أما إجتماع يوم السبت فكان يخصص لدراسة المسائل ذات أهمية[5]، و يتكون الديوان من خمسة خمسة وثلاثين شخصية عسكرية ومدنية تشرف على تسيير الدولة، أما الديوان الكبير يتكون من سبعين إلى ثمانين عضو، وأعضاءه من كبار الضباط والعلماء والمفتيان المالكي والحنفي، يعقدون إجتماعات في المناسبات الرسمية لمناقشة القضايا الهامة[6].

ولابد من توفر مجموعة من الشروط في أعضاء الديوان وهو ما ذكره حمدان خوجة وهي شروط، ينص عليها القانون الذي وضعته الحكومة وأهمها: الخبرة و المقدرة، أن يكون عمل في الجيش البري أو البحري، كما كان أغلبهم من المتقدمين في السن، يترأس الديوان آغا العسكر الذي تدوم مهمته في رئاسة الديوان شهرين. إذ يتولى كل عضو الرئاسة بالتناوب حسب الأقدمية، وإذا حصل إختلاف يتم الفصل بإنتخاب وتعيين الذي يحصل على أغلب الأصوات، ولا يتم دفع أجور الجنود إلا بحضوره ومن مهامه كذلك تطبيق العدالة ومعاقبة

---

(1)-Gorguos.M , Notice sur le Bey d'Oran,Mohammed El Kebir, RA, n°57, 1856, Alger, p406.

(2)- جيمس ويلستون ستيفانس. المرجع السابق،ص163.

(3)- وليام شالر، المصدر السابق. ص42.

(4) كان لمصطلح الاوجاق ثلاث معاني ،يستعمل من جهة بمعنى "أورثة orta " أي وحدة عسكرية من وحدات الجيش الانكشاري الموجودة بالجزائر والبالغ عددها 420، كما كان يستعمل للدلالة عل الجيش النظامي، للمزيد ينظر حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، دار الهدى للنشر، الجزائر2007، ص11.

(5)- وليام سبنسر. الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر ،الجزائر.2007، ص77.

(6) نور الدين عبد القادر. صفحات في تاريخ الجزائر، من أقدم عصورها الى انتهاء العهد التركي، كلية الآداب الجزائرية، قسنطينة، 1965، ص73.

كل من يخل أو يتعدى على القوانين[1].

لنعود إلى الحديث عن الداي الذي يعتبر صاحب السلطة السياسية الأولى في البلاد بعد إنتاخبه من قبل الديوان، يقوم السلطان العثماني بإرسال القفطان والسيف كرمز لتكليفه بالسلطة[2]، وأكد ذلك حمدان خوجة في قوله: "... ولايحصل الداي أو الباشا على مرتبة إلا منهم ( يقصد أعضاء الديوان ) وبحضورهم وحتى عندما يبعث الباب العالي بالقفطان والفرمان..."[3].

أما عن طريقة التنصيب فتتم بتنظيم إحتفالات، إذ يعقد الديوان إجتماعا في قاعة لمقر الحكم، وينصب الداي الحاكم وسط المجتمعين[4]، ثم تكتب رسالة تحمل إمضاء وختم كل واحد من أعضاء الديوان والقاضي والمفتي ونقيب الأشراف.[5]

ليوافق بعد ذلك أعيان المدينة على هذا الاختيار ويشهدون على قدرة الشخص المعين على تولي أمور الحكم[6]، أما عن الأشخاص المخوّلين لتولي المنصب فتذكر الكتابات التاريخية أنه في الغالب تتولاه شخصيات بارزة في هرم الدولة كمنصب الخزناجي، آغا العرب، أو خوجة الخيل[7]، أما حمدان خوجة فيذكر أن الداي يعين من أعضاء الحكومة ويكون أما وكيل الخرج أو الخزناجي[8]، في حين أن وليام شالر يذكر أنه يمكن لأي شخص من الأتراك الأتراك أن يرشح نفسه لتولي منصب الداي بمجرد إنخراطه في صفوف الجيش الإنكشاري[9].

(1)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة ،المصدر السابق، ص121-123.
(2)- وليام شالر. المصدر السابق، ص41.
(3) الفرمان: كلمة فارسية تعني عهد السلطان للولاة، ويتضمن الفرمان عادة الأوامر والتوجيهات، ينظر حمدان بن عثمان خوجة المرأة ص121.
(4)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص121.
(5) يختار نقيب الاشراف من الأسر الشريفة التي تنتمي الى أحد المرابطين ويوجد نقيب الأشراف في كل مدينة ومن مهامه تنظيم شؤون المدينة، إذ يستشار حول مختلف قضايا المدينة ، ينظر حمدان بن عثمان خوجة ،المراة ص ص125-126.

(6)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص132.
(7)- عبد الرحمان الجيلالي.المرجع السابق ، ص188.
(8) حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص127.
(9)- وليام شالر. المصدر السابق، ص45.

لم يكن منصب الداي وراثيا وإنما كان إنتخابيا وهو مايستخلص من قول حمدان خوجة أن الحكم في الجزائر ليس وراثيا، إذ أن الإستحقاق الشخصي لاينقل إلى الأطفال، وبعبارة أوضح نستطيع القول بأن الجزائريين إختاروا مبادئ الحكم [1]الجمهوري [(2)].

حرص هؤلاء الدايات على الظهور كرمز قوي للدولة، خاصة أمام القناصل الأوروبيين والتجار الأجانب اللذين يتعاملون معهم، وهو ماأكده القنصل الأمريكي في الجزائر بين سنوات (1795م-1797 م)، "جويل بارلو joel barlow" واصفا الداي سيدي حسن إثر مقابلة معه قائلا: "... لقد أكتست قدمه بجلد ناعم رفيع امتد لإحاطة بساقيه، مع أزرار الماس في خيوط مرصعة بالأحجار الكريمة. وحول وسطه حزام عريض يلمع بالحلي وقد تدلى منه سيف عريض يتكون غمده من أجود أنواع القطيفة وفي حزامه قد التصق خنجر ومسدسان قيل أنهما كانت هدية من لويس الرابع عشر، وذلك الخنجر من الذهب الخالص"[(3)].

وتتفق الكتابات التاريخية على أنه كان لابد من توفرمجموعة شروط لإختيار الداي نذكر منها:

- الخبرة السياسية والقدرة على تولي شؤون الحكم التي تعد شرطا أساسيا في الحاكم الذي يعين لتسيير البلاد، وهو مايستخلص من حديث حمدان خوجة حول أعضاء الديوان: "... يجب أن يبرهن عن خبرة ومقدرة"، فالدايات المعينون أغلبهم تولوا مناصب إدارية كوكيل الخرج، الخزناجي[(4)].
- حرصه على تطبيق العدالة بين الناس.
- حرصه على تطبيق القوانين المدنية والعسكرية.
- توفير الأمن من خلال الإشراف على تنظيم الجيوش وتهدئة القبائل الثائرة[(7)].

(1) نظام الحكم في الجزائر كان نظاما حمهوريا عسكريا مغلقا، فهو جمهوري لأن منصب الداي انتخابي وليس وراثي خلال مرحلة الدايات، وعسكري لأن الداي كان من العسكريين، ونظام مغلق لأن نظام الحكم لا يسمح إلا للأوجاق بممارسة السلطة، ينظرابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص144.

(2)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص127.

(3) وليام سبنسر. المرجع السابق، ص92-93.

(4)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص121.

- معرفة أوضاع الإيالة، من خلال الإطلاع على سكانها ومراقبة سلوك ولاتها ومدى تطبيقهم للعدالة وأداء واجباتهم[1].

إلا أن هذه الشروط لم تكن متوفرة في كل الدايات الذين حكموا الجزائر، فالكثير منهم اشتهروا بإستبدادهم وفي هذا الصدد روي المقيم البريطاني بمدينة الجزائر السيد bruce عندما زار الداي قائلا: " وجدته ذات مرة في قاعة استقباله ملطخا بالدماء...، وكثير ما يحدث هذا وذلك بقطع رؤوس رعاياه..."[2].

كما أن العديد من الدايات وصلوا إلى الحكم عن طريق إراقة الدماء، هذا ماجعل الحكام يحيطون أنفسهم بفرقة من الحرس، لأنه بامكان اي جندي له شجاعة أن يقتل الداي ويتولى الحكم مكانه[3].

إضافة إلى أن الكثير منهم لم يحرصوا على تحقيق المساواة والأمن بين السكان، إذ يجبرونهم على دفع الضرائب بطريقة تعسفية، حول ذلك يقول سيمون بفايفرأن الحكام يقومون بتعيين موظفين يجمعون الضرائب بطريقة تعسيفية، حتى أصبح سكان المنطقة يكنون الكره لهم ولايطمئنون على حياتهم، ولا أموالهم مما جعلهم أكثر تعاسة[4]. كما كان إنتخاب العديد من الدايات يتم في جو من المؤامرات والدسائس التي يدبرها في الغالب الإنكشارية، الذين يخططون لقتل الداي ليترك الحكم لداي آخر كما يقتلون أو يبعدون أنصاره وأصدقائه وتنهب أموالهم بعد ذلك[5].

وقدم أحمد الشريف الزهار أمثلة عن إغتيال الدايات منهم "مصطفى باشا"(1805م) الذي تعرض للإغتيال على يد فرقة عسكرية إنكشارية، والتي قامت بعد ذلك باستقدام "أحمد خوجة الخيل"(1808م) إلى دار الإمارة، وترشيحه ليكون دايا على الجزائر[6]، وبالفعل تم تنصيبه وأصبح دايا على الجزائر وهنا يتضح جليا تدخل الجيش الإنكشاري في شؤون

---

(1)-المصدر السابق، ص131.
(2)- جيمس ويلسون ستيفانس. المرجع السابق، ص163.
(3)- المرجع السابق، ص164.
(4)- سيمون يفايفر. المصدر السابق، ص159.
(5)- وليام شالر. المصدر السابق، ص46.
(6)- الحاج أحمد شريف الزهار. مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط2، الشركة و.ن.ت، الجزائر، 1980، ص89.

الحكم، إذ كان يقوم بعزل وتعيين الحكام وفقا لمصلحتهم الخاصة والسعي وراء الإمتيازات والمكافآت والهدايا والزيادة في الأجور وترقية رتبهم، متجاوزين بذلك تحمل مسؤولياهم بشكل صائب يخدم مصالح البلاد.

**ثانيا:التنظيم الهيكلي للسلطة السياسية :**

إرتبط التنظيم الهيكلي للسلطة خلال الفترة العثمانية بهيئة من الموظفين السامين اللذين يشرفون على مختلف الأجهزة، إضافة إلى مجموعة من الموظفين التابعين، ويأتي الداي في أعلى الهرم والذي يعتبر صاحب السلطة العليا في البلاد، لذلك سوف نحاول أن نقسم هؤلاء الموظفين حسب درجتهم في الحكم:

**أ. الموظفون السامون:**

**- الداي:**

يعتبر الداي المسؤول الأول عن جهاز الحكم بالجزائر، والممثل الشرعي للسلطان العثماني، فهو حسب تعبير العديد من المصادر التاريخية "الحاكم المستبد والسيد المطلق الصلاحية بالبلاد"[(1)]، أما عن الأشخاص المخولين لتولي هذا، المنصب فيذكر حمدان خوجة أن الداي يكون الغالب من الموظفين في الحكومة وهما الخزناجي ووكيل الخرج[(2)].

أما عن دورهم فقد تطرق إليه وليام سبنسر وإختصره في عدة نقاط مهمة أهمها:

تحقيق العدالة داخل المجتمع، الإشراف على العلاقات الخارجية كإعلان الحروب والتوقيع على معاهدات السلام[(3)]، كما له أيضا مسؤولية تطبيق القوانين العسكرية والمدنية وتنظيم الجيوش[(4)]، ومن مهامه أيضا عقد إجتماعات الديوان وتلقي الضرائب والأتاوات من مختلف مختلف الدول الأوروبية ومن البايات وتعيين الموظفين الرسميين لمختلف المناصب

(1)- ناصر الدين سعيدوني. موظفوا الدولة الجزائرية في القرن التاسع عشر،د ط ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 2009، ص ص9-10.
(2)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة ، المصدر السابق ، ص127.
(3)- وليام سبنسر. المرجع السابق، ص ص 89-99.
(4)- محمد العربي الزبيري. التجارة الخارجية للشرق الجزائري ...، المرجع السابق، ص 17.

الحكومية[1]. ويساعد الداي في مهامه مجلس الديوان الذي تُتخذ فيه جميع القرارات المتعلقة بشؤون البلاد، لذلك فجميع القوانين يحددها الديوان قبل أن تصبح قانونا[2].

**- الخزناجي:**

هو الوزير الأول للدولة يقوم بتسيير الشؤون المالية والداخلية، كما يقوم بحفظ مفاتيح خزانة المال[3]، كان الخزناجي يباشر مهامه بحضور الداي وأعضاء الديوان فأصبح الشخصية الثانية المؤهلة لتولي منصب الداي في حال شغوره، ولم يقتصر دوره على الجانب المالي بل تعداه إلى الجانب العسكري، حيث كان يقود في الكثير من الأحيان الحملات العسكرية مثلما حصل مع الخزناجي "إبراهيم خوجة"، الذي قاد الحملات العسكرية على ثورات نواحي وهران( 1734م-1736م)[4].

**- بيت المالجي**:

هو الموظف السامي المشرف على مصلحة الأملاك والثروات التي تعود إلى الدولة، كما يعتبر المسؤول عن حيازة الثروات المنقولة والغير منقولة إلى بيت المال بناءا على الأحكام الشرعية، وذلك بعد موت أصحابها أو فقدانهم وعدم وجود أمل في رجوعهم إذ انعدم الورثة الشرعيون[5].

يبدأ بيت المالجي وظائفه بتفويض من الداي، ويساعده في أداء مهامه قاضي يعرف بإسم الوكيل وموثقين يلقبان بإسم العدول، يتم إختيارهم أو عزلهم من منصبهم بأمر من الداي[6]،

(1)- وليام سبنسر. المرجع السابق، ص93.
(2)- جيمس ويلسون ستيفانس. المرجع السابق، ص162.
(3)- جيمس ويلسون ستيفانس. المرجع السابق، ص165.
(4)- حنيفي هلايلي. أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ...، المرجع السابق، ص139.
(5)- المرجع السابق، ص ص139-140.
(6)- ناصر الدين سعيدوني. موظفوا الدولة الجزائرية في القرن التاسع عشر...، المرجع السابق، ص20.

يعتبر هذا المنصب من المناصب الحساسة في الحكومة فقد تولاه المنخرطون في الجيش من القياد[1].

**- وكيل الخرج[2]:**

هو المسؤول عن الشؤون البحرية والخارجية ويقوم بإصدار جميع الأوامر المتعلقة بها، وغالبا ماكان يبقى بجانب البحر حتى يراقب كل مايجري في البحرية[3]، عرفت صلاحياته نموا متزايدا منذ أواخر القرن الثامن عشر.

فبعدما كانت مهام تتركز على متابعة علاقات الجزائر الخارجية أصبح بعد ذلك مجبرا على التعامل مباشرة مع القناصل الأجانب، بعد عملية إصلاح الهياكل الإدارية التي قامت بها الدولة سنة 1807م في عهد الداي "أحمد باشا" (1805م-1808م)*.

**- آغا العرب:**

هو القائد الأعلى ويمكن تسميته بوزير الحربية[4]، يكون من أقدم ضباط الجيش ويشرف على منصبه ككل ضابط حسب رغبة الداي، حيث يقوم بإصدار الأوامر العسكرية[5]، يقول حمدان خوجة حول هذا المنصب "...الآغا هو درجة سامية إذ هو الذي يقود وحدات الفرسان التي تتكون في معظمها من العرب أو القبائل، وعليه يتحتم على الآغا أن يتكلم العربية ليتمكن من إعطاء الأوامر وتسيير جيوشه...[6]. تقدر المدة الزمنية لهذا المنصب بشهرين قمريين، لذلك كان يتداول على هذا المنصب ستة أغوات سنويا، وعند تقاعده يمكنه ممارسة القضاء[7].

**- خوجة الخيل:**

(1)- عائشة غطاس وآخرون. الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها...، المرجع السابق، ص119.
(2)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص126.
(3)- جيمس ويلسون ستيفانس. المرجع السابق، ص165.
(4- وليام شالر. المصدر السابق، ص43.
(5)- جيمس ويلسون ستيفانس. المرجع السابق، ص170.
(6)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص128.
(7)- حنيفي هلايلي. بنية الجيش الجزائري...، المرجع السابق، ص40.

هو الذي يشرف على أملاك الدولة[1]، كما كان يشرف على تجنيد الفرسان (رجال المخزن)، مما جعل له نفوذ على عرب الصحراء، وعرفت صلاحياته توسعا مع مرور السنين حتى أصبح يتولى قيادة الفرق العسكرية[2]، كما له الحق في التصرف في الخيول والجمال[3] المخصصة لنقل الجيوش والعتاد الحربي، التي يقوم بتوزيعها على مختلف قبائل الإيالة لتتولى الإعتناء بها والمحافظة عليها [4].

**ب. الموظفون التابعون:**

يشكل الموظفون التابعون للحكومة إطارا متميزا له صلة مباشرة بالموظفون السامون اللذين يقومون بتعيينهم وتحديد مهامهم، تميز هذا الإطار بكثرة عدد موظفيه وتعدد مهامهم ومن أهم هؤلاء الموظفين نذكر:

- **الكُتّاب الأربعة :** (الخوجاباشي).

- الكتاب الاول: المعروف عادة بإسم المقاطعجي، هو المكلف بفرض الضرائب والمحافظة على سجل المحاسبات.

- الكاتب الثاني أو الدفتر دار: مكلف بتسجيل دخل دفتر البلاد وحق مراقبة مخازن الدولة.

- الكاتب الثالث (وكيل الخرج الصغير): مهتم بالسجلات الخاصة بغنائم البحر، فهو المشرف على الأمور البحرية.

- الكاتب الرابع الرقماجي: يعمل هذا الكاتب بالمحافظة على السجلات المتعلقة بالبلد كالشكاوي الصادرة على القناصل المقيمين في مدينة الجزائر ويساعده في مهامه مترجم.

---

(1)- وليام شالر. المصدر السابق، ص43.

(2)- أحمد الشريف الزهار. المصدر السابق، ص45.

(3)كانت الخيول والجمال التي توزع على القبائل تدمغ بخاتم الدولة، واذا وقع حادث يؤتي بقطعة الجلد التي تحمل العلامة على موقت الحيوان،لذلك حظيت بعناية خاصة من قبل هذهع القبائل خاصة وانها تجد منفعة فيها لاستعمالها في قضاء حاجاتها، ينظر حمدان بن عثمان خوجة، المرأة ، ص128.

(4)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، ص128.

- **الخوجات:** يكلف هؤلاء الموظفي بمختلف الأعمال الإقتصادية والإجتماعية، وتميزوا بكثرة عددهم وتنوع مهامهم من خوجة لآخر، ويكون أغلبهم من العناصر التركية ويتقاضون نفس المرّتب نذكر منهم:

- خوجة الباب: يفتح أبواب القصر ويغلقها.
- خوجة الخيل: هو الذي يشرف على أملاك الدولة.
- خوجة الراب: هو المكلف بمخازن القمح في المدينة.
- خوجة السر: وهو الكاتب الخاص الذي يستعين به الداي.
- خودة الرحبة: هو الموظف الذي يشرف على أسواق الحبوب في المدن.
- خوجة الملح: يشرف على اسواق الملح[1].

- **القياد:** يكلف القياد بالمحافظة على الأمن والإستقرار الداخلي، كما يقومون بإستخلاص الضرائب من سكان الأرياف، وأغلبهم من الأتراك والكراغلة، يصفهم سيمون بفايفر بقوله: "...عنيت الإدارة قياد من الأتراك خاضعين لآغا أفندي الذي يخوّل للقياد مهمة جمع الضرائب[2]. كما وجدت فئة أخرى من القياد داخل المدن مهمتهم الإشراف على سير الخدمات الإجتماعية كقائد العبيد، وقائد الشوارع[3].

- **الضباط المتقاعدون:** هم عبارة عن مجموعة من الضباط يكونون في مجلس الأوجاق في الجزائر، يترأسهم الكاهية وهو من أقدم الضباط، والذي يكسب صفة رئيس الديوان، تدوم مهمته في رئاسة الديوان شهرين، ومن مهامه تطبيق العدالة على الأتراك والكراغلة الذين يُخلون بقواعد الإنضباط أو يتعدون على القوانين[4]، يتولى هؤلاء الضباط مهمة توزيع الرواتب على الجنود والإشراف على الثكنات العسكرية[5].

(1)- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري...، المرجع السابق، ص20.
(2)- سيمون بفايفر. المصدر السابق، ص161.
(3)-المصدر السابق، ص172.
(4)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص122.
(5)- عمار عمور. الجزائر بوابة التاريخ...، ص113.

- **الشواش:** هم موظفون يشرفون على الأعمال الثانوية، ويتزعمهم باش شاوش الذي يقوم بتوزيع مختلف المهام عليهم[1]، ويمكن التعرف عليهم من خلال الألقاب التي تطلق عليهم، إذ نجد شاوش[2] الإنكشارية[3]، وشاوش الجماعات [4] ( الفئة البرانية )[5].

إضافة إلى هؤلاء الموظفين، يوجد موظفين مختصين في الجانب القضائي كقاضي العدل و الوكيل، ويتم اختيارهم في الغالب من العلماء والفقهاء في الدين، ونجد قاضيان ومفتيان أحدهما مالكي والآخر حنفي[6]، والذين يتمثل دورهم في النظر في مختلف القضايا التأديبية والجنائية المدنية والحكومية[7].

فالهدف الأساسي لهؤلاء الموظفين المشكلين لجهاز الحكم، هو تمثيل سلطة البلاد وتحقيق مصالحهم و مصالح السكان، وإستمرار أجهزة الحكم وإستقرار المنصب وضمان الموارد المالية المتنوعة للإيالة الجزائرية.

(1)- ناصر الدين سعيدوني. ورقات ... ، المرجع السابق، ص191.
(2)هو موظف المكلف برعاية شؤون الجند و حاجات الثكنات، إذ يتولى تصريف الأمور اليومية و إنجاز المهام العاجلة
(3) أنظرعبد الله بن محمد الشويهد . قانون أسواق مدينة الجزائر، ص57.
( 4) هم الرجال المكلفون بالحراسة من طرف أمناء الجماعات الحرفية المهنية التي قدمت إلى مدينة الجزائر من مختلف الأقاليم و المعروفين بالبرانية أو الدخلاء أنظر عبد الله بن محمد الشويهد ، المصدر السابق ، ص90.
(5)- عبد الله بن محمد الشويهد . المصدر السابق، ص 90.
(6)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص110.
(7)- المصدر السابق، ص110.

**ثالثا: البايلكات و السلطة**

**1/ الجهاز الإداري للبايلكات**

منذ بداية إرتباط الجزائر بالدولة العثمانية أدخل تنظيما إداريا جديدا، ذلك من أجل التحكم في الإيالة الجزائرية بمدنها وقراها ودواويرها سواء في المناطق الشمالية أو الجنوبية، وبقي هذا التقسيم الإداري تسير عليه الإيالة في مختلف مراحل الحكم العثماني بما فيها مرحلة الدايات:

كانت الجزائر خلال مرحلة الدايات ترتكز على تقسيما إداريا، يتمثل في أربع أقاليم تسمى بايليكات، وكان على رأس كل إقليم موظف يحمل لقب "باي"يعين من قبل صاحب أعلى سلطة في البلاد هو الداي وهذه الاقاليم الأربعة هي:

- **دار السلطان:**

يعتبر مقر الحكم ومركزالسلطة يعود تاريخ تأسيسه الى سنة 1516م ذلك عندما إستنجد سالم التومي حاكم الجزائر بالإخوة بربروس، بهدف تحرير صخرة البانيون من قبضة

الإحتلال الإسباني، وتعد دار السلطان النواة الأولى للإدارة العثمانية، وضمت عددا من المدن وهي مدينة الجزائر، شرشال، دلس، مليانة، البليدة، القليعة(1).

يمتد بايلك دار السلطان من دلس إلى مدينة شرشال غربا، ومن ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى سفوح الأطلس البليدي جنوبا.

وكان بايلك دار السلطان يتميز بوفرة الأراضي الزراعية، ويتضح ذلك من خلال ماصرح به العديد من العسكرين الفرنسيين في السنوات الأولى لإحتلالهم لمدينة الجزائر، إذ أكدوا أنها تتوفر على عشرات الهكتارات من الأراضي الخصبة في سهل المتيجة(2). كما تذكر العديد من المصادر أن سهل المتيجة يعتبر من أجمل الأراضي وأوسعها في العالم، وذلك نظرا لمناخه الملائم وخصوبة تربتها، إذ كانت تنتج في هذه المنطقة العديد من المحاصيل الزراعية كالقمح، الشعير ومختلف الأشجار كالزيتون، الجوز(3)، كما عرفت هذه المنطقة زراعة القطن وإنتاج العسل، إذ ذكر حمدان خوجة أنه كان يمتلك أراضي لزراعة القطن، ويمتلك أيضا في هذا السهل حوالي ستمائة معسلة(4).

إضافة إلى النشاط الزراعي تمركزت في مدينة الجزائر العديد من الصناعات كصك النقود وصنع الأسلحة، وأحياء خاصة بالحدادين، النجارين والدباغين(5)، ينقسم البايلك إلى أوطان على رأس كل واحد منها قائد عربي أو تركي، ويتكون الوطن من مشايخ تجمع الواحدة قبيلة أو أكثر يترأسها شيخ من الأهالي(6).

- **بايلك الشرق:**

يمتد من الحدود الشرقية لبايلك التيطري ودار السلطان إلى الحدود الغربية لتونس، ومن ساحل البحر المتوسط شمالا إلى الصحراء جنوبا، عاصمته قسنطينة، يتشكل من أربعة أقسام إدارية لكل منها حاكم مستقل يخضع للباي مباشرة، فنجد القسم الشرقي يضم مواطن

---

(1)- أرزقي شويتام. المجتمع الجزائري وفعالياته ...، ص42-43.
(2)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص10.
(3)- محمد العربي الزبيري. التجارة الخارجية للشرق الجزائري...، المرجع السابق، ص69.
(4)- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة . المصدر السابق، ص18.
(5)- محمد العربي الزبيري. المرجع السابق، ص61.
(6)- المرجع السابق . ص21.

الحناشة، القسم الغربي يمتد من سطيف إلى جبال البيبان، أما القسم الشمالي يمتد من عنابة إلى بجاية والقسم الجنوبي يضم الصحراء[1].

ويعد هذا البايلك من أغنى البايلكات، كانت هذه المقاطعة تعتمد على الفلاحة نظرا لشساعة مساحتها وتوفرها على السهول الصالحة للزراعة، كسهول عنابة التي تمتد على مساحة واسعة تقدر بحوالي ألف ومائتي ميل مربع[2]، إضافة إلى إعتماد سكان المناطق الريفية على النشاط الرعوي، أما سكان المدن فكانوا يعتمدون على النشاط الحرفي[3]، هذا ماجعل بايلك الشرق يعرف تمركزا للنشاط الصناعي ومن أهم مدنه الصناعية، مدينة قسنطينة التي كانت تتوفر على ثلاثة وثلاثين معملا لدباغة الجلود، وخمسة وسبعون معملا للسروج، ومائة وسبعة وستون معملا للأحذية[4].

فغنى المنطقة زراعيا وصناعيا جعلها تعرف حركة تجارية واسعة عبر طرقها البرية والبحرية، فكان ميناء عنابة على إتصال بموانئ أوروبا[5].

- **بايلك التيطري:**

وعاصمته المدية[6]، يصف حمدان خوجة مدينة المدية عاصمة التيطري قائلا:"... سكان المدية شجعان ومتصلبون، ولايميلون إلى الصناعة، مناخهم معتدل ولكنه بارد دائما تقريبا، إنهم يجنون ثمارا ممتازة والجو صحي في منطقتهم[7]، فمن خلال ماذكره حمدان خوجة يمكن أن نستخلص أن بايلك التيطري لايمتلك مقومات إقتصادية كبيرة مثل بقية البايلكات الأخرى، خاصة وأنه يعتبر أصغر البياليك مساحة، إذ يحده من الشمال سهل المتيجة، من الشرق وطن بني سلمان وبني جعد وعريب وقيادة سباو.

(1)- محمد الصالح بن العنتري. فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة وإستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، تقديم وتعليق يحي بوعزيز. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص18.
(2)- حمدان بن عثمان خوجة . المرآة، المصدر السابق، ص7.
(3)- محمد العربي الزبيري. التجارة الخارجية للشرق الجزائري...، المرجع السابق، ص108.
(4)- محمد العربي الزبيري. المرجع السابق، ص66.
(5)- المرجع السابق. ص 147.
(6)- نفسه ، ص22.
(7)- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة. المصدر السابق، ص96.

كما يصفعا بأنها أضعف وأفقر من أمين بني ميزاب[1]، وذلك يرجع إلى ضعف تحصيلها الضريبي، إذ لا تساهم إلابنسبة قليلة من مداخيل الضرائب للسلطة، وحسب العديد من الكتابات التاريخية أن ذلك يرجع إلى أنها منطقة جبلية يصعب على جنود المحال الوصول إليها، لكن وجدنا أن حمدان خوجة أكد عكس ذلك إذ بين أن سبب ذلك يعود إلى إفتقارها فشبهها بمقاطعتي الليموزين والصافوة بباريس، وهما منطقتان فقيرتان بفرنسا تشتهر بتربية البقر وإستغلال الغابات[2].

- **بايلك الغرب:**

يمتد من الحدود الغربية لدار السلطان وبايلك التيطري إلى الحدود الشرقية للمغرب الأقصى، ومن البحر المتوسط شمالا إلى الصحراء جنوبا[3]، كانت عاصمته في البداية معسكر، لما كانت وهران تحت قبضة الإسبان، وتعتبر مقاطعة غنية يظهر ذلك من خلال منازلها التي تميزت بهندستها الجميلة، وكان سكانها فلاحون يشتهرون بتربية مختلف أنواع المواشي والخيول ويمارسون التجارة، كما اشتهروا بصناعتهم للبرانس التي عرفت رواجا في مختلف أسواق الإيالة[4]، ثم تحولت العاصمة إلى مدينة وهران بعد تحريرها من الإحتلال الاسباني سنة 1792م.

فالموقع الجغرافي لبايلك الغرب جعله يكتسب أهمية إستراتيجية والتي تتضح في إرتباطه بالمغرب وأوربا والمناطق الصحراوية، مما جعلها ملتقى للطرق التجارية.

وهنا نذكر أن كل مقاطعة كانت حدودها مضبوطة، وكل باي مسؤول عن إداراته وحدوده[5]، كما أن كل بايلك كان يتكون من مدن وفحوص مدن وأوطان في السهول وقيادات وقيادات في الجبال والمناطق الوعرة، وكل بايلك مكون من مجموعة من الأعراش والقبائل

---

(1)- المصدر السابق، ص98.
(2)- نفسه ، ص ص97-98.

(3)- Louis Rinn. Le royaume d’Alger sous le dernier dey, Adolphe Jourdan imprimeur libraire éditeur, Alger, 1900, p51.

(4)- ينظر حمدان بن عثمان خوجة . المرآة، المصدر السابق، ص97.
(5)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة. المصدر السابق، ص138.

وكل عرش وقبيلة مكون من قرى في المناطق الجبلية والصحراوية، ومن دواوير في المناطق السهلية.

لذلك يمكن القول أن التنظيم الإداري للبياليك خلال مرحلة الدايات تميزت ب:

- إزدواجية متضاربة تتلخص في وجود إدارة مركزية واضحة في توزيع السلطة، وإستقلالية إدارية لكل بايلك مع تكرار الهيكل الإداري فيه وفقا للنظام الرئيسي بالعاصمة.
- إعتماد الإدارة المحلية على المراكز الحضرية،فقد أصبحت المدن أركان هذا النظام حيث ترتكز فيه السلطة، وتركز الإدارة المحلية مراقبتها على المدينة أكثر من الريف، الذي لايخضع للمراقبة الإدارية المباشرة وإنما تخضع للمراقبة من خلال تعيين مجموعة من القياد وشيوخ القبائل الذين يكنون كوسطاء بين القبائل والإدارة المحلية مهمتهم جمع الضرائب(1).

**2/ البايلكات والسلطة**

كما ذكرنا سابقا قسمت الجزائر خلال مرحلة الدايات إلى أربع مقاطعات إدارية، عرفت بالبايليك وهي دار السلطان، بايليك الشرق، بايليك الغرب، وبايلك التيطري، وعرف كل إقليم بخصوصيته من حيث المساحة، الإمكانيات الإقتصادية وعدد السكان، كانت الحكومة المركزية تتولى تعيين مجموعة من الموظفين اللذين يسهرون على تنظيم البايلكات في مختلف المجالات .

يعتبر الباي الموظف الرئيسي الذي يمثل السلطة العليا للبايليك الذي يترأسه إذ تربطه علاقة مباشرة بالسلطة المركزية فيما يتعلق بالتعيين والمهام التي يؤديها، ومن أهم الموظفون اللذين تعينهم السلطة لتسيير شؤون البايلكات نذكر:

- **الباي:**

لقد كان البايات الثلاث يعينون من قبل الداي صاحب السلطة السياسية الأولى في الإيالة، وفي العديد من الظروف كان أهل البلد هم اللذين يختارونه من بينهم، بشرط أن

(1)-بن عتو بلبروات . المدينة والريف بالجزائر في أواخر العقد العثماني...، المرجع السابق، ص12.

ترضى عنه سلطة الديوان والداي، الذي يدّعم وجوده وولائه بقاضي يدير الأحكام باسمه وبوحدة عسكرية لحمايته ويهيأ عائلات لنُصرته مثلما كان موجودًا في بايليك الشرق، حيث نجد عائلة ابن الفكون ذات ذات النفوذ الاقتصادي والإجتماعي والثقافي في مدينة قسنطينة والتي ساهمت في تنظيم الحكم بالبايليك وربطتها علاقة بالباي والدايات[1].

كانت ممارسة السلطة من قبل البايات مرتبطة مباشرة بالداي، إذ يمكن لهؤلاء البايات أن يتعرضوا للعزل من قبل الداي دون إعلامهم مسبقا بقرار عزلهم، وإن علم ورفض التنحي يتعرض للعزل والقتل في الكثير من الحالات، مثلما حصل مع حاكم قسنطينة "الباي صالح"[2] الذي يتعرص إلى عزل من قبل الداي لمجرد استياءه منه[3].

ومن أهم الشروط التي لابد أن تتوفر في البايات نذكر:

- الإلتزام بالمبادئ الإسلامية والأخلاقية إذ لابد أن يتخلص من أهوائه الذميمة ولايقوم بأعمال تثير الشكوك حوله.

- الإلتزام بالشورى في أخذ القرارات المتعلقة بشؤون بايلكه والعدل بين الناس[4].

- السهر لخدمة شؤون رعاياه ودفع الضرر عنهم وتحقيق المنفعة لهم، إذ لاينبغي أن يكون متحيزا لمجموعة معينة وإنما يكون هدفه تحقيق الوحدة[5].

ومن أهم المهام التي يقوم بها الباي:

تمثيل السلطة المركزية إذ يعد الباي الممثل الأول لسلطة الدايات داخل مقاطعات الإيالة، جباية الضرائب من السكان، يذكر وليام شالر أن البايات وحكام الأقاليم هم المسؤولين عن جباية الضرائب من خلال مجموعة من الأعيان الذين يخرجون برفقة المحال

(1)- حسان كشود. رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الإجتماعية والإقتصادية بالجزائر العثمانية، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008، ص ص151-152.
(2)- صالح باي: تولى الحكم سنة 1771م في بايليك الشرق بعد موت أحمد باي كان رجلا شهما ومقداما فحسنت أيامه، وبلغ مالم يبلغه غيره من البايات وقام بانجازات كبيرة الا أن أحاسيسه أقنعوا الداي بأنه يسعى الى الاستقلال عن الجزائر فعزله سنة 1972م. ينظر التجارة الخارجية للشرق الجزائري لمحمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص25.
(3)- محمد العربي الزبيري. التجارة الخارجية للشرق الجزائري، المرجع السابق، ص25.
(4)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص ص24-25.
(5)- المصدر السابق ، ص26.

لإستخلاص الضرائب[1]، وذلك من أجل توفير المداخيل للخزينة المالية، لأن الباي كان مجبرا على تقديم أموال للسلطة المركزية والتي تعرف بالدنوش الصغيرة، التي تدفع مرة في السنة، والدنوش الكبيرة التي تدفع مرة في كل ثلاث سنوات من قبل الداي.

وكثيرا ماكان يتم إستخلاص الضرائب بطريقة تعسفية دون مراعاة ظروف السكان وهو ما أخبرنا به وليام شالر، الذي يقول أنه كثيرا ماكان يلجأ البايات إلى التعسف في جمع الضرائب بواسطة أعوانهم من العساكر والشرطة، إذ يستحوذون على ما يقع تحت أنظارهم،

وهذا الظلم جعل العديد من سكان الأرياف يتركون أراضيهم الخصبة ويلجأون إلى الجبال[2].

كما كانت تلجأ السلطة إلى القبائل لتوفير المؤونة للجيوش البرية والبحرية[3] إلى جانب تكليفهم بتوفير الأمن، ذلك من خلال تحالف السلطة مع بعض القبائل لإخماد الثورات التي تقوم بها القبائل الثائرة ضد نظام الحكم، يتحدث حمدان خوجة عن ذلك في قوله"... كانوا يقولون لها (يقصد القبائل الثائرة) بأن الهجوم لم يكن موجها لإبادتها، وإنما لتأديبها وإرجاعها إلى الصراط المستقيم"[4].

**- الخليفة:**

يعتبر الخليفة موظفا مهما في حكومة الباي، إذ يأتي في المرتبة الثانية بعده فهو بمثابة النائب له، تعيينه أو عزله يتم من قبل الباي، وكان يأخذ محل الباي أثناء خروج هذا الأخير مع الحامية العسكرية لإستخلاص الضرائب أومايسمى بالدنوش الصغرى التي تقدم كل سنة للداي[5]. ومن مهامه أيضا إدارة شؤون الأوطان، كما يقوم بإخضاع القبائل المتمردة، إضافة

(1)- وليام شالر. المصدر السابق، ص59.
(2)- وليام شالر. المصدر السابق، ص59.
(3)- كانت الإيالة تتلقى سنويا كضريبة من مختلف شيوخ العرب مائتي ألف مكيال من القمح،ومن بايات قسنطينة ووهران عشرة آلاف مكيال من الشعير، ينظر: وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، المرجع السابق، ص152.
(4)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص111.
(5)-المصدر السابق، ص141.

إضافة إلى تمثيل الباي في حضرة الداي أثناء تقديم الدنوش الصغرى وكان يعين في الغالب من بين القياد[1].

### - الخزناجي أو الخزندار:

يعد من الموظفين الأساسيين في البايليك وهو الموظف المكلف بالشؤون المالية إذ يشرف على جباية الضرائب[2]، والمسؤول الأول عن مصادر دخل البايليك والنفقات التي تجمع من مختلف الأنشطة الإقتصادية والمالية للبايليك. يساعده في مهامه كاتبان هما الدفتر دار

مهمتهما تسجيل جميع الأوامر والمداخيل[3].

عن مهام الخزندار يقول تيدنا أنه المسؤول عن المحلة عند خروجها، حيث يعد ويرتب كل ما يجب لخروج المحلة لجباية الضرائب. كما يجب عليه ان يعرف بالذهب والفضة المزورة. وكان الخزندار يتقاضى عشر سكات في الشهر من الباي[4].

### - الآغا:

هو قائد الفرسان العرب التابعين لسلطة البايليك، يتمثل دوره في إدارة الشرطة داخل البايليك ومراقبة الباي، كان الآغا خاضعا لسلطة الداي[5]، توسعت صلاحياته مع بداية القرن القرن الثامن عشر، إذ جمع مابين إشرافه على الجيش وتحقيق الأمن، ومابين النظر والتصرف في شؤون أوطان البايليك، إذ ينظر في كل القضايا المهمة عن طريق القياد وشيوخ القبائل من مقره[6].

(1)- بن عتو بلبروات. المرجع السابق، ص293.
(2)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص73.
(3)- سفيان صغيري. العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر. جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012، ص67.
(4)- عميراوي حميدة. الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني، مذكرات تيدنا نموذجا، دار الهدى الجزائر، 2003، ص ص62-63.
(5)- ناصر الدين سعيدوني. ورقات جزائرية...، المرجع السابق، ص243.
(6)- بن عتو بلبروات. المرجع السابق، ص291.

ومن أبرز أغوات دار السلطان في مطلع القرن التاسع عشر الآغا مصطفى(1809م-1814م) الآغا يحيى(1818م-1827م)، ونلمس من حديث حمدان بن عثمان خوجة أن منصب الآغا كان منصبا مهما في حكومة البايليك، إذ ذكر أن مرتبة الآغا هي درجة سامية، إذ هو الذي يقود وحدات الفرسان التي تتكون في معظمها من العرب أو القبائل، وعليه يتحتم على الآغا أن يتكلم العربية ليتمكن من إعطاء الأوامر وتسيير الجيوش[1].

- **خوجة الخيل:**

هو المسؤول عن أرياف دار السلطان من حقول، أحواش ومزارع مستعينا بمجموعة من الشواش، مع نهاية القرن الثامن عشر أصبح له حق كراء وإستخلاص ما توفره هذه الأملاك من محاصيل زراعية وحيوانات[2]، كما أوكلت له مهمة قيادة الفرق العسكرية مما جعل له نفوذ على العديد من القبائل وعلى عرب الصحراء[3]، كما له حق التصرف في الخيول والجمال المخصصة لنقل الجيوش فهو من يقوم بتوزيعها على قبائل الإيالة للإعتناء بها[4]، مقابل تخفيض الضرائب عنهم ونيلهم بعض الامتيازات[5].

- **قياد الأوطان:**

يتولى هذا المنصب في الغالب الأتراك أو الكراغلة، إذ يشرفون على سكان المناطق المجاورة لمدينة الجزائر كالمتيجة وبئر سليمان، وكان لابد أن يحظى القياد بالتأييد والتزكية السلوكية من قبل السكان حتى يحظوا بدعم من قبل البايات[6].

يعملون بالإعتماد على شيوخ وزعماء القبائل لإقرار الأمن وجباية الضرائب، كما توسعت صلاحيتهم ليشمل مراقبة الأسواق الريفية، التي تُنظّم في أيام الأسبوع أو تكون موسمية[7]، يذكر حمدان خوجة أن السكان هم الذين دعوا الحكام إلى تعيين القياد لما لهم من دور في

---

(1)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، ص128.
(2)- بن عتو بلبروات. المرجع السابق، ص292.
(3)- أحمد الشريف الزهار. المضدر السابق، ص45.
(4)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، ص128.
(5)- بن عتو بلبروات. المرجع السابق، ص292.
(6)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، ص114.
(7)- بن عتو بلبروات. المرجع السابق، ص294.

تحقيق الأمن، ويضيف قائلا أن الباشا كان مستعدا لتأييد شعبه أكثر من إستبعاده لمساندة عامله (يقصد القياد)، إلا إذا حظي هذا الأخير بشهادة جزء من السكان لتزكية سلوكه وتبرير مواقفه[1].

لذلك يمكن القول أن القياد في مختلف مناطق الإيالة كانوا يمارسون سلطاتهم الإدارية على مختلف القبائل، فهم عيون البايات والداي في مختلف المناطق الريفية ويمكن أن نحصر مهامهم في مايلي:

– تقييم المحاصيل الزراعية ومراقبة مواشي الدولة وتحديد قيمة الضرائب التي تتقاضاها خزينة كل بايليك من محاصيل زراعية ومواشي.
– مراقبة عملية إستخلاص الضرائب من القبائل بواسطة شيوخها ورؤسائها.
– تحقيق الأمن وتنفيذ أحكام البايات والداي[2].

– **شيخ العرب:**

تداولت هذا المنصب القبائل الصحراوية ببايليك الشرق الجزائري، وكانت السلطة تمنح هذا المنصب لرئيس أقوى القبائل الصحراوية، إذ منح هذا المنصب لرئيس عائلة بوعكاز من قبيلة الدواورة بصفته شيخا للعرب ثم إنتقل بعد ذلك الى عائلة إبن قانة، وتمثلت مهام شيخ العرب في مرافقة المحلات العسكرية المكلفة بجمع الضرائب من الأوطان الريفية، إذ كان كوسيط بين الحكومة والقبائل الممتنعة[3].

بالإضافة إلى هذه الوظائف المهمة في حكومة البايليك، تأتي مجموعة من الوظائف الأخرى الثانوية، كالباش كاتب وهو المكلف بكتابة رسائل الباي، الباشا سيار، وهو المكلف

(1)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص114.
(2)- بن عتو بلبروات. المرجع السابق، ص295.
(3)- المرجع السابق، ص295.

بمراقبة إصطبلات البايليك، وتجهيز حصن الباي الخاص عندما يعزم الباي السفر أو الخروج، الباشا مكاحلية هو المتصرف بفرقة مكاحلية الباي الخاصة[1].

وبما أن الباي المسؤول الأول عن البايلك هذا ماجعل له علاقة مباشرة مع السلطة المركزية في العاصمة ومع القبائل التي كانت تابعة للبايلك، لذلك سوف نتعرف على العلاقة التي تربطهما.

**أ. علاقة الباي بالسلطة المركزية:**

يعتبر الباي المسؤول الأول عن بايلكه فهو خاضع لسلطة الداي المباشرة[2] لذلك يمكن القول أن العلاقة بين الباي والسلطة المركزية كانت علاقة خضوع وتبعية، خاصة وأن الأرياف تعد الخلية الأساسية للتنظيم الإداري للبياليك خلال مرحلة الدايات، وتعد المورد الأساسي للبلاد إضافة إلى أن البايات كان هدفهم الأساسي توسيع سيطرتهم على مختلف المناطق الريفية[3]، هذه الأخيرة تظهر في عدة جوانب أهمها:

- تعيين البايات و عزلهم من منصبهم كان يتم من قبل الداي بطريقة مباشرة وهو مأأكده لوسيت فالنسي إذ يذكر أن داي الجزائر يحتفظ بالحكم المباشر للعاصمة، وكان يعيّن بايات على رأس كل إقليم، باي التيطري في الوسط، باي وهران في الغرب، باي قسنطينة في الشرق، لذلك تعيين بايات المقاطعات الثلاث كان من اختصاص الداي أي من طرف السلطة المركزية.

- إجبار الباي على دفع الدنوش إلى العاصمة والتي قسمت إلى قسمين، الدنوش الكبيرة التي تدفع مرة كل ثلاث سنوات[4]، والدنوش الصغيرة التي تقدم مرة كل سنة عن طريق خليفة

(1)- ناصر الدين سعيدوني. ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص ص 245-248.
(2)- وليام سبنسر. المرجع السابق، ص86.
(3)- محفوظ قداش. الجزائر في العهد التركي، مجلة الأصالة ،ع52، الجزائر، 1977، ص ص10-11.
(4)- ذكر أحمد الشريف الزهار في مذكراته أن تقديم الدنوش كان يتم عن طريق تنظيم إحتفالات كبيرة، قدم صور حول تقديم الباي دنوش بايليك الغرب، حيث يذكر بأن البايات لما يأتوا الى العاصمة لمقابلة الداي يجلبون معهم أموال وهدايا كثيرة من الخيل والعبيد والمصوغ والأثاث الفاخرة،وبصحبته جيش كبير من أتباعه وشيوخ القبائل وقياد وأغوات راكبين الخيل ومرتدين الملابس الفاخرة ومع الباي خزانته القيّمة الكبيرة وهم يلعبون بالسلاح ويضربون البارود ويقرعون الطبول

الباي[1] وتم تحديد فترة زمنية معينة لكل مقاطعة للإيصال الدنوش إلى العاصمة فدنوش باي الشرق مثلا تصل إلى العاصمة في فصل الصيف[2].

والملاحظ أن هذه الدنوش كانت قيمتها تكثر أوتقل حسب الأهمية الإقتصادية لكل بايليك لهذا يأتي بايليك قسنطينة في المرتبة الأولى من حيث قيمة الدنوش التي يساهم بها نظرا لغنائه مقارنة بالمقاطعات الأخرى، وبايلك الغرب في المرتبة الثانية،بينما بايلك التيطري وقيادة سيباو وأوطان دار السلطان لاتساهم إلا بنسبة ضئيلة من الثروة[3].

- يقوم الداي بعد تعيينه للباي بتعيين مجموعة من الموظفين من الأتراك لمساعدته في آداء مهامه وحول ذلك يقول وليام شالر"...والبايات الثلاثة اللذين يحكمون الولايات واللذين يعيّنهم الداي في مناصبهم يزودهم ايضا بسطوته وبسلطته الإستبدادية كما يلحق بكل واحد منهم وكيلا أو مراقبا للشؤون المالية..."[4].

- إرسال الدايات سنويا للباي حامية من العساكر وتسخيرها لإخماد الفتن التي تقوم بها القبائل الثائرة[5].

- علاقة الخضوع تظهر كذلك في عدم إبداء البايات أي نوع من الإستقلال عن الحكومة المركزية فإذا قاموا بذلك تعرضوا إلى العزل والقتل في الكثير من الحالات، وهو مانلمسه في حديث أحمد الشريف الزهار حول مدينة تلمسان سنوات1771م-1757م لما كانت مدينة تلمسان شبه مستقلة بأمورها يحكمها القائد رجم البجاوي. فبعث علي باشا جيشا أرجع به المدينة إلى حكم الطاعة وأوتي بالقائد رجم فأعدمه[6]، وماحصل لباي قسنطينة صالح باي[1]

---

،وإذا وصلوا الى العاصمة نصبوا خيامهم فرحين لقرب لقاء الداي، وبعد لقاءه يقدم الباي للداي هدية مكونة من مبلغ من المال والخيل والحياك...ينظر مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص36.

(1)- لوسيت فالنسي. المرجع السابق، ص105.

(2)- قدم أحمد الشريف الزهار نموذجا عن الدنوش التي يقدمها باي الشرق الى الداي في قوله"... أن الهدية التي يهديها للباشا في اليوم الأول حين يذهب لملاقاته فهي نحو ثلاثين ألف محبوب ذهبا (المحبوب قيمة ثلاثين قراط فضة أو مايعادلها ذهبا)، وبعض المهمات من المصوغ والملبوس وعدد من المواشي التونسية ومن الطيب...والمرجان والبرانس والآثاث والخيل، ينظر مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص76.

(3)- بن عتو بلبروات. المرجع السابق، ص325.

(4)- وليام شالر. المصدر السابق، ص45.

(5)- محمد العربي الزبيري. التجارة الخارجية...المرجع السابق، ص23.

(6)- أحمد الشريف الزهار. المصدر السابق، ص18.

يؤكد ذلك أيضا إذ تعرض للعزل من قبل الداي سنة 1792م، لمجرد شكوكه في أنه يسعى للإستقلال عن الجزائر[2].

- تكليف الباي بجمع الضرائب من جميع المناطق التابعة لبايليكه إذ كان هذا الأخير يخرج بنفسه كل سنة لجمع الضرائب من السكان، هذا مايسمى بالمحلة، أو ماتعرف بالحاميات العسكرية التي تتكون من الجنود الرسميين الذين يرسلهم الداي، بالإضافة إلى جنود قبائل المخزن، ونحن نجد في مذكرات وليام شالر ما يؤكد ذلك: "...والبايات وحكام الأقاليم هم المسؤولون عن جباية الضرائب، وبواسطة أعوانهم من العساكر والشرطة يستحوذون على كل يقع تحت أنظارهم من أموال الشعب..."[3].

- عدم صدور سلوك من الباي لايرضي الداي فأي سلوك لايرضي الدايات يمكن أن يؤدي إلى عزل أو قتل البايات في كثير من الأحيان، وهو ماذكره ابن العنتري حول حادثة إعدام "الباي عبد الله" سنة 1806م من قبل "الداي أحمد باشا" الذي أمر بقتله شنقا هو وزوجته كما تم اعدام "الباي حسين إبن باي صالح" سنة 1807م خنقا بأمر من "الداي أحمد باشا" لأن الباي اتهم بأنه المسؤول عن فرار جيشه وتراجعه أمام الجيش التونسي[4].

كما تعرض العديد من بايات قسنطينة إلى القتل من قبل الدايات نذكر منهم الباي "أحمد طوبال" سنة 1811م الذي القتل بأمر من الداي "علي باشا"، إغتيال "الباي محمد نعمان" سنة 1814م، إغتيال "الباي شاكر" سنة 1818م، كما تعرض الكثير من بايات الغرب إلى الإغتيال مثل "الباي محمد الكبير"، الذي قيل عن وفاته الغامضة أن "الداي حسن باشا" دس له سما في طعامه وهو يؤدي ضيافة الدنوش الكبرى سنة 1797م[5].

---

(1)- صالح باي. تولى الحكم سنة 1771م، على إثر موت أحمد باي، كان رجلا شهما ومقداما، فحسنت أيامه وبلغ مالم يبلغه من بايات قسنطينة. وقام بانجازات عظيمة ،لكن حاسديه تمكنوا من إقناع الداي بأنه يسعى الى الاستقلال عن الجزائر فتعرض للعزل ،أنظر محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري...، المرجع السابق، ص 25.

(2- محمد العربي الزبيري. التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص ص25-26.

(3)- وليام شالر. المصدر السابق، ص59.

(4)- محمد الصالح ابن العنتري. فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على اوطانها أو تاريخ فسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق: يحي بوعزيز، د.م.ج ، الجزائر، 1991م، ص ص73-75.

(5)- بن عتو بلبروات. المرجع السابق، ص7-8.

وهذا العزل والإغتيال الذي تعرض له العديد من البايات خلال مرحلة حكم الدايات والتي كان سببها الأساسي الدايات، مما أدى إلى حدوث فوضى في الإيالة، حول ذلك يقول حمدان خوجة "... لقد بدأت تجاوزات الأتراك والفوضى الناتجة عن عزل البايات سنة 1791م، وإستمرت إلى غاية 1818م، وهي السنة التي وصل فيها "حسين باشا"[(1)] إلى الحكم..."[(2)].

وهنا يتضح جليا بعد الإطلاع على العديد من المصادر التاريخية أن عزل الدايات للبايات عرف إنتشارا ملحوظا في أواخر مرحلة الدايات، قدم حمدان بن عثمان خوجة شهادة عن ذلك في حديثه عن أحداث العزل ضد البايات، إذ ذكرأن البايات كانوا لايعزلون إلا نادرا في الايام الأولى من عهد الأتراك، وعندما أصبح الباشوات والدايات جشعين يجرون وراء الثورة كثرت التبديلات والتغييرات التي كانت مضرة بالنسبة للشعب والحكومة على السواء[(3)].

كما أكد وليام شالر أن إحتفاظ البايات بمناصبهم كان مقترن بقيمة الموارد المالية التي يجمعونها من بايلكاتهم، و تعرضهم إلى الضغط والإستبداد الذي يمارسونه وإذا اثبتوا عكس ذلك فإنهم يتعرضون إلى الإدانة من الحكومة المركزية، فيقول: "...كل شيء يتوقف على مدى إستطاعتهم إشباع جشع الداي وأعضاء حكومة[(4)].

**ب. علاقة الباي بالقبائل:**

لقد اتخذت علاقة السلطة المحلية بالقبائل التابعة للبايليك أوجها مختلفة، ميزتها الأساسية إخضاع القبائل إلى نظام ضريبي كرمز لخضوعها للسلطة المحلية، خاصة وأن المهمة الأساسية كما ذكرنا سابقا للبايات تمثلت في إستخلاص الضرائب من مختلف المناطق

---

(1)- حسين باشا هو آخر داي في الجزائر، ينتمي الى اسرة كريمة، كان يتمتع بثقافة واسعة، وظل الحكم لمدة ثلاثين سنة، وقدم حمدان بن عثمان خوجة عدة شهادات حوله إذ ذكر أنه ينتمي الى أسرة تركية شريفة، حرص خلال فترة حكمه على عدم إراقة الدم البشري، كما عرف بالتزامه بمعاهداته مع دول أوروبا، عمل من أجل تحقيق الأمن والإنضباط في جهاز الحكم بالرغم من انه وجد الحكومة تتخبط في فوضى يصعب وصفها، للمزيد حول الداي حسين باشا، ينظر حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص ص173-174.

(2)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص173.

(3)-المصدر السابق، ص141.

(4)- وليام شالر. المصدر السابق، ص ص45-46.

التابعة للبياليك عن طريق ارسال حاميات عسكرية تتكون من مجموعة من الجنود تحت إشراف الآغا[1].

وكان لكل بايليك فترة معينة من السنة تخرج فيها هذه الحاميات لإستخلاص الضرائب باختلاف أنواعها[2]، محلة الغرب تخرج في أفريل وتقيم أربعة شهور، محلة التيطري تخرج في الصيف وتدوم ثلاثة شهور، محلة الشرق تخرج في اليوم الأول من الصيف وتقيم ستة شهور[3].

ولتسهيل جباية الضرائب وضمان إخضاع القبائل كان يلجأ البايات إلى ربط علاقات مصاهرة مع العديد من شيوخ القبائل وذلك من أجل كسبهم كحلفاء يساندون الباي في توفير جنود متطوعين واخماد الثورات التي تقوم بها القبائل الثائرة، حول ذلك يقول حمدان خوجة: "... واذا اعتزمت احدى القبائل على تشويش الامن العام فإن القبائل الاخرى تنضم الى الاتراك لمحاربتها..."[4].

ومن أمثلة ذلك علاقة المصاهرة التي ربطت "أحمد باي" مع عائلة "ابن قانة" إحدى أشهر القبائل الصحراوية، كما قام "باي ابراهيم" بربط علاقة مصاهرة مع عائلة "الشيخ فرحات" الذي يعد من قادة الصحراء[5]، كما لجأت السلطة إلى إعفاء قبائل المخزن عن دفع الضرائب المفروضة على بقية القبائل كإجراء لضمان ولائهم لها[6]، لذلك يمكن القول أن البايات كانوا دائما بحاجة الى هذه القبائل.

في حين إتبعت السلطة سياسة خاصة إتجاه القبائل المتمردة على السلطة فكانت تلجأ إلى خلق العداوة بينها[7]، ذلك لمنعهم من التحالف فيما بينهم ومعارضتها من خلال قيامهم بثورات

---

(1)- جرت العادة ان يرسل الداي لكل باي من البايات الثلاث حامية عسكرية مرة كل سنة والتي تتكون من عدد من الجنود، الذي يعملون على جباية الضرائب من السكان،ثم يعودون الى العاصمة وإذ أراد أحد الجنود البقاء في المقاطعة فإنه يحصل على إذن من قائد الحامية، كان العديد من الجنود يفضلون البقاء لأن مرتباتهم تتضاعف وادخارهم يتزايد، كما انهم يحصلون على المنح من قبل البايات، ينظر حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، المصدر السابق، ص139.

(2)- أحمد الشريف الزهار. المصدر السابق، ص35.

(3)-المصدر السابق، ص ص35-36.

(4)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص111.

(5)- ينظرحمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص77.

(6)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص111

( 7)محمد العربي الزبيري. التجارة الخارجية...،المرجع السابق،ص23.

بثورات ضدها، فاتحاد هذه القبائل فيما بينها يمكن أن يؤدي إلى تهديد السلطة المحلية من خلال القضاء على الحكام.

وهذا مايستخلص من حديث "أحمد باي" : "...إن الحرب هي عادة الأعراب، وإن الذي يريد حكمهم يتحتم عليه إبقائها بينهم، والتحريض على المنافسات بين القبائل المختلفة الأصول والأجناس أما أوضاع السلم فإنها تقارب بين العرب فتوحدهم حول غرض واحد، هذه الحالة لاينبغي أن يطمئن لها من كان يريد السيطرة عليهم ، إذ قد تأتي ظروف يتحد فيها هؤلاء الرجال كإخوة ويجدون أنفسهم منظمين للقيام بالثورة....

ويتضح ذلك جليا فيما ذكره حمدان خوجة في حديثه عن الصفات التي تميزت بها العديد من القبائل الذين تمتعوا بالروح الوطنية، هذا ماجعل تعرض أي قبيلة للإعتداء من قبل قبيلة أخرى يؤدي إلى تحالف قبائل أخرى معها حتى لو عرفت أنها ستُهلك وتُبيد في تلك المعركة، لذلك يمكن القول أن الطابع المميز لقبائل الإيالة الجزائرية هو حبهم للحرب هذا ماجعل البايات يستغلون ذلك في إثارة الحروب بينهم لمنعهم من معارضة السلطة(1).

ومن أمثلة ذلك ما حصل مع قبيلة "النمامشة" وقبيلة "حركاتة"، التي اتحدت فيما بينها سنة1797م وقيامهم بتمرد ضد السلطة في عهد "الباي الوزناجي"(2)، لكن هذا الأخير استطاع إخضاعهم بعدما حقق انتصارات باهرة(3).

ومن هنا نقول أن السياسة التعسفية التي طبقتها السلطة ضد القبائل المتمردة والرافضة لدفع الضرائب، وعدم قدرة العديد من البايات على توفير الأمن في مختلف المناطق خاصة الريفية حتى يستطيع السكان نقل منتوجاتهم الفلاحية عبر مختلف المناطق البايليك، جعلت العديد من القبائل يهاجرون إلى المناطق الجبلية ليكونوا في مأمن عن سائر أنواع العدوان(4).

العدوان(4).

(1)- حمدان بن عثمان خوجة .المرآة، المصدر السابق، ص55-56.
(2)- هو الباي مصطفى الوزناجي الذي كان حاكما للتيطري، عزل سنة 1792م بعد مدة حكم دامت عشرين سنة ليعين بعد ذلك بايا على قسنطينة سنة 1794م، للمزيد ينظر محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية..، المرجع السابق، ص27.
(3)- محمد العربي الزبيري. التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص26-27.
(4)- حمدان بن عثمان خوجة. المرآة، المصدر السابق، ص90.

مقابل ذلك استفادت قبائل المخزن الذين وضعتهم السلطة كوسطاء بينها وبين سكان الريف عن طريق شيوخها وقادتها[1]، إضافة إلى تعيين مجموعة من الموظفين من آغا العرب، آغا الدايرة، والقياد في الأوطان الذين خُولت لهم عدة صلاحيات أهمها مراقبة أراضي العزل وقبائل الرعية وتوفير الأمن من أجل ضمان إستقرار الحكم[2].

لذلك يمكن القول أن النظام الضريبي الذي فرضته السلطة في مختلف مناطق البلاد على السكان ساهم في تجدير العلاقة بينها وبينهم خاصة سكان الأرياف، وسعي الحكام إلى ربط علاقات مع المرابطين ورؤساء وشيوخ القبائل وإستمالتهم إلى جانبها وتجنيد قبائل المخزن لبسط نفوذها و فرض طاعتها.

(1) جمال قنان. نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500م-1830م)، د.م.ج ، الجزائر، ص181.
(2)- Tacherifat, recceil de notice historique sur l'administration de l'ancienne regions d'alger pub par A Devoulx, Alger, p22.



# الفصل الثاني

## النشاط الحرفي خلال مرحلة الدايات (1671-1830م)

**أولا: التركيبة السكانية لفئة الحرفيين**

تقتضي دراستنا للنشاط الحرفي في الجزائر خلال مرحلة الدايات التعرف على أهم الفئات التي إمتهنت هذا النشاط في مختلف مدن وأرياف البلاد، والتعرف على الحرف التي إختصت بها كل فئة .

عرفت التركيبة السكانية للجزائر خلال مرحلة الدايات تنوعا و إختلاطا كبيرا لمختلف الأجناس(1)، هذا ما أدى إلى تنوع التركيبة السكانية لفئة الحرفيين(2). لذلك سوف نقوم بالتعرف على أهم الفئات التي امتهنت مختلف الأنشطة الحرفية التي كانت موجودة في الجزائر خلال مرحلة الدايات، خاصة و أن هذه الأخيرة عرفت تنوعا. سوف نعتمد في تصنيفنا هذا على موقعهم و أهميتهم في الهرم الإجتماعي.

**1- سكان المدن**

**أ- فئة الحضر**:

تستقر هذه الفئة في المدن الكبرى، يطلقون على أنفسهم عرب البلد أو عرب المدينة، أما المصادر الأوروبية فتسميهم المور(3)، تؤكد معظم المصادر أنهم النواة الأولى لسكان مدن الجزائر، تشكلوا من خليط لعدة أجناس(4)، إذ نجد الأتراك الذين جاءوا بعد إرتباط الجزائر بالدولة العثمانية، الكراغلة الذين نتجوا عن الإختلاط بين السكان الأصليين والأتراك، إضافة إلى الأندلسيين الذين توافدوا إلى الجزائر بعد صدور قرار الطرد الجماعي ما بين 1609-1914م في عهد الملك فليب الثالث(5).

(1)- الإختلاط الموجود داخل المجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية صعب وصف التركية السكانية لفئة الحرفيين، خاصة و أن أغلب المعلومات التي وصلتنا جاءت من شخصيات أوروبية لا تعرف إلى القليل عن الأوضاع الداخلية، إضافة إلى أن العديد من الكتابات كانت سطحية إكتفت بوصف الأوضاع الخارجية للمجتمع الجزائري، خاصة و أنه لابد من الإقامة لفترة زمنية طويلة حتى يتمكن هؤلاء الأجانب الذين كتبوا عن أوضاع المجتمع الجزائري من معرفة طبيعة حياة مختلف الفئات. ينظر مذكرات جزائرية عشية الاحتلال لـ سيمون بفايفر، ص136.

(2)- سيمون بفايفر. المصدر السابق ، ص136.

(3)-المصدر السابق، ص166.

(4)- هانريش فون مالتسيان. المصدر السابق، 1976، ص136.

(5)- عائشة غطاس. الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص09.

تميّزت هذه الفئة بمكانتها الإجتماعية المرموقة هذا ما جعلهم يختلفون عن بقية السكان[1]، فكانوا ملمين بالعلوم الدينية، كما حفظوا القرآن و تعلموا تفسيره[2].

عُرف عن الحضر إشتهارهم بالأدب و اللطافة هذا ما سهل على الأجانب الإنسجام معهم، وأكد ذلك هانريش فون ماليتسيان في قوله: "... وفي وسع الأوربي... إذا اتسمت تصرفاتك بالرشاد والعقل أن يشعر عند معاشرته لهم بالاطمئنان إليهم..."[3].

تتفق الكتابات التاريخية أن حضر الجزائر مارسوا نشاطات تجارية مختلفة اختصرها هانريش في قوله: "... أنهم يختصون بالعديد من الحرف مثل حرفة الحرار، القصاص، السراج..."[4]، ولا بأس في هذا المقام أن نعدد أهم العناصر التي شكلت لنا فئة الحضر وأهم الحرف التي إختصت بها كل فئة :

**ـ الأتراك العثمانيون:**

تشكلت النواة الأولى لهم من الجيش الإنكشاري و من المتطوعين الذين أرسلهم السلطان العثماني سليم الأول ما بين 1512-1520 إلى خير الدين بربروس بعد إنضمام الجزائر إلى الخلافة العثمانية، وإستمر ذلك التوافد إلى غاية نهاية مرحلة الدايات[5].

تميز الأتراك العثمانيين بكونهم ذوي أصول و أجناس مختلفة من الأتراك، البشناق، الأكراد، البلغار، والأرمن، ورغم هذا الاختلاف إلا أنهم شكلوا مجموعة واحدة في الجزائر متميّزة بلغتها التركية وبمذهبها الحنفي[6]، تذكر معظم المصادر التاريخية أن عددهم عرف إنخفاظا بداية من القرن 18م نتيجة لقلة المجندين من المشرق، وكثرة الحروب الداخلية إضافة إلى الفرمان[7] الذي أصدره السلطان العثماني محمود الثاني سنة 1816 و الذي منع بموجبه إيالة الجزائر من تجنيد الأجناد من الولايات العثمانية[8].

---

(1)- سيمون بفايفر. المصدر السابق، ص166.
(2)- أبو العيد دودو. الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977، ص55.
(3)- هانريش فون مالتسيان. المصدر السابق، ص101.
(4)-المصدر السابق، ص ص65-66.
(5)- أرزقي شويتام. المجتمع الجزائري وفعالياته ... المرجع السابق، ص ص59-60.
(6) أمين محرز. المرجع السابق، ص141.
(7)- نص الفرمان على أن تمنع الجزائر من القيام بعملية التجنيد في أزمير و في كل المناطق الأخرى و أن لا تستقبل سفن الأوجاق في جميع موانئ الدولة العثمانية، و أن يسحب الاعتماد من ممثليه المعتمدين في إيالة الجزائر. للمزيد، ينظر: أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري و فعالياته ...، المرجع السابق ، ص ص 61-63.
(8)- أرزقي شويتام. المجتمع الجزائري وفعالياته ...، المرجع السابق، ص ص61-62.

لقد إرتبط الأتراك بالمناصب السياسية، وما يؤكد ذلك هو وجودهم في أعلى هرم السلطة فقوائم الدايات والبايات والخزناجية والوزراء معظمها مكونة منهم[1]، هذا ما جعلهم لا يولون إهتماما بالنشاط الحرفي، لكن ذلك لم يمنع من إمتهانهم للعديد من الحرف أهمها حرفة الحلاقة، حرفة الخياطة وفروعها كالطرز، إضافة إلى صناعة الأسلحة (البجاقجية)، النجارة، والحياكة[2].

**- الكراغلة[3]**:

إحتل الكراغلة المرتبة الثانية في السلم الإجتماعي بعد الأتراك، ظهر هذا العنصر بعد إرتباط الجزائر بالدولة العثمانية نتيجة للزواج المختلط بين أفراد الجيش التركي والنساء الجزائريين، تمركزوا في المدن التي توجد بها الحاميات التركية كمدينة الجزائر، تلمسان، معسكر، مستغانم، مازونة، قلعة بني راشد، قسنطينة[4]. قدر عددهم بوتان سنة 1808م حوالي خمسة آلاف نسمة، في حين أن وليام شالر ذكر أن عددهم ما بين 1816م إلى 1824م كان حوالي عشرين ألف نسمة[5].

أما عن نشاطهم الحرفي فتذهب العديد من الروايات إلى أن العناصر الكرغلية لم تولي إهتماما بالنشاط الحرفي، هذا ما أكده روزيت في قوله أنه لم يرى في مدينة الجزائر كرغليا واحدا يمارس حرفة. وفسر ذلك بأن أغلبية الكراغلة كانوا يعيشون على الثروة التي جمعها آبائهم الأتراك العثمانيين[6]، إلا أنه نجد في هذا الرأي نوع من المبالغة، إذ نجد في العديد من من المصادر إشارة لإمتهان الكراغلة للعديد من الحرف، وهو ما وضحه أرزقي شويتام

---

(1)- المنور المريوش. دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، العملة ،الأسعار والمداخيل ،ج1 ،دارالنشر القصبة، الجزائر، 2009، ص288.

(2)- عائشة غطاس. الحرف والحرفيون... ، المرجع السابق، ص ص26-27.

(3)- الكراغلة جمع كرغلي، يعود أصل هذه الكلمة إلى كلمة التركية المركبة من «كول» أو عبد أو غلام و «أغلو» ابم أي «ابن العبد» وهنا إشارة إلى معنى العبودية التي ترجع إلى الأب الإنكشاري الذي يعتبر بمثابة عبد السلطان، ينظر: أمين محرز، المرجع السابق، ص115.

(4)- عائشة غطاس. الحرف والحرفيون... ، المرجع السابق، ص15.

(5) وليام شالر. المصدر السابق، ص 56.

(6)- ROSET. M, Voyage dans la régence d’Alger, Trthus Bertrand. Libraire Edition, Paris, T2, p293.

إستنادا إلى ما كتبه روزيت الذي أكد على أن العديد من الخياطين كانوا من الكراغلة و العرب[1].

**- الأندلسيون:**

يعود تاريخ تواجد الجالية الأندلسية في الجزائر، إلى سلسلة الهجرات التي قاموا بها من إسبانيا إلى الجزائر، بعد الاضطهاد و النفي الذي تعرضوا له من قبل الإسبان و بعد صدور قرار الطرد الجماعي الذي أصدره الملك فليب الثالث سنة (1609م-1610م.) من أجل تصفية الوجود الإسلامي في إسبانيا[2]، ومع استقرار الحكم العثماني بالجزائر استمرت حركة الهجرة الأندلسية وكان من بين الوافدين العلماء قاصدين العلم كتلمسان وباحثين عن الأمن والإستقرار[3].

إشتهر الأندلسيين بامتهانهم للعديد من الحرف أهمها حرفة البناء التي أدخلوا فيها طرق جديدة لم تكن موجودة في الجزائر من قبل، فكانوا المشرفين على بناء القصور والمساجد ومختلف المباني الخاصة و العامة، كما قاموا بإنشاء قنوات لجلب المياه في مختلف المدن الكبرى، وأشتهروا كذلك بإمتهانهم للعديد من الحرف كصناعة الشاشية ومختلف المنتوجات الحريرية[4]، إضافة إلى إشتغالهم في حرفة النسج، فكانت مدينة الجزائر لوحدها في مطلع القرن 17م تضم حوالي ستمائة حرار ومائتي نساج، كلّهم من أصل أندلسي ليشكلوا بذلك جماعة حرفية ذات طابع متميّز ساهمت بشكل كبير في إثراء النشاط الحرفي في الجزائر[5].

الجزائر[5].

**- البرانية:**

إن العلاقة التكاملية التي سادت بين المدينة والريف على مستوى الإنتاج المادي زراعيا وصناعيا، أدّت إلى ظهور حركة على المستوى البشري، ذلك من خلال تَنقُل سكان الأرياف

(1)- أرزقي شويتام. المجتمع الجزائري وفعاليته ...، المرجع السابق، ص324.
(2)- ناصر الدين سعيدوني. دراسات و أبحاث...،المرجع السابق ، ص130.
(3)- أرزقي شويتام. المجتمع الجزائري وفعاليته ...، المرجع السابق، ص30.
(4)- المنور المريوش. المرجع السابق، ص287.
(5)- أرزقي شويتام. المجتمع الجزائري وفعاليته ...، المرجع السابق، ص323.

إلى المدن هذا ما أدى إلى ظهور فئة جديدة عُرفت بالبرانية أو جماعة الدخلاء هذه الأخيرة التي ظل وجودها ظرفيا مرتبطا بنشاطهم في المدن[1].

عرفوا بتسميتهم حسب المناطق الأصلية التي جاءوا منها، كجماعة القبائل الجيجليون، الأغواطيون، البساكرة، بني ميزاب... مارسوا حرفا مختلفة ساهمت في تنويع وإنتعاش النشاط الحرفي وتقديم خدمات في مختلف مدن البلاد[2]، وعلى هذا الأساس سوف نحاول ذكر أهم الجماعات البرانية ، وأهم الحرف التي اختصت بها كلّ جماعة:

- **بنو ميزاب:**

أخذوا تسميتهم من المنطقة التي كانوا يسكنونها وهي منطقة الزاب التي تقع في الصحراء[3]، حسب العديد من المصادر نجد أنهم إمتهنوا حرفا متنوعة إنتاجية وخدماتية، كتسيير الحمامات والمطاحن[4]، إضافة إلى الصباغة، يصفهم بفايفر أثناء قيامهم بهذا النشاط قائلا: "... يبدوا منظرهم لطيفا وهم يتنقلون فوق السطوح وقد طلبت أجسادهم وثيابهم بالجير..."[5].

حصلوا على إمتيازات كثيرة خلال مرحلة الدايات، هذا ما جعلهم يستولون على أحسن المهن في مختلف مدن الجزائر[6]، ووجدنا أن مخطوط قانون الأسواق يذكر خمسة مهن إمتهنتها هذه الجماعة وهي الفرانين (الخبازين) والحمامجية (مسيرو الحمامات) والجزارين والحلاوجية (صناع وبائعو الحلوى) واللابلابجية (بائعو الفواكه الجافة)[7].

أما فيما يخص علاقتهم بالسلطة، فكانت محددة و مراقبة من خلال أمين يعرف بأمين المزابيين الذي يعد بمثابة الوسيط بين هذه الجماعة والسلطة، وهو الوحيد الذي يعترفون بسلطته، إذ يترأسهم و يسهر على تطبيق النظام بينهم، كما يقوم بجمع الضرائب عنهم حسب ما تأمره السلطة[8].

(1)-المرجع السابق، ص151.
(2)- عائشة غطاس. الحرف والحرفيون ، المرجع السابق، ص ص25-26.
(3)- سيمون بفايفر. المصدر السابق، ص163.
(4)- هانريش فون مالتسيان. المصدر السابق، ص78.
(5)- سيمون بفايفر. المصدر السابق، ص180.
(6)-المصدر السابق، ص ص163-164.
(7)- عبد الله بن محمد الشويهد. المصدر السابق، ص97.
(8)- سيمون بفايفر. المصدر السابق، ص180.

**– البسكريون:**

ينتسب البسكريون إلى واحة بسكرة التي يستمدون تسميتهم منها(1)، هاجر الكثير منهم إلى مختلف مدن الجزائر لممارسة مختلف الأنشطة الحرفية، لكن من أكثر المهن التي احترفوا فيها مهنة الحمّالين، إضافة إلى حراسة الأسواق، هذا فيما يخص الحرف الخدماتية2، أما الحرف الإنتاجية فبرعوا في صناعة الأغطية الصوفية، حيث أكد بفايفر أن منتوجاتهم تميزت بالجودة والإتقان وذلك من خلال ليونتها وخفتها، حتى أنهم كانوا يصدّرونها إلى تونس(3).

أخبرنا شالر عن المهن التي اختص فيها البسكريون في قوله: "... وكثيرا ما يستخدمون في المنازل حيث يتمتعون بالثقة، والبسكريون يحتكرون صناعة الخبر... وهم وحدهم الذين تستخدمهم الحكومة في إنجاز الأشغال العمومية..."(4).

**– الجيجليون:**

أخذوا تسميتهم من المدينة التي آتوا منها و هي مدينة جيجل، و يعتبر هذا العنصر من أقدم العناصر التي إستقرت بمدينة الجزائر خاصة، مقارنة ببقية المدن، تمتعوا بمكانة خاصة ذات إمتيازات مهمة(5).

ذكر فنتور دي بارادي أنهم تمتعوا تقريبا بنفس الإمتيازات التي تمتع بها الأتراك، فكان لهم على غير بقية العناصر الأخرى حق حمل السلاح وإرتداء الملابس الفاخرة والمطرزة بالذهب، إمتهن غالبية أفراد هذه الجماعة حرفة الخبازة، هذا ما جعل العديد منهم تكلفهم السلطة بالإشراف على أفران البايلك المخصصة لإعداد الخبز لليولداش(6) و الأسرى(7).

**– القبائل:**

(1)- واحة بسكرة منطقة قاحلة كانت في تلك الفترة غير قابلة لممارسة أي نشاط، ميزتها الأساسية كثرة أشجار النخيل، لذلك يعد التمر الغذاء الأساسي لسكان هذه المنطقة. للمزيد ينظر: سيمون بفايفر، ص155.

(2)- عائشة غطاس. الحرف والحرفيون ... المرجع السابق، ص26.

(3)-سيمون بفايفر. المصدر السابق ، ص156.

(4)- وليام شالر. المصدر السابق، ص ص109-110.

(5)- عائشة غطاس. المرجع السابق، ص22.

(6)- اليولداش:هي فرقة عسكرية أنشأها خير الدين باشا في بداية حكمه للجزائر، وكان الإنخراط فيها يمنح صاحبها الحصول على إمتيازات، اشتهر جنود هذه الفرقة بالشجاعة والإقدام/

(7)- Venture de paradis, Alger et Tunis,Op.cite, p119.

يسكن القبائل[1] المناطق الجبلية الممتدة من سلسلة جبال الأطلس التي تمتد من الغرب بإتجاه المغرب، والشرق باتجاه تونس، ويقيمون في هذه المناطق بصفة متفرقة، وتوحدهم لغة خاصة بهم، تختلف عن بقية سكان الجزائر[2]، عرف القبائل بممارستهم للنشاط الفلاحي و الصيد، وجودة أراضيهم جعلتهم يهتمون بالنشاط الزراعي ويتقنونه، هذا ما جعلهم يسدون حاجياتهم ويبيعون الفائض لسكان المدن.

إلا أن إهتمامهم بالزراعة لم يمنعهم من ممارسة العديد من الأنشطة الحرفية التي كانت من إختصاصهم كصناعة الصابون من الزيت والرماد، صناعة البارود و البنادق[3]، كما امتهنوا امتهنوا الصناعة النسيجية، إذ كانوا ينسجون مختلف أنواع الصوف.

بما أن المنطقة التي يسكنونها تتوفر جبالها على مادة الحديد والعديد من المعادن الأخرى، هذا ما جعلهم يهتمون بصناعة مختلف أنواع الأسلحة كالسيوف والآلات الزراعية، حول اهتماماتهم بهذه الحرفة يقول شالر: "... إن القبائل يعرفون صناعة الصُلب، الذي يستخرجونه لصنع عدة أنواع من الأسلحة..."[4].

أما عن علاقتهم بالسلطة، فتتفق معظم المصادر أنها تميّزت بالإستقلال، إذ لم تستطع الحكومة إخضاعهم كليا، مما جعلها تعمل على بث الشقاق بينهم حتى تتمكن من تفرقتهم والسيطرة عليهم، خاصة وأنها كانت على دراية بتمتع سكان القبائل بالذكاء والشجاعة، هذا ما جعلها تمتنع عن توظيف رجالهم في السلطة في مختلف مدن الإيالة الجزائرية[5].

- **الأغواطيون:**

(1)- تسمية القبائل مشتقة من الكلمة العربية «قبيلة»، وسميو كذلك لأن سكان المنطقة يعيشون في الجبال على شكل قبائل متفرقة، يعيشون في الأطلس الكبير وفي مختلف السواحل التي تتفرع عنه. والتي تحمل في الغالب أسماء عربية مثل: بني سنوس، بني زروال، بني زواوة، بني عباس، وكلمة «بني» في العربية تعني ينحدرون من نفس الأصل، للمزيد ينظر: مذكرات وليام شالر، ص113.

(2)- سيمون بفايفر. المصدر السابق، ص149.

(3)-المصدر السابق، ص ص149-150.

(4)- وليام شالر. المصدر السابق، ص115.

(5)-المصدر السابق، ص ص116-117.

أخذوا تسميتهم من منطقة الأغواط وهي منطقة على حدود الصحراء[1]، هاجر العديد منهم إلى مختلف المدن وخاصة مدينة الجزائر في فترة ما بين 1817م-1826م، هذا ما جعلهم يشكلون جماعة عرفت بجماعة الأغواطيون.

مارسوا حرفا متنوعة كحرفة الخبازة وصناعة الحلويات[2]، تولى هذه الجماعة قائد كان معيّن من قبل الباي، تمثل دوره في تنظيم هذه الجماعة والإشراف عن جمع الضرائب منهم[3].

- **فئة الدخلاء:**

عاش في الجزائر خلال مرحلة الدايات مزيجا من عدة جاليات أهمهم اليهود والأوروبيون والزنوج. وشكلوا بدورهم جماعات إخصت كلّ جماعة بنوع معين من الحرف.

**أ. اليهود:**

لقد تعددت الأماكن التي قدم منها اليهود، كما تعددت الروايات التي تحدثت عن سبب إنتقالهم إلى الجزائر والإستقرار بها. إلا أن معظمها تؤكد إلى أن تضاعف عددهم جاء نتيجة لطردهم من المدن الإسبانية في مطلع القرن السابع عشر ميلادي، هذا ما جعل أحد معاصري تلك الفترة يقول عن يهود الجزائر "أن معابدهم الستة رغم إتساعها إلا أنها لا تكفي لإحتوائهم...".

إستقر اليهود بعدة مدن كالجزائر، تلمسان، قسنطينة و هران[4]، أما عن عددهم فقدره بفايفر خلال مرحلة الدايات بحوالي أربعة عشر ألف يهودي ورغم كثرة عددهم مقارنة ببقية الجاليات إلا أن معظم المصادر التاريخية تتفق على أنهم كانوا محتقرين لدرجة كبيرة، حول ذلك يقول بفايفر: "...لم يضطهدوا أبناء إسرائيل ولم يحتقروا في أي مكان مثلما أضدهدوا واحتقروا في الجزائر..."[5].

(1)- سيمون بفايفر. المصدر السابق، ص154.
(2)- سيمون بفايفر. المصدر السابق، ص ص170-172.
(3)-المصدر السابق، ص154.
(4)- أرزقي شويتام. المجتمع الجزائري وفعاليته ... المرجع السابق، ص ص64-65.
(5)- سيمون بفايفر. المصدر السابق، ص ص180-181.

إمتهن اليهود العديد من الحرف خلال مرحلة الدايات كالصاغة، الزجاجون، خياطون، حدادون، خراطون، وبرعوا فيها نتيجة لإمتيازهم بالنشاط و المهارة[1]. هذا ما جعلهم يمتلكون أجمل المنازل في مختلف مدن الجزائر، كما اهتموا بالنشاط التجاري وبرعوا فيه، حتى أصبحت مدينة الجزائر تقريبا ملكا لهم في أواخر مرحلة الدايات[2].

أما فيما يخص طريقة تنظيمهم، فقد كانوا منظمين وفق تنظيم طائفي يرأسه شيخ أو ما يعرف بمقدم اليهود، إذ يتولى تسيير شؤون الطائفة اليهودية ويعتبر الوسيط بينها وبين السلطة، فيقوم بجمع الجزية والضرائب لصالح البايلك، حولهم يقول شالر: "...كما يتولى إدارة شؤونهم رئيس من أبناء الطائفة، يعينه الداي... وهم يحتكرون في هذه البلاد السمسرة وأعمال المصارف وتبديل العملة... والحكومة لا توظف سوى اليهود لصك النقود..."، ونفهم من هذا كلّه أن اليهود كانوا مسيطرين على العديد من الحرف الراقية ذات المداخيل الكبيرة كحرفة الصاغة التي إحتكروها في الجزائر، هذا ما جعلهم يسيطرون على التجارة في الجزائر خلال مرحلة الدايات[3].

**ب. النصارى:**

تمركزوا في المدن الساحلية خاصة مدينة الجزائر، كان غالبيتهم من القناصل وموظفي القنصليات ووكلاء المؤسسات التجارية وفئة الأسرى[4]. إمتهنوا صناعة السفن، وخدمة البساتين، كما مارسوا أعمال النظافة، هذا ما جعل الجزائريون يستفيدون منهم و يتبادلون التجارب خاصة في مجال المهارات العسكرية[5].

**ج. الزنوج:**

جاءوا من الأقطار السودانية[6]، تكونت هذه الجماعة من الأحرار والعبيد السود الذين جاءوا عبر الواحات الصحراوية بحثا عن العمل[7]، وكان هناك فئتين الأحرار والعبيد،

---

(1)-المصدر السابق، ص183.
(2)- هانريش فون مالتسيان. المصدر السابق، ص81.
(3)- وليام شالر. المصدر السابق، ص89.
(4)- أرزقي شويتام. المجتمع الجزائري وفعالينه ....، المرجع السابق، ص66.
(5)- ناصر الدين سعيدوني. النظام المالي للجزائر ...، المرجع السابق، ص45.
(6)- نور الدين عبد القادر. صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من اقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص143.
(7)- ناصر الدين سعيدوني. المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص ص100-101.

اشتغل العبيد في المنازل الموجودة في المدن من خلال قيامهم بأعمال التنظيف، أما الأحرار فمارسوا العديد من الحرف كالبناء والنسج الذي تفننوا فيه[1]، ترأس هذه الجماعة أمين يدعى قائد الوصفان، يعتبر الوسيط بين السلطة وهذه الجماعة، حيث يحرص على تطبيق جميع القوانين الصادرة عن السلطة[2].

**2- سكان الأرياف:**

أجمعت المصادر التاريخية على أن سكان الأرياف خلال الفترة العثمانية كانوا يمثلون الأغلبية الساحقة، وهم يعيشون في قبائل متناثرة[3]، هذا ما صعب لنا معرفة الحرف التي امتهنتها كلّ منطقة من مناطق الريف في الجزائر. إضافة إلى أن أغلب سكان الأرياف كانوا يمارسون النشاط الزراعي والرعوي، ذلك نتيجة لتوفر الأراضي الصالحة للزراعة وهو ما أكده هانريش حيث يقول: "... كانوا يعتمدون على الأعمال الفلاحية إذ يقومون بتزويد المدينة بمختلف الحبوب..."[4].

ومن هنا سوف نقسم هؤلاء حسب موقفهم من السلطة وعلاقتهم بها وهي كالتالي:

**- قبائل المخزن[5]:**

هي عبارة عن تجمعات سكانية موالية للسلطة كانت تمتلك الأراضي الخصبة، مهمتها إستخلاص الضرائب وتنفيذ أوامر البايلك، والمحافظة على الأمن مقابل حصولها على امتيازات كالإعفاء الضريبي[6]، تواجدت قبائل المخزن في عدة مناطق كالسهول الوهرانية التي كانت مهددة من قبل الإسبان، كما تمركزت حول الأبراج والحصون، إضافة إلى المخازن[7].

---

(1)-المرجع السابق، ص99.

(2)- نور الدين عبد القادر. المرجع السابق، ص143.

(3)- أرزقي شويتام. المجتمع الجزائري وفعاليته ...، المرجع السابق، ص98.

(4)- هانريش فون مالتسيان. المصدر السابق، ص72.

(5)- وضعت الإدارة تنظيما محكما لتسيير قبائل المخزن، حيث يقوم الدايات و البايات بتعيين على رأس كل قبيلة، شيوخا، و قيادا، و أفوات، وخلفاء البايات، هذه التعيينات خاضعة لمقاييس معينة منها، أن القبائل القوية يسمح لها بتعيين شيوخها بنفسها في حين قبائل الزمول والعبيد والدواوير فالإدارة هي التي تتولى تعيين رؤسائها، ينظر: أرزقي شويتام، ص ص242-243.

(6)- ناصر الدين سعيدوني. دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر ...، المرجع السابق، ص98.

(7)- ناصر الدين سعيدوني. النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية...، المرجع السابق، ص49.

وكانت المنطقة الممتدة من دار السلطان إلى حدود منطقة القبائل وبايلك التيطري وبايلك قسنطينة مقسمة إلى عدة أوطان وقيادات منها وطن الخشنة، بني جعد، بني سليمان، سور الغزلان، وعريب، وبرج حمزة، فمنها من كان تابعا إداريا إلى دار السلطان، وهناك من كان خاضعا لبايلك التيطري وبيالك قسنطينة[1].

**ـ القبائل المتحالفة:**

قبائل بعيدة عن السلطة التركية متحصنة بالمناطق الجبلية كالأوراس والونشريس والبابور[2]، كان زعماء هؤلاء القبائل محليين ذو عقلية قبلية معروفين بنفوذهم الديني، أو أصالة نسبهم، أو كفائتهم الحربية[3].

إن الطابع الزراعي و الرعوي الذي غلب على المجتمع الريفي في الجزائر، كما ذكرنا سابقا أدى إلى نقص الإهتمام بالنشاط الحرفي، وما يؤكد ذلك أن معظم المصادر التاريخية التي إطلعنا عليها لم تهتم بذكر النشاطات الحرفية التي كانت موجودة في الريف، حتى وإن ذكرتها فإنها جاءت على شكل بعض الإشارات الطفيفة. إذ لم تفصل فيها.

**ـ القبائل الممتنعة:**

هي قبائل رافضة للسلطة، إستقروا في المناطق الجبلية والصحراوية، وإنتهجت السلطة سياسة خاصة إتجاه هذه القبائل ذلك من خلال محاولة إخضاعها عن طريق قبائل المخزن، وإجبارها على دفع الضرائب بوساطة من قبائل المخزن[4].

من أهم الحرف التي عرفت إنتشارا لديهم حرفة النسج، حيث كان النساجون يقومون بحياكة مختلف الألبسة كالبرانيس الصوفية والخيام التي يسكنونها، كما يصنعون مختلف

(1)- أرزقي شويتام. المجتمع الجزائري وفعاليته ... ، المرجع السابق، ص239.
(2)- ناصر الدين سعيدوني. النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية، المرجع السابق، ص49.
(3)- أرزقي شويتام. المجتمع الجزائري وفعاليته...، المرجع السابق، ص17.
(4)- حمدان بن عثمان خوجة .المرآة، المصدر السابق، ص111.

أنواع الأغطية مثل الزرابي، ولو أردنا أن نفسر سبب رواج هذه الحرفة فيمكن إرجاعه إلى وفرة مادة الصوف[1].

أما عن الطريقة التي تتم بها هذه عملية النسج فيصفها فندلين شولصر في قوله: "...الصناعة النسيجية تتم من خلال نصب المنسج بطريقة مستقيمة، ويربط به جزء من الخيوط تمرر بواسطة الأصابع. وتثبت بواسطة الخشب، لتصنع بها ملابس الرجال والنساء..."[2].

صناعة الأواني بمختلف أنواعها من مادة الطين أيضا كانت منتشرة[3] في مختلف المناطق الريفية، أخبرنا لوسيت فالنسي عن هذه الحرفة قائلا: "... يصنعون أواني الطبخ مثل الصحون، وكلّ الأغراض المصنوعة من الطين الذي يشكلونه، ثم يقومون بتجفيفه في أفران مصنوعة من الطين..."، كما عرفت العديد من المناطق الريفية كمنطقة القبائل[4] صناعة البارود والبنادق التي تميزت بإتقان صنعتها، هذا ما جعل الكتابات الأجنبية تشيد بذلك، إذ يقول فندلين شلوصر:"... تميزت صناعتها بالدقة، مما جعل سكان المنطقة يمتنعون عن تبديلها بالبنادق الأوربية...".

كما نجد أيضا صناعة الأسلحة البيضاء والمتمثلة في مختلف أنواع السيوف والخناجر التي تصنع من مادة الحديد والفضة، صناعة السلال بمختلف أنواعها من مادة الحلفاء والخيزران، إضافة إلى صناعة العديد من المواد الغذائية كزيت الزيتون حيث شهدت المعاصر إنتشارا في مدينة القبائل خاصة، نتيجة لوفرة أشجار الزيتون[5] وصنع مادة الزبدة والمربى ومختلف المواد الغذائية، التي تلقى إستهلاكا واسعا من السكان[6].

هنا لابد من الإشارة إلى أن الأنشطة الحرفية التي كانت ممارسة في الريف لم تقتصر على الحرف التي ذكرناها، وإنما هناك حرفا أخرى كانت منتشرة أيضا، إلا أنها كانت قليلة

(1) لوسيت فالنسي. المصدر السابق، ص55.
(2)- فندلين شلوصر. المصدر السابق، ص93.
(3)- لوسيت فالنسي. المصدر السابق، ص55.
(4)- القبائل: هم الذين يسكنون الجبال و تختلف حياتهم عن بقية السكان، و يسكنون في قرى صغيرة تعرف بالدشرة، للمزيد ينظر: قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837 لـ فندلين شولصر، ص95.
(5)- فندلين شولصر. المصدر السابق، ص95-96.
(6)-المصدر السابق، ص93.

مقارنة بالمدن، ويمكن أن نرجع ذلك إلى عدة عوامل، أهمها أن الإنتاج الحرفي في الريف كان موجها أساسا لسد الحاجيات العائلية، خاصة وأن سكان الريف عُرفوا بحياتهم البسيطة مقارنة بسكان المدن. وهو ما يؤكده لوسيت فالنسي إذ يقول: "... هذا الإقتصاد العائلي مع ذلك بعيدا عن أن يكون اكتفائيا..."، ويكمل حديثه قائلا: "... هذه البضائع المصنوعة موجهة للحاجيات العائلية...".

كما أن العديد من سكان الريف لم يمارسوا نشاطهم الحرفي داخل مناطقهم، وإنما هاجروا إلى المدن ومارسوا فيها حرفا مختلفة ساهمت في تنشيط وتنويع النشاط الحرفي داخلها، مشكلين بذلك فئة عُرفت بفئة البرانية[1]، ويؤكد ذلك هانريش في قوله: "... البدوي يعيش في رحلة مستمرة عن قوته، والبعض الآخر يستقر لمدة زمنية في منطقة معينة ليشتغل مهنة خاصة في المدن ثم يعود إلى موطنه الأصلي"[2].

(1 ) لوسيت فالنسي، المصدر السابق، ص 55.

(2) هانريش فون مالتسيان، المصدر السابق، ص 69.

**ثانيا :أهم الحرف والجماعات الحرفية:**

قبل أن نتعرف على أهم الحرف التي تواجدت في الجزائر خلال مرحلة الدايات، لابد من الإشارة إلى أنه بعد إطلاعنا على العديد من المصادر التي تناولت النشاط الحرفي وجدنا أن بعضها يذكر تسمية الحرفة والبعض تسمية الصنعة، لذلك سوف نحاول أن نقدم تعريفا للمصطلحين.

الحرفة كمصطلح لغوي لها عدة معاني، كما أنها تتداخل مع مصطلحات أخرى متشابهة لها ومن هنا نقف على تعريف الحرفة والنشاط الحرفي، وهل يمكن أن نفرق بينها وبين المصطلحات المتشابهة لها؟.

**1.تعريف الصنعة والحرفة لغة وإصطلاحا:**

ورد في لسان العرب أن الصنعة هي حرفة الصانع وعمله هو الذي يُعتمد فيه على اليد، إذ حيث يستعملها في صنع الأشياء، كما يعتمد على ذكائه في تحويل أشياء أخرى يريدها، وهو محور إنتاج في الحياة الإقتصادية.

والحرفة جمع حرف، ما يكتسب به الرزق من عمل الصناع[1]، وكما جاء في معجم الوسيط، الحرفة وسيلة كسب من زراعة وصناعة وتجارة وغيرها، أما الحرفي هو الشخص الذي يكسب عيشه بالعمل في حرفة بصفة مستمرة ومنظمة[2]، والحرفة هي مهنة تتطلب نوعا خاصا من العمالة الماهرة، وهي أيضا صناعات أو حرف يدوية فنية، لا تتطلب وسائل معقدة وتعكس الواقع الإجتماعي والثقافي للمجتمعات وسلوك الإنسان وتفكيره وشعوره، وهدفها الأساسي هو تلبية حاجيات المجتمع.

كما يمكن إعتبارها فنونا تراثية ترتبط إرتباطا وثيقا بالثراث الحضاري والتقاليد والعادات والقيم الإجتماعية للمجتمع، والحرفي هو عامل يدوي مكوّن عن طريق ممارسة مباشرة وهو مستقل يعمل لحسابه الخاص، ويعمل بمفرده أو بمساعدة أفراد عائلته.

وفيما يتعلق بالإختلاف القائم بين الصناعة والحرفة، فقد عرف "ابن خلدون"ا لصناعة في الفصل الذي خصه للصنائع كما يلي: "أعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري وبكونه عمليا هو جسماني محسوس، والأحوال الجسمانية المحسوسة فنقلها بالمباشرة أو عب لها، وأكمل لأن المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة. والملكة صنعة راسخة تحصل عن إستعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته..."[3].

بينما ميز بعضهم تمييزا واضحا بين الصناعة والحرفة حيث جعل مفهوم الصناعة أضيق، وحصره فيما هو مكتسب بالممارسة والتمرن، ومن ثم الحرفة أشمل، والصناعة عند هؤلاء هي كل عمل يقتضي إستعمال الأيدي "الأعمال اليدوية" وعرف صاحب قانون الصناعات الدمشقية الصناعة بقوله: "وأما الصنائع فهي ثانيتها ومتأخرة عنها أي عن الفلاحة لأنها مركبة وعملية، تصرف فيها الأفكار والأنظار، وهي لا توجد غالبا إلا في أهل الحضر[4].

ومن هنا يمكن أن نفهم أن الحرفة والصناعة مصطلحين مختلفين، لكن في الحقيقة وبعد إطلاعنا على العديد من المصادر التي تتناول مرحلة الدايات وجدنا أن النشاط الحرفي في

(1)- جمال الدين إبن منظور. لسان العرب، تح: عبد الله حسب الله،هاشم محمد الشادلي، ط3، دار صادر، بيروت 2010، ص 25.
(2)- شوقي ضيف. المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004، ص167.
(3)- إبن خلدون عبد الرحمان. المقدمة، دار الفكر، بدون تاريخ، ص400.
(4)- عائشة غطاس. الحرف والحرفيون...،المرجع السابق ، ص106.

الجزائر خلال هذه المرحلة كان يُنعت بلفظتي حرفة أو لفظة صنعة، فالكلمتين تدلان على أمر واحد إذ تستعمل لفظة صناعة بدل الحرفة، وهو ما نجد في مخطوط قانون الأسواق في ذكره للقوانين التي تتعلق بتسعيرة تخص الحدادين والسمارين وتحديد كراء أحدى المحلات الخاصة بهم في مدينة الجزائر، إذ يذكر تسمية "أمناء الصناع"، وفي مواقع أخرى بذكر "أمناء الحرف""... بإذن من الداي الحاج أحمد، أرسل عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويهد إلى أمين الحدادين وبحضور أمين الصناعة ..."[1].

وتذكر الدكتورة عائشة غطاس إستنادا إلى عقود المحاكم الشرعية أن إستعمال لفظة "الصناعة" كان مرادفا للفظة "الحرفة" في تلك المرحلة، فتارة تستعمل الأولى وتارة تستعمل الثانية، وهو مايستنتج فيما ورد في محاضرة جلسات الجماعات الحرفية، التي كانت تُعقد للفصل في النزاعات القائمة بين أهل الصنائع التي تتم بمقر قاضي القضاة، أو قاضي الحنفية، إذ ورد مايلي: وأمناء الصنائع وكل أمين أتى بكراء أهل صنعته العارفين بها يطول ذكرهم..."، فنجد إستعمال "أمناء الصنائع" بدل "أمناء الحرف" وأهل الصنعة بدل الحرفة[2].

وأعتبرت الحرفة إحدى العناصر الأساسية في تلك المرحلة في إثبات الهوية إذ كانت ترد إلى جانب الإسم في عقود المحاكم الشرعية، فكان الحرفي يحمل تسمية حرفته ويعرف بها في المجتمع، كما كانت الحرفة وسيلة لكسب الرزق وإعالة الأسرة وتكوين ثروة في الكثير من الأحيان، خاصة فيما يتعلق بالحرف التي تحقق مداخيل مالية كبيرة، كحرفة الحرارة وحرفة الصياغة...[3].

يعتبرالنشاط الحرفي من أبرز الأنشطة التي مارسها سكان الجزائر، وعرفت مختلف حواضر وأرياف الجزائر خلال مرحلة الدايات إنتشار العديد من الحرف، حيث كانت معظم الأسر الريفية تمارس النشاط الحرفي إلى جانب النشاط الفلاحي وذلك من أجل توفير

---

(1)-عبد الله بن محمد الشويهد. المصدر السابق، ص86.

(2)- عائشة غطاس. الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص159.

(3)- خليفة حماش. الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة الدكتوراه دولة جامعة منتوري قسنطينة، قسم التاريخ، 2006، ص ص89-90.

حاجياتها الضرورية بنفسها، وكذلك الشأن بالنسبة للمدن، لكن هنا نشير إلى أن النشاط الحرفي داخل المدن كان أكثر تنظيما من الأرياف، لأنه يعتبر أهم نشاط إقتصادي بالنسبة لهم.

ولكي نحدد أهم الحرف التي مارسها سكان الجزائر، إستندنا إلى مجموعة من المصادر الأجنبية والمحلية ، وما يلاحظ أنها كانت تقوم بذكر تسمية الحرف وفي بعض الأحيان تقوم بذكر تسمية الجماعات الحرفية، لأن أصحاب هذه الحرف إنتظموا من خلال إتحادهم فيما بينهم مشكلين بذلك جماعات حرفية، على هذا الأساس سوف نقوم بذكر الحرف والجماعات الحرفية المنتشرة في الجزائر خلال مرحلة الدايات والتي قسمتها عائشة غطاس إلى ثلاث مجموعات، وهي حرف إنتاجية، حرف خدماتية، حرف خاصة بالتجارة والتسويق[(1)].

كما وجدنا أن العديد من الحرف انقسمت إلى عدة فروع، لذلك سوف نفصل في ذكر الحرف والجماعات الحرفية ونقدم تعريفا لها، والتي نذكر منها:

**النساجون (النسج):**

عرفت هذه الحرفة إنتشارا في المدن والأرياف، تتمثل هذه الحرفي في صناعة الزرابي التي يفترشها السكان على إختلاف إنتمائهم، وقد وقفت العديد من المصادر المحلية والأجنبية على العملية التي تتم بها نسج مختلف أنواع الأفرشة، إذ يتم نصب المنسج المصنوع من مادة الخشب بطريقة مستقيمة ويربط به جزء من الخيوط التي تمرر بواسطة الأصابع وتثبيت بواسطة الخشب. بعدما يقومون بغزل الصوف بواسطة مغزل بلف الصوف حوله بعد القيام بغسلها وتجفيفها[(2)]، أشاد سيمون بفايفر بتفنن الجزائريين في صناعة الأغطية الصوفية التي تميزت بالجودة في قوله: "... أنها تميزت بليونتها وخفتها، فكانوا يرسلونها إلى تونس..."[(3)].

---

(1)- عائشة غطاس. الحرف والحرفيون ...، المرجع السابق، ص155.
(2)- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، 1830-1855 ، ش.و.ن.ت ، الجزائر . ص11.
(3)- سيمون بفايفر. المصدر السابق، ص167.

إضافة إلى الزرابي والأغطية كان يتم صنع العديد من الملابس، كالبرانس، الشواشي والحياك[1].

وإختصت كل منطقة من البلاد بإنتاج معين، إذ ذكر وليام شالر أن نسج الصوف لصناعة البرانس، الشالات والسجاد كانت منتشرة في القرى الريفية[2]، كما ذكر هاينريش فون مالتسيان أن قبائل بني عباس الثمانية الساكنة لبلاد جرجرة أشتهرت بصناعة البرانس، وكان لهم دكاكين في مدينة الجزائر لبيعها[3].

**صناعة البارود والبنادق:**

ذكرت العديد من الكتابات التاريخية أن إقليم سيباو أُشتهر بصناعة البارود والبنادق، حول ذلك كتب فاندلين شلوصر"... ويصنعون البارود بأنفسهم... وهو سميك وليس له حبيبات متساوية، لأنهم يجهلون طريقة تنقية ملح البارود من أجزائه الترابية، ولذلك فهو قليل القوة...".

إضافة إلى صناعة البارود أُشتهرت هذه المنطقة أيضا بصناعة البنادق، التي عرفت شهرة واسعة في مختلف مناطق البلاد، هذا ماجعل السكان يفضلونها عن البنادق الأوروبية، بل وحتى أن العديد من الأجانب أشادوا بإتقان صنعتها، يظهر ذلك جليا في الوصف الذي قدمه فاندلين شلوصر، في قوله: "... ويمتاز القبائل بصناعة البنادق الجيدة، ويبلغ طولها ستة أو سبعة أقدام ولها ماسورة مثمنة... ومقبضها يمتد إلى وسط الماسورة، وقاعدتها ذات زوايا، وهي مزينة عادة بالحجارة أو جواهر صغيرة... ومبرودة طولا لتطلق النار بصورة أجود[4].

ولم تقتصر صناعة البارود على منطقة القبائل، إذ عُرف عن المناطق الصحراوية إنتاجها لهذه المادة، هذا ما أشار إليه الحاج ابن الدين الأغواطني الذي يقول أن سكان الصحراء

(1)-Venture De Paradis Tunis et Alger au 18 e siécle, mémoire et observation, rassemble présentés par Joseph cuoq, éd sindbad, Paris, 1983, p122.

(2)- وليام شالر. المصدر السابق، ص93.

(3)- هاينريش فون مالتسيان. المصدر السابق، ج2، ص159.

(4)- فاندلين شلوصر. المصدر السابق، ص ص94-95.

يعرفون صناعة البارود، ويقدّم وصفا حول العملية التي تتم بها صنعها، إذ يقومون بجمع التراب من الأرض أو من القرى المهدمة، وهذا التراب الذي كان في الأصل من مادة مالحة، يصب عليه الماء، بنفس الطريقة الذي يعالج بها الرماد عند صناعة الصابون، ثم يغلى الماء ليصبح خاثرا، ثم يؤخد رطل منه ويُخلط مع أربعة أرطال من الكبريت وأربعة أرطال من الفحم المستخرج من

شجرة الدفلى، وهذه العناصر المختلفة تخلط جميعا في غضون الأربعة ساعات، لتصبح بارودا[1].

**صناعة السفن:**

عرفت ورشات صناعة السفن تواجدا في المناطق الساحلية إذ كان يتم فيها صنع أحواض السفن الصغيرة والكبيرة، حيث كانت دار صناعة السفن بمدينة الجزائر تتلقى كميات كبيرة من الخشب لبناء السفن وتجهيزها، كما كانوا يقومون بإصلاح السفن الحربية بجميع أنواعها من البارجة إلى أصغر السفن[2]، وهنا نذكر أن السفن التي كانت موجودة في البلاد كانت تمتلك جلها طائفة رياس البحر[3].

**صانعو الأسلحة:**

هم الذين يقومون بصناعة خناجر والسيوف الفاخرة، كما يقومون صناعة البنادق وإصلاحها[4]، والطابع المميز لهذه الحرفة هو تمركزها في منطقة القبائل بكثرة، نظرا لما كانت تزخر به هذه المنطقة من مادة الحديد المستخرج من الجبال الموجودة فيها، إذ كانوا يستخرجونه ويقومون بصهره لشكلوا منه سيوف وخناجر مختلفة[5].

**النجارون (النجارة):**

---

(1)- أبو القاسم سعد الله. أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص255.
(2)- وليام شالر. المصدر السابق، ص68.
(3)- جون ب وولف. الجزائر وأوربا1500-1800م، تر:أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، عالم المعرفة ،الجزائر، 2009، ص180.
(4)- سيمون بفايفر. المصدر السابق، ص150.
(5)- فندلين شلوصر.المصدر السابق، ص93.

هم الذين يصنعون أثاث متنوعة من مادة الخشب كالأبواب، الخزائن والطاولات[1]، وأكّد سيمون بفايفر على أن النجارون في الجزائر تميزوا بمهارتهم الحرفية، وهو ما يظهر في الأثاث التي يصنعونها، والتي تميزت بالدقة في الصنع[2].

**الخياطون (الخياطة):**

يقومون بصناعة الملابس المختلفة للرجال والنساء، وكانت هذه الحرفة تزاول في البيوت والورشات، أخبرنا هانريش فون مالتسيان عن طريقة تنظيم هذه الحرفة وممارستها، إذ يقول أنه يقوم المعلم بتفصيل الثياب بمساعدة من المساعد الذي يساعده خياطتها، إذ كان لكل خياط مساعد يعمل معه في حانوته مما يعكس لنا التنظيم الذي تميزت به هذه الحرفة .

كما يذكر أيضا تميز الخياطون بحب الناس لأنهم يقدمون أحسن الخدمات لزبائنهم في حوانيتهم من شرب الشاي والقهوة، وكثيرا ما يساعدونهم بالمال كقرض كلما احتاجوا لذلك، كما أخبرنا هانريش فون مالتسيان أيضا أن المنافسة القائمة بين الخياطين حول من يقدم أحسن السلع والخدمات لزبائنه أدت إلى جودة منتوجاتهم[3].

قدم لنا شالر القنصل الأمريكي تفاصيل حول فروع هذه الحرفة كالتطريز الذي تميز فيه الجزائريون بالبراعة والذوق الرفيع، كما وضح أيضا العوامل التي ساهمت في تنوعها كجودة ووفرة المواد الأولية مثل الحرير الذي كان يستورد في الغالب بكميات كبيرة من المشرق، الذي تصنع منه الشالات والمناديل والأحزمة.

والملاحظ أن أغلب الكتابات الأجنبية تتفق على جودة هذه المنتوجات مما جعلها تباع بأثمان مرتفعة مقارنة بالسلع الأجنبية، وهو ما نستخلصه من قول وليام شالر: "... لا توجد بضاعة أوربية تفوق المنتوجات الجزائرية في هذا المجال..."[4]، وبالرغم من الإزدهار الذي عرفته هذه الحرفة إلا انها عرفت تراجعا في أواخر مرحلة الدايات، مما إنعكس سلبا على المداخيل المالية للحرفيين.

(1)- وليام شالر. المصدر السابق، ص95.
(2)- سيمون بفايفر. المصدر السابق، ص167.
(3)- هانريش فون مالتسان. المصدر السابق، ص113.
(4)- وليام شالر. المصدر السابق، ص93.

ويمكن أن نحصر تراجعها إلى الأسباب التالية:

- إحتكار فرنسا للعديد من المواد الأولية المستعملة في هذه الحرفة كالصوف والجلود الخام.
- إرتفاع التعريفة الجمركية على واردات الجزائر من مواد أولية كالحرير.
- سياسة الإحتكار التي طبقتها السلطة إتجاه العديد من المواد الأولية، كإحتكار باي وهران للجلود والصوف التي تنتجه ولايته مقابل دفع 15000 دولار سنويا[1].

**البناؤون (البناء):**

يقومون ببناء المساكن،المساجد والطرقات، وكان يتم البناء في الغالب بمادتي الآجور والحجارة، وقد أخبرنا وليام شالر بإتقان البنائين لحرفتهم قائلا: "... بأنهم بلغوا درجة من الكمال من الناحية العملية..."[2].

ما ميز هذه الحرفة هو تأثرها بالهندسة والتصميم التركي الذي جلبه أغنياء الجزائر معهم بعد زيارتهم للقسطنطينية وتأثرهم بتصاميم مبانيها[3].

**الصياغون (الصاغة):**

يقومون بصناعة الحلي المختلف من الذهب والفضة، كما يقومون بطلاء الأسلحة كالسيوف والقبعات النسوية بمادة الذهب والفضة، اشتهر اليهود بامتهانهم لهذه الحرفة وإحتكارهم لها خاصة في المدن الكبرى[4].

**الأساكفة (اسكافي):**

يقومون بصناعة مختلف أنواع الأحذية وإصلاحها، وأشاد العديد من الرحالة الأجانب بإنفراد إسكافي الجزائر بمميزات خاصة مقارنة بغيرهم في أوربا حيث اتقنوا حرفتهم، هذا

---

(1)-المصدر السابق، ص ص101-103.
(2)- وليام شالر. المصدر السابق، ص96.
(3)-المصدر السابق، ص62.
(4)- سيمون بفايفر. المصدر السابق، ص172.

ما أكدّه أحد الرحالة الألمان فيلهلم شيمبر[1] فيقول: "... في إمكان الاسكافي الأوربي أن يذهب إلى الجزائر ليتعلم كيف يصنع الأحذية...". لكن ما يلاحظ هو تراجع وركود هذه الحرفة في أواخر مرحلة الدايات خاصة وأن دول أوربا أدخلت وسائل متطورة في هذه الحرفة[2].

**النحاسون (نحاسي):**

هم الذين يقومون بصنع مختلف المنتوجات النحاسية، ومن أهم منتوجاتهم نذكر الأواني المنزلية ، الطاولات النحاسية التي تؤخذ أشكالا مختلفة وتزيّن بها المساكن[3].

**الدباغون (دباغ):**

يقومون بدباغة الجلود بمختلف أنواعها. خاصة وأن الجزائرعرفت وفرة في هذه المادة، فنجد نوعين من الجلود: جلود عادية موجهة للطبقة المتوسطة وأخرى فاخرة موجهة للطبقة الغنية[4]، وقد اشتهر سكان الأوراس بممارسة هذه الحرفة[5].

لكن سرعان ما عرفت هذه الحرفة تراجعا في أواخر مرحلة الدايات نتيجة لإرتفاع الضرائب على الإنتاج الريفي[6]، هذا مأأثر سلبا على هذا الحرفة، بعد ما كانت دباغة مدينة بجاية مطلوبة جدا وسط الإسكافيين الإيطاليين[7].

**صناعة الصابون:**

(1)- وليام شالر. المصدر السابق، ص115.
(2)- سيمون بفايفر. المصدر السابق، ص168.
(3)- فيلهم شيمبر (1804-1878) عالم ورجالة ألماني قام بعدة رحلات في جنوب فرنسا والجزائر ومصر، وبعد عودته إلى وطنه أصدر كتابا بعنوان «رحلة فيلهم شيمبر إلى الجزائر في سنتي 1831-1832»، وصف فيه مدينة الجزائر، ينظر الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، ص11.
(4)- سيمون بفايفر. المصدر السابق، ص167.
(5)- عبد الله ركيبي. الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز، دار الكتاب العربي ، الجزائر .2009 . ص45.
(6)- لوسيت فالنسي. المصدر السابق، ص57.
(7)- وليام سبنسر. المرجع السابق، ص31.

إهتم سكان الجزائر بصناعة مادة الصابون ،حيث إنتشرت العديد من الورشات لصنعها، وأشار الحاج إبن الدين الأغواطي أثناء حديثه عن سكان الصحراء، إلى إنتشار هذه الصناعة بمختلف القرى الصحراوية والتي كانت تقوم على معالجة مياه البارود[1].

**الحفافون (الحفاف):**

هم الذين يقومون بحلاقة الرأس والذقن، يقول عنهم هانريش فون مالتسيان: "... والحفاف شخصية متميزة لدى السكان الحضر، فكثيرا ما كان يجتمع أعيان البلد في حانوته لمناقشة أوضاع المجتمع...". لذلك يمكننا أن نقول إن هذه الحرفة ومن امتهنوها حظيوا بمكانة متميزة داخل المجتمع[2].

**الكواشون (كواش):**

امتهن هذه الحرفة الميزابيون الذين اشتغلوا بالخبازة وصناعة الحلوى في المدن الكبرى كالجزائر، وهران، قسنطينة[3].

**الحرارون (حرار):**

تطلق لفظة الحرار على صانعي الأقمشة الحريرية وعلى تجار الحرير، وهناك العديد من الحرفيين من جمعوا بين الحرفتين معا[4]، وكان للعنصر الأندلسي دورا متميزا في ازدهار ورواج هذه الحرفة، حيث وجد في مدينة الجزائر لوحدها سنة 1679م حوالي ألفي اندلسي ساهموا في إثراء المدينة بصناعتهم الحريرية المتطورة[5].

وتحدث شالر عن اهتمام الجزائريين بهذه الحرفة قائلا: "... وأهم الصناعات الجزائرية، صناعة الحرير والصوف والجلود المدبوغة..."[6]، لكن في أواخر مرحلة الدايات عرفت

(1)- أبو القاسم سعد الله. أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص255.
(2)- هانريش فون مالتسيان. المصدر السابق، ص ص65-66.
(3)- سيمون بفايفر. المصدر السابق، ص163.
(4)- المنور مروش. دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، العملة والأسعار والمداخيل، ج1، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص343.
(5)- عائشة غطاس. الحرف و الحرفيون ... ، المرجع السابق، ص299.
(6)- وليام شالر. المصدر السابق، ص93.

هذه الحرفة تراجعا نتيجة لعدة مشاكل أهمها الكوارث الطبيعية التي كانت سببا أساسيا في تناقص عدد الحرارين خاصة سنة 1817[1].

**الحلفاويون (حلفاوي):**

يقومون بصناعة مختلف المنتوجات التي تصنع من مادة الحلفاء التي تجلب من المناطق الريفية، ومن أهم منتوجاتهم السلال الصغيرة الموجهة للمنازل والكبيرة الموجهة للحمالين، والحصائر الموجهة للطبقة الفقيرة والمتوسطة.

**المجلدون (مجلد):**

هم الحرفيون الذين يقومون بتجليد الكتب بالورق بشكل صلب لتغطى الكتب بعد ذلك بالجلود الفاخرة.

**الساعاتية (سعاتي):**

يقومون بإصلاح الساعات، لأن صناعتها لم تكن موجودة في الجزائر خلال تلك الفترة[2].

**القوقاجيون (القوقاجي):**

يقومون بصناعة طاقية النساء التي تكون على شكل مخروطي، وكانت ترتديها في الغالب الحضريات واليهوديات والقبائليات[3].

**الحمالون (الحمال):**

يقومون بحمل مختلف أنواع السلع في الأسواق[4]، واعتمد هؤلاء الحمالين على وسائل بسيطة لممارسة نشاطهم كالحبال والعصي والسلال، عُرف عنهم تميزهم بالهدوء والمعاملة الحسنة فيما بينهم، إذ يصفهم العالم والرحالة الألماني فيلهلم شيمبر ويقارنهم بالحمالين

(1)- عائشة غطاس. الحرف و الحرفيون ... ، المرجع السابق، ص229.
(2)- سيمون بفاير. المصدر السابق، ص ص169-172.
(3)- هانريش فون مالتسيان. المصدر السابق، ص ص65-66.
(4)-المصدر السابق، ص79

الأوربيين قائلا: "... إنهم عكس ما للحمالين الجزائريين من خصال حميدة..."[1]، وكان غالبية هؤلاء الحمالين من البسكريين الذين يقصدون المدن الكبرى كمدينة الجزائر التي تميزت بشوارعها الضيقة وعدم استعمال العربات[2].

**الجنائنية (جنائني):**

تعد هذه الحرفة من الحرف الخدماتية، وهم الذين يقومون بزراعة مختلف أنواع الورود في الحدائق العامة والخاصة، مما جعلهم يزودون صناع العطور وماء الورد بمختلف أنواع الورود التي يحتاجونها.

**الحواتون (حوات):**

هم صيادوا الأسماك بمختلف أنواعها [3]، خاصة وأن بحر الجزائر تميّز بغنائه بمختلف أنواع الأسماك، حول وفرة هذه المادة يقول وليام شالر: "... في بحر الجزائر تعيش جميع أنواع السمك، كما يوجد في السواحل الشرقية أجمل أنواع المرجان المعروف في العالم، وهذه المادة يمكن أن تصبح مصدر للصناعة ومورد لثروة البلد لكنها غير مستغلة..."[4].

**السراجون (سراج):**

يقوم بصناعة سروج الأحصنة من مادة الجلد والتي كانت تطرز بخيوط مذهبة، إضافة لصناعتهم للجام وأحذية الفرسان، وكثيرا ما كانوا يصنعون حقائب السفر والأحزمة الجلدية الحاملة للمسدسات.

**الصباغون: (صباغ):**

هم الحرفيين المختصين بصبغ مختلف أنواع الأقمشة، كما كان هناك صباغين مختصين بدهن البيوت، يصف بفايفر الصباغون قائلا: "... ويبدوا منظرهم لطيف وهم يتنقلون فوق

---

(1)- أبو العيد دودو. الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان...، المرجع السابق، ص13.
(2)- وليام شالر. المصدر السابق، ص93.
(3)- سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص ص171، 172.
(4)- وليام شالر. المصدر السابق، ص115.

السطوح وقد طليت أجسادهم وثيابهم بمادة الجير..."، فوصفهم من قبل الأجانب يعكس انتشار هذه الحرفة في مختلف مدن الجزائر[1].

**الطيابون (طياب):**

يشتغلون في الحمامات، ينتمي غالبيتهم للمزابيين، الذين كانوا يقصدون المدن للعمل في الحمامات، حتى أن العديد منهم أصبحوا من مالكيها، وكانت خدمتهم تتمثل في تقديم المياه، ودّلك الأجساد وتقديم المشروبات إلى قاصدي هذه الحمامات.

**ماسحي الأحذية:**

يقومون بمسح الأحذية وغالبيتهم من البسكريين الذين استقروا في المدن لعرض خدمتهم على السكان المتمثلة في مسح الأحذية، كما كانوا يتقربون من الأجانب ويعرضون عليهم خدمتهم، خاصة بعد شيوع قصة العجوز التي ذكرها هانريش فون ماليسيان في كتابه ثلاث سنوات في شمال إفريقيا، إذ يقول: "... العجوز الأجنبية التي جاءت إلى مدينة الجزائر وبينما كانت تتحول في شوارعها، اقترب منها رجلا بسكريا فقيرا من أجل مسح حذائها، فأخذته وحررته واشترت له أحسن الثياب، وهذا ما جعل كلّ ماسحي الأحذية ينظرون إلى الأجانب على أساس انهم مخلصيهم من حياة الفقر..."[2].

**الكناسون (كناس):**

يقومون بكنس الشوارع وتنظيفها مقابل أن يدفع لهم أصحاب البيوت مبلغا ماليا في نهاية كلّ شهر، وكان يشرف عليهم قائد الزبل الذي تعينه الحكومة كمشرف على نظافة الشوارع[3].

**الدلالون:**

---

(1)- سيمون بفايفر. المصدر السابق، ص167.
(2)- هانريش فون مالتسيان. المصدر السابق، ص ص77-84.
(3)- سيمون بفايفر. المصدر السابق، ص171.

هم الباعة المتجولون الذين يقصدون الأسواق وينادون للتعريف ببضائعهم بصوت مرتفع، وكثيرا ما كانت تؤخذ هذه السلع من الحرفيين والتجار مقابل أخذهم لنسبة من المال من ثمن البضاعة(1).

لكن ما يجب ذكره هنا، هو أنه لا يمكننا حصر الحرف المنتشرة في أرياف وحواضر الجزائر خلال مرحلة الدايات في الحرف السابقة الذكر، وإنما هناك حرفا أخرى ذكرها العديد من المصادر المحلية والأجنبية، لذلك رجعت إلى مصدر محلي وهو مخطوط «قانون الأسواق» الذي فصل في ذكر الحرف والجماعات الحرفية الموجودة في الجزائر خلال هذه الفترة مقارنة بغيره من المصادر.

البرادعية (برادعي)
البشماقطجية (بشماقجي)
البلاغجية (بلاغجي)
الخياطون (خياط)
الدباغون (دباغ)
الدلالون (دلال)
الحرازون (حراز)
الحصارون (حصار)
الحلفاويون (حلفاوي)
الرصاصون (رصاص)
الرقاعون (رقاع)
السراجون (سراج)
السمارون (سمار)
الشبارلية (شبارلي)
الشماعون (شماع)

التبانون (تبان)
الحاكة (حوكي)
الحدادون (حداد)
الحمالون (حمال)
الحواتون (حوات)
الخراطون (خراط)
الخضارون (خضار)
الفخارون (فخارجي)
الفرانون (فران)
الفكاهون (فكاهي)
الفنداقجية (فنداقجي)
القبابطية (قبابطي)
القزادرية (قزادري)
القزازون (قزاز)
القنداقجيون (قنداقجي)

(1)- حنيفي هلايلي. النشاط الإقتصادي في مدينة الجزائر العثمانية، مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع 62، دار الهدى، قسنطينة، 2008، ص252.

الشواشية (شواشي) الكواشون (كواش)

الصاغة (صايغي) اللبانون (لبانجي)

الصباغون (صباغ) المقايسية (مقايسي)

الصفارون (صفار) المقفولجية (مقفولجي)

الطماجون (طماج) المكاحلية (مكاحلي)

الطيابون (طياب) الملاحون (ملاح)

العطارون (عطار) النجارون (نجار)[1]

الفحامون (فحام)

إلا أنه رغم هذا التنوع الحرفي الذي جسدته انتشار الحرف وتنوعها وانتظام أصحاب هذه الحرف في شكل جماعات حرفية، إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن الحرف المنتشرة في الجزائر لم تكن على درجة عالية من الرقي، لأنه لم تستعمل فيها وسائل آلية بل كانت تعتمد على الإستعمال اليدوي.

و كانت أن الورشات الحرفية والصناعية المنتشرة في المدن والأرياف كانت تنتج تقريبا كل ما يحتاج إليه سكان الجزائر و المتتبع لتطور حركة هذه الأنشطة الحرفية يجد أنها عرفت تراجعا ملحوظا في أواخر مرحلة الدايات، وهو ما تتفق عليه العديد من المصادر. ونحن نجد ما يؤكد ذلك في ماذكره لوسيت فالنسي، الذي يرجع التخلف الصناعي الذي عرفته الجزائر خلال هذه الفترة مقارنة ببقية الدول الأوربية إلى صغر المشاغل وضعف أدوات الشغل،هذا ماجعل السلع الأجنبية تغزو الأسواق الجزائرية وذلك بسبب جودة منتوجاتها، نتيجة لإستعمال معدات متطورة ويقارنها بأوربا في قوله "... إيكس منذ 1787م في أروليان منذ زمن أطول الإنتاج متمركز في منشآت أكبر حجما..."[2].

وهذا التراجع إنعكس سلبا على الحرفيين، ويتضح ذلك جليا في تراجع المستوى المعيشي للعديد من الحرفيين إذ أصبحوا العديد منهم يكتفي بمنزل يضم غرفة أو غرفتين لإيواء عائلة

(1)- عبد الله بن محمد الشويهد. المصدر السابق، ص28.
(2)- لوسيت فالنسي. المصدر السابق، ص67.

واحدة، وتنازلوا عن الأثاث الفاخرة، يصف هانريش الوضع الذي آل إليه الحرفيين قائلا: "... العديد من هؤلاء الصناع العرب لا يكتسبون إلا القليل من المال... وأحسن عامل بينهم لا يزيد دخله اليومي عن فرنكين، أما مدخول أغلبهم يصل إلى فرنك واحد أو دون ذلك..." إلا أن العديد من الحرفيين كانوا يحبون ممارسة نشاطهم ويقومون به بكل اتقان بالرغم من قلة مداخيله، إذ أن الجزائري يفضل أن يكون صانعا على الدوام بل يورث حرفته لأبنائه..."[1].

**ثالثا:البنية التنظيمية للحرفة والجماعة الحرفية**

إنتظم الحرفيين في الجزائر خاصة في المدن التي إشتهرت بتمركز في النشاط الحرفي كمدينة الجزائر، قسنطينة، تلمسان، وهران، معسكر في شكل جماعات خاصة بهم عرفت بـ "الجماعة الحرفية"، والتي عكست التنظيم الذي تميز به النشاط الحرفي في إيالة الجزائر [2].

الجماعة الحرفية هي عبارة عن تنظيم إقتصادي، إجتماعي تنظم من خلاله العلاقة بين مختلف الحرفيين المختصين في نفس الحرفة، وتحدّد العلاقة بينهم وبين السلطة، وعادة ما كانت هذه الجماعات الحرفية تأخذ طابعا عرقيا داخل المدن، إذ نجد أن بعض الحرف تقع تحت إحتكار الميزابيون أو الجيجليون أو البساكرة أو اليهود أو الأندلسيون[3]، من أهم الخصائص التي تميزت بها الجماعات الحرفية نذكر:

(1)- هاينريش فون مالتسيان. المصدر السابق، ص ص66-67.
(2)- أمين محرز. المرجع السابق، ص186.
قسمت الدكتورة عائشة غطاس هذه الجماعات حسب وظيفتها الى جماعات متخصصة في الانتاج، جماعات متخصصة في الخدمات،وجماعات متخصصة في التجارة والتسويق،أنظر عائشة غطاس، الحرف و الحرفيون...، المرجع السابق، ص197.
(3)- بن عتو بلبروات. المرجع السابق، ص181.

– التخصص في حرفة واحدة إذ نجد جماعة الخياطين، جماعة الصباغين، جماعة الحدادين، جماعة الحرارين، جماعة النساجين ...

– تقسيم العمل بين الجماعات الحرفية فكثيرا ما نجد الجماعة الواحدة تتفرع إلى عدة جماعات، كما هو الشأن بالنسبة للخياطين، إذ نجد خياطين متخصصين في صنع القفاطين وآخرين متخصصين في التطريز بمختلف أنواع الخيوط، وآخرين متخصصين في صنع القبعات والأحزمة والعمائم، أما الإسكافيين نجد المتخصصين في صنع الأحذية الموريسكية، آخرين في صنع الأحذية التركية. وآخرين مختصين في ترقيع الأحذية[1]، وصناعة الجلد التي تفرعت بدورها الى عدة جماعات وهم الدباغون، الرقاقون، الخرازون، والشبارلية والبرادعية والبابوجية، كما تفرعت صناعة الأسلحة النارية إلى عدة جماعات وهي القنداقجية المكاحلية، الجقماقجية، وصناعة الخشب التي تفرعت إلى النجارين، الخراطين، النشارين[2].

– وراثة الحرفة بين أفراد العائلة الواحدة فكثيرا ما تورث الحرفة من الأب إلى الإبن، هذا ما أكدته الدكتورة عائشة غطاس إستنادا إلى سجلات المحاكم الشرعية إذ وجدت أن الحرفة الواحدة تكاد أن تكون في كل العائلات الحرفية، ولم تكن تؤخذ عن الأب لوحده، إنما في الكثير من الأحيان تأخذ عن الأخ الأكبر، كما سعت كل عائلة إلى الحفاظ على أسرار الصنعة على امتداد جيلين على الأقل، هذا ما جعل العديد من أفراد العائلة الواحدة يصلون إلى أعلى سلم في هرم التنظيم الحرفي نتيجة لإكتسابهم المهارة والدراية وتقاليد الحرفية[3].

– حفاظ كل جماعة حرفية على الميزة الأساسية لكل حرفة، وعدم إدخال أي تغيير على التقاليد المورثة عن الحرفيين القدامى، هذا ما يمكن أن نستخلصه فيما ورد في مخطوط قانون الأسواق بخصوص تنظيم جماعة الدلالين "...الحمد لله قانون عملوه الولانيين الله يرحمهم الدلالين بسوق الكبير لا يتجروا واللي يظهر عليه التجار يبطل من السوق..."[4].

---

(1)- عبد القادر صحراوي. الاسواق في مدينة الجزائر العثمانية وانظمة التعامل التجاري من خلال مخطوط الأسواق، مجلة الحوار المتوسطي. ع1، مارس، 2009، منشورات دار الاصول للطباعة والنشر، ص175.
(2)- أمين محرز. المرجع السابق، ص188.
(3)- عائشة غطاس. الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص113-114.
(4)- عبد الله بن محمد الشويهد...، المصدر السابق، ص69.

– الميول الديني للعديد من الجماعات الحرفية، وجدنا أن ما يعكس ذلك هو الممارسات التي يقوم بها الحرفيين إذ كانوا يتوقفون عن العمل في ورشاتهم أثناء أوقات الصلاة، وكثيرا ما كانوا يتوجهون إلى المساجد القريبة، كما كانوا يقومون بترديد العديد من الأدعية قبل بداية مزاولتهم لنشاطهم[1]، وكثيرا ما كانوا يتوجهون إلى المسجد لحل النزاعات التي تحصل ما بين الحرفين وهو ما وضحه مخطوط قانون الأسواق في حديثه عن الإجتماعات التي كانت تُعقد ما بين أفراد الجماعة الحرفية "... الحمد لله زمام الحدادين انجمعنا في جامع السيدة وامشينا مع الحداد..."[2].

كما كانت العديد من الجماعات الحرفية تحتمي بولي صالح فحضر مدينة الجزائر كانوا يحتمون بسيدي عبد الرحمن الثعالبي[3] وجماعة بني ميزاب بسيدي بنور، وجماعة الوصفان[4] بسيدي بلال وجماعة القبائل بسيدي عبد الرحمان بوقبرين[5].

لقد ارتبطت البنية التنظيمية للحرف بالجماعة الحرفية التي شكلت إطارا تنظيميا محكوما لمختلف الحرف التي انتشرت في مدن الإيالة خلال هذه المرحلة والتي تميزت بشكلها الهرمي من أعلى منصب وهو امين الأمناء إلى أدنى منصب وهو ما سوف نحاول أن نفصّل فيه:

### 1- أمين الأمناء:

يمثل أعلى منصب في الجماعات الحرفية، إلا أنه وجدنا أن العديد من المصادر التاريخية المحلية والأجنبية غضت الطرق عن ذكر التفاصيل المتعلقة بهذا المنصب، خاصة الكتابات المتعلقة بمرحلة الدايات، العديد منها إكتفى فقط بذكر تسمية هذا المنصب مثلما نجده في

---

(1)- عائشة غطاس. الحرف والحرفيون...،المرجع السابق، ص123.
(2)- عبد الله بن محمد الشويهد . المصدر السابق، ص127.
(3)- هو أبو بومدين شعيب بن الحسين الأنصاري الملقب بالغوثي،ولد باشبيلية سنة 1126م، ثم انتقل الى مكة،حيث التقى بالوالي الصالح سيدي عبد القادر الجيلالي ليعود بعد ذلك الى مدينة بجاية ثم انتقل الى تلمسان وبقي فيها الى أن توفي سنة 1198م، للمزيد ينظر عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص13.
(4)- جماعة الوصفان هم العبيد الذين صنفوا جماعة الدخلاء، وعرف عددهم تكاثر خاصة في مرحلة الدايات، وحصل جلهم على الحرية، امتهن العديد منهم حرفا متواضعة كالعمل في المنازل وبيع الخبز في الشوارع وفي الحمامات والمقاهي وصنع الشلال والحصر قدر بوتان عددهم سنة 1808م ب 3500 فردا إلا أن عددهم عرف تناقصا مع الاحتلال الفرنسي للجزائر والذي أصبح حوالي 3900 فردا سنة 1838م، للمزيد ينظر عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص67.
(5)- عائشة غطاس. الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص123.

مخطوط قانون الأسواق الذي ذكره فيما تناوله فيما يخص حقوق الدلالين ورسوم السوق "... يخرج البياشي وكاهية بايليك وأمين الأمناء ومحتسب..."[1].

ومما ورد يمكن أن نستخلص أهمية هذا المنصب من خلال ذكره بعد كاهية البايليك، مما يبين لنا أنه يحظى بمكانة مميزة لدى السلطة، خاصة أنه كانت تربطه علاقة مباشرة بالداي فهو الوسيط بينه وبين أمناء الجماعات الحرفية فيما يتعلق بالنشاط الحرفي داخل المدن.

كان يتم إختيار أمين الأمناء من قبل الديوان، يكون في الغالب من أقدم أمناء الحرف وأكثرهم وأحسنهم معاملة ،هذا ما جعل هذا المنصب الأكثر منافسة بين أعيان المدينة فكثيرا ما كانت تنفرد به عائلات لعدة سنوات[2]، ومن أهم المهام التي يقوم بها نذكر :

ـ الإشراف على الجماعات الحرفية: إذ يعتبر الوسيط بينهم وبين السلطة باعتباره المشرف عن سجلات الحكومة المتعلقة بالنشاط الحرفي في المدن، والمسؤول الأول عن النظام الضريبي الذي تخضع له الجماعات الحرفية من قبل السلطة.

ـ الفصل في النزاعات التي تحصل بين الجماعات الحرفية: كتلك المتعلقة بسعر المنتوجات الحرفية وجودتها والموظفين المعينين من قبل السلطة المشرفين على مراقبة الأسواق التي تعرض فيها المنتوجات المتنوعة للحرفيين كالمحتسب ،هذا ما أكده مخطوط قانون الأسواق فيما يخص النزاع الذي حصل بين الصفارون[3] والقزادرية[4]، نجد أن أمين الأمناء حضر في هذا الصلح "...في أواخر شهر صفر سنة 1753 وقع خلاف بين الصفارين والقزادرية... كان المحل الموجود بباب الجزيرة من نصيب القزادرية... وحضر الصلح المذكور أمين الامناء... "فهذا الاتفاق يعكس لنا الدور الأساسي لأمين الأمناء في الفصل بين النزاعات بين الحرفيين خاصة فيما يتعلق بالحرف المختلفة[5].

---

(1)- عبد الله بن محمد الشويهد. المصدر السابق، ص127.

(2)- بن عتو بلبراوات، المرجع السابق، ص179.

(3)- الصفارون يعرفون ايضا بالنحاسون وهم الحرفيون المختصين في صنع الاواني ومختلف الادوات المصنوعة من النحاس، ينظر عبد الله بن محمدالشويه...د، المصدر السابق، ص84.

(4)- هم الحرفين المختصين في صنع مختلف أنواع الاواني من مادة القصدير، ينظر عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص84.

(5)- عبد الله بن محمد الشويهد...، المصدر السابق، ص84.

ـ مراقبة الأسواق وكل ما يتصل بها من أسعار المنتوجات الحرفية من حيث الجودة والأوزان والمكاييل.

وما يلاحظ أنه بالرغم من أهمية هذا المنصب في إدارة وتنظيم النشاط الحرفي إلا أن دوره عرف تراجعًا في أواخر مرحلة الدايات، وهذا مايستخلص من خلال سكوت العديد من الإخبارين الذي عاشوا خلال هذه المرحلة "كحمدان خوجة" الذي كان مطلعا على الأوضاع والذي ذكر في حديثه عن تنظيم الجماعات الحرفية أن لكل حرفة أمين أو مفتش ويسمى رئيس كل هؤلاء الأمناء شيخ البلد أو والي المدينة مما يبين أن هذا المنصب إندثر وعُوض بشيخ البلد[1]، كما أن المؤلفات الفرنسية خلال السنوات الأولى للإحتلال التي تناولت الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية التي لم تذكر هذا المنصب[2].

**2 ـ الأمين:**

يأتي هذا المنصب في المركز الثاني في هرم الجماعة الحرفية[3]، بعد أمين الأمناء، وجود هذا المنصب كان سابقا للوجود العثماني في الجزائر، إّذ نجده في العديد من المدن الكبرى كمدينة الجزائر، وهو ما تؤكده الرسالة التي وجهها أعيان مدينة الجزائر الى السلطان العثماني سليم الأول سنة 1519م "...رسالة القاضي والخطيب والأئمة والفقهاء والتجار والأمناء..."[4].

يمثل الأمين السلطة العليا للحرفة ورمز وجودها ونحن نجد في العديد من المصادر التاريخية المحلية والأجنبية ذِكر الأمناء الجماعات الحرفية كأمين جماعة البنائين، أمين الدلالين، أمين جماعة الكواشين، أمين جماعة الحرارون، أمين جماعة الحدادين، أمين جماعة السمارين.... كما نجد كذلك أن أمناء الحرف في الكثير من الأحيان لم يأخذوا تسمية

---

(1)- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، المصدر السابق، ص125.
(2)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص141.
(3)- استعملت العديد من المدن العربية كالقاهرة ودمشق تسمية الشيخ أو رئيس الحرفة أو كبير الحرفة، إلا أنه في الجزائر خلال هذه المرحلة أستعملت تسمية أمين الحرفة وهو ما نجده في العديد من الوثائق التاريخية، ينظر عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص142.
(4)- عبد الجليل التميمي، أول رسالة من اهالي مدينة الجزائر الى سليم الاول سنة 1519م، المجلة التاريخية المغربية، العدد6، 1976، ص120.

الحرفة التي يشرفون عليها وإنما يأخذون تسمية الجماعة التي يشرفون حسب المناطق الأصلية التي أتوا منها، وهم المعروفون في المدن بالفئة البرانية أو جماعة الدخلاء لأن كل جماعة كانت متخصصة في حرفة ما، لذلك نجد أمين الميزابيين، أمين الجيجلين، أمين جماعة الأغواطيون، أمين جماعة القبائل...

كما استعملت العديد من المصادر تسمية "باش" بدل "أمين " وهو ما نجده في العديد من الكتابات التاريخية، فبعض الجماعات الحرفية اختارت تسمية "باش" أي رئيس وهو ما أكدته الباحثة " عائشة غطاس" إستنادا إلى عقود المحاكم الشرعية التي ذكرت تسمية "باش" للعديد من أمناء الحرف بدل "أمين" كحرفة الحمارين "المكرم السعدي باش حمّار ابن أحمد "...وأيضا حرفة الدلالة... علي قوقجي كان باش دلال الآن..." وحرفة الطرز "باش ترزي".

كان يتم إختيار أمناء الحرف من مجموع معلمي الحرفة الواحدة في كل مدينة ولا يتم

تنصيبه إلا بعد موافقة من قبل السلطة الممثلة في الباشا أو الداي وبإقرار من القاضي ،مما يعكس لنا المكانة المهمة لأمناء الحرف في مجتمع مدن الجزائر خلال هذه المرحلة[1] لذلك كان لا بد من توفر مجموعة من الشروط في من يريد أن يترشح إلى هذا المنصب والتي يمكن أن نحددها كما يلي:

- أن يكون من بين المعلمين المهرة في الحرفة التي يريد أن يشرف عليها، أي معروفا بتمكنه من الصنعة وحفاظه على مورثها وأصولها.

- سلوكه الحسن والمعتدل بين أفراد جماعته الحرفية، إذ لابد أن يتميز بحسن اخلاقه بين الحرفيين.

- كان في الغالب من كبار السن لكن هذه القاعدة لم تكن ثابتة، فكثيرا ما وصل العديد من الشباب إلى أمانة الحرفة[2].

(1)- بن عتو بلبروات، المرجع السابق، ص179.
(2)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون ...، المرجع السابق، ص143.

ـ إقراره من قبل السلطة، إذ لا يمكن للأمناء الحرف مباشرة مهامهم دون موافقة من الداي في مدينة الجزائر والباي في المدن الأخرى كقسنطينة، تلمسان، وهران.

من أهم المهام التي يقوم بها أمناء الحرف نذكر:

ـ التنسيق بين أفراد الجماعة الحرفية التي يشرف عليها وبين السلطة، خاصة فيما يتعلق بجمع الضرائب، في حين نجد أن لوسيت فالنسي حصر دور أمناء الحرف في جباية الضرائب وبين أن الهدف الأساسي من هذا المنصب هو بسط السلطة لسيطرتها على الحرفيين من خلال ضمان موارد مالية لها والمتمثل في إستخلاص الضرائب[1] كما تخبرنا إحدى وثائق بيت المال أن أمناء الجماعات الحرفية كان لهم حق التصرف في تركة أفراد جماعتهم بعد وفاتهم، إذ كانوا يقدمونها إلى دار الإمارة في حال عدم وجود الورثة، بعدما يقوم يخصم شؤون تجهيزه ودفنه"...الحمد لله توفي محمد طوبال... وجيء بتركته لدار الإمارة، وكذلك توفي بلوكابشي ببلد مستغانم وجيء بتركته لدار الإمارة ...[2]"

المشاركة في تسيير شؤون المدينة، إذ يكلَّف من قبل السلطة إلى جانب مجموعة من الموظفين كالشرطة والمحتسب في مراقبة الأسواق من خلال مراقبة جودة السلع ونوعيتها ومراقبة الأوزان، أسعار كراء المحلات والإنتباه إلى سلوك الحرفيين من الجماعة التي يشرف عليها مع زبائنهم في الحوانيت والأسواق، وهو ما ذكره حمدان خوجة الذي بين أن أمناء الحرف إلى جانب مجموعة من الموظفين المعينين من قبل السلطة وهم شيخ البلد أو والي المدينة، نقيب الأشراف والذي يكون في الغالب من بين الأسر الشريفة في المدن والشرطة وأمناء الحرف، فهؤلاء هم الذين ينظمون شؤون المدينة ويحافظون على الأمن بين مختلف طبقات المجتمع ويراقبون النظافة، وقنوات المياه، كما يسعون إلى البحث عن التدابير اللازمة لتحقيق الأمن والنظام داخل المدن[3].

مراقبة المنتوجات الحرفية ومدى مطابقتها للمقاييس المتفق عليها، وأسعارها إذ ذكر لوسيت فالنسي أن أمين الحرفة يراقب صفة المنتوج خاصة وأن كل جماعة حرفية كانت لها

(1)- لوسيت فالنسي، المصدر السابق، ص103.

(2) الأرشيف الوطني الجزائري ،بيت المال ،العلبة 4، السجل 9،السنة 1227هـ ،1812م

(3)- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، المصدر السابق، ص125-126.

شروط متعارف عليها ومتوارثة لا بد أن تتوفر في منتوجاتهم الحرفية[1]، ونجد في مخطوط قانون الأسواق ما يؤكد ذلك في ماورد فيما يتعلق بمواصفات صناعة الشواشي والغرامات المتوجبة على أصحاب المحلات "الحمد لله حضر جماعة الشواشي.... شيخ البلد والسي احمد بن الفاسيا وأمين الشواشين وكتب عقدا في دار القاضي اتفقوا فيما يتعلق بالمادة المستعملة في هذه الحرف وهي الصوف ...أن لا أحد يستعمل في هذه الصناعة الصوف المحلي للبلد.. ومن إستعملها يتعرض للعقاب ويمنع من ممارسة صنعتها..."[2].

الدفاع عن حقوق أفراد جماعته الحرفية خاصة فيما يتعلق بالنزاعات التي تحدث مع جماعات حرفية أخرى، أو بين معلمي الحرف والمتعلمين[3] وهو ما يظهر في الشكوى التي قدمها صانعوا الفطائر سنة 1702م إلى الداي بابا مصطفى وبوساطة من أمين جماعتهم إلى خفض سعر الدقيق والقمح الذي كان محددا بريالين ونصف لا يعود عليهم بالفائدة، هذا ما جعل الداي يقوم بتخفيض سعره وكذلك الشكوى التي وجهوها فيما يتعلق بإستخلاص الضرائب في الأسواق، وبضرورة تولي شخص واحد جمع الضرائب عنهم حتى لا يقع خلل أو تلاعب وبالفعل وافق الداي على ذلك[4].

محاربة المنافسة الغير شرعية التي تحدث بين أهل الحرفة الواحدة التي يشرف عليها، وذلك تفاديا لحدوث نزاعات بين الحرفيين، أو لتحقيق بعض الحرفيين أرباحا على حساب آخرين وهو ما يظهر فيما وضعه الداي "بابا حسن" أثناء فترة حكمه[5] ،حين أمر "عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويهد" بأن يخبر أمناء الجماعات الحرفية بتطبيق ما أمر به فيما

---

(1)- لوسيت فالنسي، المصدر السابق، ص66.
(2)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص ص102-103.
(3)- لوسيت فالنسي، المصدر السابق، ص66.
( 4)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص131.
(5)- الداي باب حسن عرف ب "حسن خوجة "أو" حسن الشاوش" ولقب أيضا ب"قارة باغلي"، تولي منصب الداي لفترتين الأولى (1682-1683م) والثانية (1697م1700) واجه اثناء فترة حكمه هجمات الاسطول الفرنسي على الجزائر بقيادة "دوكان" واضطر أن يوقع مع الفرنين معاهدة مجحفة للحد من الاضرار التي لحقت بالسكان والمباني من جراء الصصف، فاطرق سراح ما بين 150 و500 أسير مسيحي والتزم بتقديم تعويض مالي قدره ب 300 ريال وحجز بعض الديوان رهائن في السفن الفرنسية منهم الرايس "ميزو مورتو" لتأكيد التزامه بالصلح مما أثار نقمة السكان ودفع الجند الى التمرد ضده فاعتقل وسجن قبل ان يعود الى الحكم مرة ثانية ليعزلبعد ذلك ويبعد عن الحكم.أنظر عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص62.

يتعلق بوضع تسعيرة للأدوات الفخارية ولابد على الحرفيين من إحترامها واذا لم يتقيدوا بذلك يتعرضوا الى عقوبات(1).

كان لأمناء الحرف مساعدين عرفوا ب "الشواش" وهو ما ذكرته العديد من المصادر، يكونون في الغالب من أعضاء الجماعة الحرفية ومن المعلمين أُسندت لهم مهام الأمين في حال غيابه، ويختار الشواش من قبل أمناء الحرف(2)، نجد إشارة لهذا المنصب في مخطوط قانون الأسواق واردًا أثناء ذكر جماعة الفخارين، إذ تم ذكره في الإتفاق الذي تمّ بين الداي والجماعة الحرفية.

كما نجد أيضا " الخوجة" الذي يعتبر بمثابة الكاتب فهو الذي يقوم بتسجيل كل القضايا التي تتعلق بالجماعة الحرفية(3) ،ورد ذكر هذا المنصب في إحدى وثائق بيت المال إلأى جانب الأمين في مايتعلق برواتب بعض الموظفين "...الجمعة الأولى عوائد الخوجة ومن معه أمين البنائين...[4]"

إضافة منصب الكاهية الذي يعد مساعدا لأمناء الحرف، لعب دورا كبيرا في إدارة الجماعات الحرفية وذلك من خلال الأدوار التي قام بها كتفتيش الأسواق، مراقبة الموازين وجودة المنتوجات، كما منحت له السلطة حق معاقبة المخلين بالقواعد من خلال فرض غرامات مالية أو غلق الدكان أو إيقاف النشاط المزاول فيه(5)، ورد ذكر هذا المنصب فيما يتعلق بتحديد سعر الزيت بعد الشكوى التي قدمها صانعوا الصابون للداي "بابا حسين" والذي أمر الكاهية "الحاج أحمد" ببيعه بالسعر الذي حدده الداي(6).

لذلك يمكن القول أن أمناء الحرف لعبوا دورا مهما في إدارة الجماعة الحرفية وتحقيق النظام داخلها،خاصة في ظل الصلاحيات التي منحتها لهم السلطة سواء المتعلقة بالفصل في النزاعات أو مراقبة الأسواق، هذا ما جعل لهم مكانة مهمة في مجتمع المدن، خاصة وأن

(1)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص90.
(2)- عائشة غطاس ،الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص156.
(3)-المرجع السابق، ص ص156-157.
(4) الأرشيف الوطني الجزائري ،بيت المال ،العلبة12، السجل68 ،السنة1100هـ ،1689م
(5)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص ص157-158.
(6)- عبد الله محمد الشويهد، المصدر السابق، ص68.

العديد منهم إستطاع كسب ثروة كبيرة، وهو ما يستخلص من حديث سيمون لفايفر فيما يتعلق بما كتبه حول أمين جماعة بني ميزاب الذي إستطاع كسب ثروة كبيرة في مدينة الجزائر، جعلته يستثمرها في الميدان التجاري وفي إمتلاك العديد من الحمامات في هذه المدينة[1].

**3- المعلم:**

تطلق هذه التسمية على مكتسب ومتقن الحرفة وهو الذي يمتلك الحانوت أو الدكان الذي تمارس فيه الحرفة، ويُعرف بمهارته وإتقانه للحرفة التي يمارسها وجودة منتوجاته الحرفية ويكون في الغالب تاجرا، يتخذ من دكانه مكانا لصنع وعرض سلعه للزبائن، وعادة ما كان يكتسب مهارته الحرفية من معلم آخر إشتغل عنده وتعلم حرفته[2].

غالبا ما يكون في حانوته مساعدا أو مجموعة من المساعدين وهم الذين يريدون تعلم حرفته وإكتساب مهارة فيها، وهو ما أشار إليه لوسيت فالنسي في قوله: "...نجد المعلم الذي يحيط به العديد من الصناع المتخصصين في كل حرفة..."[3]، ويعتبر المعلم الركيزة الأساسية على مستوى الورشة أو الحانوت فبالاضافة إلى دوره الإنتاجي والتجاري كان له تكوينيا وهو ما نستخلصه في ما ورد ذكره في مخطوط قانون الاسواق ..."وعلى المعلم أن يجزي للمتعلم في حانوته..."[4].

ذكرت الباحثة عائشة غطاس إستنادا إلى وثائق المحكمة الشرعية إلى وجود عائلات حرفية إمتهنت حرفة واحدة فكان الأب هوالمعلم والإبن المتعلم[5] ،كثيرا ماكان الإبن يرث الحرفة من من أبيه وهو ما تناوله مخطوط قانون الأسواق الذي يبين أنه كان يحق للإبن أن يصبح معلم بعد أباه "...و يحق لولد المعلم أن يخلف أباه بفعل القانون الذي جرت به العادة بين الجماعة"[6].

**4- الصانع:**

(1)- سيمون بفابفر، المصدر السابق، ص163.
(2)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص136.
(3)- لوسيت فالنسي، المصدر السابق، ص66.
(4)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص136.
(5)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص153.
(6)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص136.

يأتي الصانع بعد المعلم، وهو من يحسن الصنعة لكنه لا يكتسب المهارة التي وصل إليها المعلم، وعرفوا بكثرة عددهم خاصة في المدن، كانوا يقومون بممارسة نشاطهم داخل دكاكين يمتلكونها، أو يقومون بإكترائها داخل الأسواق مقابل دفعهم لمبلغ مالي للحصول على حق ممارسة الحرفة[1].

عُرف الصانع الجزائري بمهارته الحرفية في مختلف الحرف التي إمتهنوها وهو ماجعل العديد من الرحالة الأوروبيين الذين قصدوا مدن الجزائر خلال هذه المرحلة يشيدون بذلك، ومنهم الرحالة الألماني" فيلهلم شيمبر" الذي زار مدينة الجزائر ولاحظ تفاني الحرفيين في عملهم وأعطى مثالا حول الإسكافيين، إذ أكد أنهم أتقنوا عملهم مما جعل الإسكافي الجزائري حسبه يتفوق على الأوروبي، بل وحتى ذكر بأنه يمكن للإسكافي الأوروبي أن يأتي الى الجزائر ليتعلم كيفية صنع الأحذية[2].

كما ذكر الرحالة الألماني " موريس فاغنر" أن المنتوجات الحرفية التي كانت تباع في مختلف الأسواق الجزائري، تميزت بجودتها وجمالها رغم أن العديد منها كانت مصنوعة يدويا قدم مثالا حول العديد من المنتوجات كالنعال ومحافظ النقود مما جعلها تلقى رواجا في الأسواق الأوربية[3].

**5- المتعلم:**

يأتي المتعلم في أسفل هرم تنظيم الحرفة والجماعة الحرفية، وهو المبتدئ في تعلم الحرفة، إذ يقصده اصحاب الحرف أي المعلمين من أجل تعلم حرفة ما، كثيرا ماكان المتعلمين يتعلمون الحرف من أفراد عائلتهم كالأب أو الأخ وهذا ما أكده مبدأ توارث الحرفة في الجزائر خلال هذه المرحلة[4].

كان المتعلم في الغالب مساعدا للمعلم في دكانه، يصف لوسيت فالنسي المتعلمين وهم ملازمون المعلم لإكتساب حرفة ما قائلا: "نجد المعلم الذي يحيط به العديد من الصناع

(1)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص154.
(2)- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الالمان...، المرجع السابق، ص18.
(3)-المرجع السابق، ص35.
(4)- هاينريش فون مالتيسيان،ج1 ، المصدر السابق، ص119.

المختصين في كل حرفة..."[1]، وعُرف عن المتعلمين ملازمتهم لمعلميهم وعدم مغادرتهم للدكان أو الورشة التي يقصدونها لتعلم الحرفة إلا بعد أن يجزي المعلم المتعلم[2]، كما كان يتلقى أجرا بسيطا من معلمه، وكثيرا ما يبقى في ورشة لعدة سنوات كمساعد له بعد أن يعقد إتفاقا معه[3].

مما ورد نستنتج أن الجماعات الحرفية في الجزائر خلال مرحلة الدايات شكلت تنظيما إقتصاديا وإجتماعيا في مختلف مدن الجزائر، حيث ضمنت تنظيم العلاقة بين أصحاب الحرفة الواحدة، كما نظمت العلاقة بين الجماعة الحرفية والسلطة، سواءا فيما تعلق بالنظام الضريبي و الدفاع عن الجماعة الحرفية من التعدي، ضمان المستوى المقبول للحرفة، إضافة إلى حماية حقوق الحرفيين كتقسيم العمل بين الجماعات الحرفية خاصة فيما يتعلق بالحرف المتفرعة إلى حرف أخرى أو الحرف المكملة لبعضها البعض.

كما تميزت الجماعات الحرفية بشكلها الهرمي المحكم التنظيم الذي يتصدره أمين الأمناء إلى غاية المتعلم، على عكس ما ذكرته العديد من المصادر الأجنبية والتي بينت إفتقار النشاط في الجزائر خلال مرحلة الدايات إلى تنظيم محكم مثلما كان ساريا في العديد من دول المشرق ودول أوروبا.

(1)- لوسيت فالنسي، المصدر السابق، ص66.
(2)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص136.
(3)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص156.

**رابعا: المواد الأولية المستخدمة في النشاط الحرفي**

تحتاج الأنشطة الحرفية إلى المواد الأولية التي تعد أساسا لقيامها، وقد عرفت هذه المواد وفرة في مختلف أنحاء الإيالة، وهو ما تؤكده مختلف المصادر الاجنبية والمحلية التي إطلعنا عليها، لذلك سوف نحاول أن نتعرف على مختلف هخذه المواد انطلاقا من مصدرها الحيواني، النباتي والمعدني:

1. **المواد الأولية ذات المصدر الحيواني:**

كان المجتمع الجزائري ريفيا بالدرجة الأولى، هذا ما أدى إلى الإهتمام بالنشاط الرعوي، ذلك من خلال تربية مختلف أنواع الحيوانات، فكانت الأغنام، الماعز، الأبقار والخيول بمختلف أنواعها من اختصاص المناطق الشمالية، أما الإبل والمعز كانت من إختصاص الهضاب العليا والصحراء، لذلك عرفت المواد الأولية ذات المصدر الحيواني وفرة كالصوف ومختلف أنواع الجلود التي تدخل في حرفة النسيج، والدباغة وغيرها من الحرف التي تحتاج إلى هذه المواد.

ولعب سكان الريف دورا كبيرا في تزويد المدن التلّية بمختلف هذه المواد، وهو مايؤكده لوسيت فالنسي في قوله: "..إذ ينتقلون إلى الشمال...محملين بمنتوجات رعيهم كالأغنام والصوف وشعر المعز ووبر الإبل..."[1].

كما أكد حمدان خوجة على إهتمام سكان السهول بتربية الخيول بمختلف أنواعها فوصف هؤلاء السكان على أنهم يحبون الخيل حبا جنونيا، ولا يفكرون إلا في مضاعفة أعدادها، وهم يفرقون بين أنواعها ويحفظونها بعناية، كما يستعملون السلالات الوضعية للحصول على البغال، وكانت لديهم سلالات تختص للحرث، لكن أحسن الأنواع لديهم هي الجياد التي تستعمل للسباق والحرب ولا تباع إلا نادرًا[2].

كماعُرف عن سكان وادي ميزاب إهتمامهم بتربية النعام مما أدى إلى وفرة ريش النعام الذي كان يتم نقله الى المدن، و نجد إشارة واردة في قانون الأسواق تؤكد ذلك "...إتفق بنوا ميزاب مع المحتسب أن يكون رسم الريش..."[3].

أما سكان الصحراء كانوا يهتمون بتربية الجمال التي تتأقلم مع الظروف المناخية للمنطقة فكانوا يستغلون جلودها لصنع ملابسهم وخيامهم ،كما يستعملونها لنقل سلعهم عبر مختلف مناطق الصحراء، وأشار فندلين شلوصر إلى إهتمامهم بتربيتها في قوله: "...عرب الصحراء هم سكان المنطقة الحارة التي تمتد من سلسلة الأطلس التلي إلى المناطق الجنوبية وهي منطقة قاحلة، تحتوي على عدد قليل من الآبار يسكنون الخيام وثروتهم تتمثل في الجمال..."[4].

كما أن الإشارات الواردة في مخطوط قانون الأسواق تؤكد على إهتمام سكان الجزائر بتربية دودة الحرير في العديد من المناطق، هذا ما أدى إلى وفرة مادة الحرير"... أما الحرير فيوزع على الحرارين والصباغين والقزازين[5] كل حسب احتياجاته..."[1].

---

(1)- لوسيت فالنسي، المصدر السابق، ص56.
(2)- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، المصدر السابق، ص72.
(3)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص50.
(4)- فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص101.
(5)- القزازون:مربيو دودة القز لاستخراج مادة الحرير منها، ينظر: قانون أسواق مدينة الجزائر 1695-1705 لعبد الله بن محمد الشويهد، تحقيق وتقديم وتعليق: ناصر الدين سعيدوني، ص85.

وتتفق معظم الكتابات التاريخية على أن المواد الأولية ذات المصدر الحيواني عرفت وفرة كبيرة مقارنة ببقية المواد الأولية الأخرى ،هذا ما جعل الإيالة الجزائرية تحقق خلال مرحلة الدايات اكتفاءًا ذاتيًا فيها، مما جعل السلطة تقوم بتصديرها إلى العديد من الدول الأوروبية والعربية كمادة الصوف والجلود[2].

**2- المواد الأولية ذات المصدر النباتي:**

تعد الزراعة المورد الرئيسي الذي يؤمن معيشة غالبية سكان الجزائر خلال مرحلة الدايات، والذي ساعد على ذلك تنوع التضاريس والمناخ وخصوبة التربة ،إذ كانت كل منطقة مخصصة في إنتاج معين.

كانت تنتج السهول الشمالية كسهل المتيجة، قسنطينة، عنابة، وهران ومعسكر أجود أنواع الحبوب كالقمح، الشعير، الحمص، التي تدخل في العديد من الصناعات الغذائية في تلك الفترة، كصنع الخبز بمختلف أنواعه، والكسكس الذي يعد الغذاء الأساسي لسكان الجزائر، وأكدت العديد من المصادر خاصة الأجنبية على جودة القمح الجزائري ورواجه في الأسواق الأوروبية بإعتبار أن الجزائر كانت تحقق نوعا من الإكتفاء في العديد من المحاصيل الزراعية، مما جعلها تصدر عبر طرقها البحرية خاصة نحو أوروبا، هذا ما أكده القنصل الأمريكي شالر في قوله"... وهذا القمح المشهور في الأسواق الإيطالية يفضله التجار على جميع أنواع القمح..."[3].

رغم هذا الإنتاج الزراعي المتنوع، إلا انه وجدنا أن العديد من الكتابات التاريخية أكدت أن الجزائر لم تستغل كل إمكانياتها الزراعية، فالعديد من الأراضي الصالحة للزراعة لم تكن مستغلة فعلا، يُرجع فندلين شلوصر ذلك إلى سببين رئيسيين : الأول يتمثل في النظام الضربي المفروض على سكان الأرياف هذا نستخلصه في قوله: "... يعيشون على النشاط الزراعي والرعوي (يقصد سكان الريف)... التي يجنون منها محاصيلهم من القمح أو الشعير يخزنون جزء منه في المطامير، جزء آخر يبيعونه في أسواق المدن مقابل مبلغ من المال

(1)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص85.
(2) لوسيت فالنسي، المصدر السابق، ص66.
(3)- وليام شالر، المصدر السابق، ص30.

لدفعه كضريبة للحكومة..."[1]، أما السبب الثاني يتمثل في رأيه في سيطرة الطبقة الراقية على الأراضي الخصبة في الجزائر[2].

في حين نجد أن هانريش فون مالتيسيان يستبعد هذين السببين، يرجع ذلك إلى تكاسل الفلاح وعدم حاجته إلى الأموال نتيجة لطبيعة حياته البسيطة، كما يذكر أن الأرض التي كان يقوم الفلاح الجزائري بزراعتها لايبذل مجهودا كبيرا فيها إذ يكتفي بزراعتها وإزالة الأعشاب الضارة عليها، وهو ما جعله يجني محصولا قليلا موجها لسد حاجاته البسيطة[3].

كما نجد زراعة القطن التي كانت تزرع في المناطق القريبة من مدينة الجزائر، هو ما أكده القنصل الفرنسي في الجزائر السيد تانفيل (D.Thainville)، الذي يقول أن مهما كانت المرتفعات التي كانت تتخلل أراضي الجزائر فإنها منتجة ومن شأنها أن تكون صالحة لزراعة المحاصيل المحلية والأجنبية، كما ذكر أنه جرب شخصيا زراعة القطن بضواحي مدينة الجزائر ونجح في ذلك[4].

كما ذكر حمدان خوجة على أن الأراضي التي يمتلكها في سهل متيجة قام فيها بزراعة القطن وأكد على أن كل ضواحي الجزائر يمكن أن تُنتج فيها هذه المادة وأن زراعة القطن هي زراعة مُنتِجة لا يعرفها العرب[5].

كما عرفت الجزائر وفرة في الثروة الخشبية التي تزود النجارين وصانعي السفن بمادة الخشب، لكن وجدنا شالر ذكر أنه بالرغم من إنتشار الغابات بالمناطق الجبلية ووفرة الثروة الخشبية إلا أنها لم تكن من النوع الجيد وقلما تستعمل لبناء السفن[6]، فوفرة مختلف أنواع الأشجار المثمرة في مختلف المناطق السهلية والجبلية كأشجار الزيتون، البرتقال، والكروم،

---

(1)- فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص90.
(2)-المصدر السابق، ص ص10-11.
(3)- هاينريش فون مالتسيان، المصدر السابق، ص ص72-73.
(4)- أرزقي شويتام ،المجتمع الجزائري وفعاليته ...، المرجع السابق، ص311.
(5)- حمدان بن عثمان خوجة،المرآة،المصدر السابق، ص88.
(6)- للمزيد ينظر: وليام شالر، ص30.

التي تميزت بجودة إنتاجها جعل الجزائر تصدرالأخشاب إلى العديد من الدول الأخرى، وأشاد وليام سبنسر على أن منطقة بجاية تعد مصدرا أساسيًا لإنتاج الثروة الخشبية(1).

إلا أنه بالرغم من وفرة الإنتاج الزراعي وتنوعه غير أن هذا الأخير عرف تراجعا في الكمية والنوعية في أواخر مرحلة الدايات، وأرجعت العديد من الكتابات التاريخية ذلك إلى إنتشار الأمراض المعدية ووجود مياه المستنقعات التي أضرّت كثيرا بالأراضي الصالحة للزراعة كسهل المتيجة(2)، كما وأُشتهرت المناطق الجبلية بوجود أشجار متنوعة ساهمت أيضا في وفرة الأخشاب التي تستعمل لصناعة السفن(3) خاصة جبال منطقة القبائل(4).

بالإضافة إلى الثروة الخشبية وجدت أيضا مادة الحلفاء والديس التي تستعمل لصناعة الحصير الذي عرف رواجا داخل الأرياف أكثر من المدن نتيجة لكثرة استعمالها، كما انتشرت زراعة النخيل في الصحراء نتيجة لطبيعة المناخ الملائم لهذا النوع من الزراعة والمتمثل في إرتفاع درجة الحرارة، ذكر شلوصر أن ثروة سكان الصحراء تتمثل في الجمال والأغنام وغابات النخيل(5).

**3- المواد الأولية ذات المصدر المعدني:**

إن حاجة السكان إلى مختلف أنواع المعادن في حياتهم اليومية جعلتهم يبحثون عنها وذلك من خلال إستخراجها وتحويلها إلى أدوات مختلفة، عن طريق إمتهانهم للعديد من الحرف كحرفة الحدادة، الصياغة وغيرها من الحرف الأخرى التي تدخل فيها هذا النوع من المواد الأولية ذات المصدر المعدني ومن أهم المعادن التي عرفت وفرة في الإيالة نذكر:

**الحديد:** يعد الحديد المادة المعدنية الأكثر شيوعا وإستعمالا مقارنة بالمعادن الأخرى، إذ تصنع منه مختلف الأدوات الزراعية كالمحراث، المنجل، والأسلحة كالخناجر والسيوف،

---

(1)- وليام سبنسر، المرجع السابق، ص141
(2)-المصدر السابق، ص137.
(3)- فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص 95.
(4)- المصدر السابق، ص96.
(5)- فندلين شلوصر، ص ص101- 102.

عرفت هذه المادة وفرة في العديد من جبال الجزائر خاصة جبال القبائل التي أشتهرت بغناها بهذه المادة[1].

إن وفرة هذه المادة جعلت سكان القبائل يمتازون بالبراعة في صناعة الصلب وهو ماأشاد به وليام شالر الذي يقول أنهم كانوا يستخرجونه من الجبال ويقومون بصهره ويصنعون منه الأسلحة والسكاكين المتنوعة[2].

**النحاس:** مادة معدنية عرفت وفرة في العديد من المناطق الجبلية، وذكرت العديد من المصادر التاريخية بأن منطقة بجاية عرفت تواجاد لهذه المادة بنسبة كبيرة، إذ تعد هذه المنطقة الممون الأساسي لدار السكة بمدينة قسنطينة ومدينة الجزائر[3].

**الفضة:** عرف هذا المعدن وجودا في العديد من المناطق الجبلية للجزائر وهو ما لفت إنتباه العديد من الأجانب الذين زاروا الجزائر، في هذا الصدد يقول فندلين شلوصر "... يشتهرون بإستخراج المعادن التي تزخر بها بلادهم كالحديد والفضة..."[4]، هذه المادة كانت تصنع منها مختلف أنواع السيوف.

**الرصاص:** عرفت هذه المادة وفرة في العديد من مناطق الإيالة، إذ ذكر وليام شالر في مذكراته عن وجود هذه المادة في جبال منطقة القبائل، الذي يستغله السكان بكميات كبيرة[5].

إضافة إلى هذه المواد وُجدت مواد أولية أخرى كالملح، الذي يوجد في سبخات أرزيو ووهران ببايليك الغرب والبليدة وقسنطينة، إلا أن أهم منطقة عرفت وجود هذه المادة بكثرة سبخة وهران التي أشار إليها الجاسوس بوتان في تقريره سنة 1808م[6]، كما أشار شالر إلى وفرة هذه المادة في العديد من مناطق الإيالة في قوله: "... وكذلك توجد معادن الملح

(1)- وليام سبنسر، المرجع السابق، ص141.
(2)-المصدر السابق، ص115.
(3)- فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص80-81.
(4)- فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص97.
(5)- وليام شالر، المصدر السابق، ص30.
(6)- بن عتو بلبروات، المرجع السابق، ص317.

الرفيع بكثرة في العديد من الجبال..." كما توفرت الجزائر مادة الطين بمختلف أنواعها والتي يستخدمها السكان في صنع الفخار[1].

كما عرفت العديد من المناطق وفرة في مادة الحجارة، التي تستعمل في البناء، من أهم المناطق التي تواجدت فيها، منطقة جبال فليسة، بني عباس ووادي بجاية، وذكر حمدان خوجة أن هذه المادة تستخرج من الجبال وهي صالحة لبناء المساكن، ذلك بناءا على الزيارة التي قام بها بنفسه إلى منطقة فليسة وزواوة وبني عباس[2]، كما ذكر أن سكان القبائل أبدوا اهتماما باستخراج خامات الحديد ومناجم الرصاص وملح البارود[3].

وأشاد فاندلين شلوصر إلى جودة مادة الملح الموجود في بايلك الشرق والذي يستغله السكان في الطبخ، وفرة هذه المادة أدى إلى انتعاش تجارتها بين مدينة قسنطينة والمناطق الصحراوية والتي تقوم بتصديرها إلى دول الجوار[4].

إضافة إلى هذه المواد الأولية المتوفرة في الإيالة عملت الحكومة على استراد العديد من

المواد الأولية التي عرفت نقصًا في البلاد من بعض الدول الأوروبية أو العربية ،ذلك من أجل توفيرها لمختلف الأنشطة الحرفية ومن هذه المواد نذكر الشمع، الحري، الأقمشة بمختلف أنواعها والصباغة[5]، كما كانت تستورد بعض المواد المصنوعة كالمسامير وملح البارود والمرجان الذي يدخل في العديد من الصناعات الحرفية[6].

لكن الملاحظ بعد إطلاعنا على العديد من المصادر المحلية والأجنبية وجدنا أن نقص بعض المواد الأولية في البلاد لا يرجع إلى عدم وفرتها، إنما يعود إلى عدم وجود إستراتيجية محكمة من قبل السلطة لإستغلال هذه المواد الأولية، فكثيرا ماكانت تلجأ هذه الأخيرةلى السماح للشركات الأجنبية خاصة الأوربية بإستغلال وإحتكار العديد من المواد الأولية، وهو ما يمكن أن نستخلصه من ما كتبه لوسيت فالنسي حول الإمتياز الذي مُنح لشركة إفريقيا التي

(1)- وليام شالر، المصدر السابق، ص30.
(2)- حمدان بن عثمان خوجة ،المرآة، المصدرالسابق، ص66.
(3)- المصدر السابق، ص67.
(4)- فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص103.
(5)- وليام سبنسر، المرجع السابق، ص146.
(6)- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، المرجع السابق، ص93.

مقرها بمرسيليا، حيث تمتعت هذه الأخيرة بحق صيد المرجان، كما منحت لها السلطة مخازن في مدينة عنابة ببيايلك الشرق، من أجل شراء القمح والجلود من المنطقة الشرقية وإرساله لفرنسا[1].

كما سمحت السلطة بتصدير الجلود المدبوغة إلى العديد من الدول التابعة للدولة العثمانية، إذ مُنح لباي وهران حق إحتكار تجارة الصوف والجلود مقابل دفعه سنويا لخمسة عشر ألف دولار[2]، فهذه السياسة التي إنتهجتها السلطة ساهمت في نقص إستغلال العديد من المواد الأولية مما انعكس سلبا على مختلف الأنشطة الحرفية، التي كان لابد لها أن تقوم بإستغلالها وتحولها إلى منتوجات تقوم بإستغلالها محليا أو تصدرها إلى مختلف الدول لإنعاش التجارة الخارجية.

**خامسا: المرأة والنشاط الحرفي**

تتفق المصادر التاريخية على إمتهان المرأة العديد من الأنشطة الحرفية في المدن والأرياف ،لذلك نحاول أن نتعرف على أهم الحرف التي إمتهنتها سواءا الحرف الإنتاجية، الخدماتية والتسويقية، ودورها في إنتعاش النشاط الحرفي في الجزائر أثناء مرحلة الدايات.

**1. النشاط الحرفي عند المرأة في المدن:**

لقد امتهنت نساء المدن العديد من الحرف الإنتاجية، الخدماتية والتسويقية، إلا أنه بعد إطلاعنا على العديد من الكتابات التاريخية وجدنا أنهن لم يولين إهتماما كبيرا بممارسة مختلف الحرف كغيرهن من نساء الريف، إذ إقتصر اهتمامهن على بعض الحرف دون غيرها كحرفة الخياطة، حرفة النسج، صناعة الأواني الفخارية، والعطور والحلي ،والتي تمارس في غالب الأحيان في أوقات الفراغ في المنازل فلم تكن لهن ورشات خاصة لممارسة

(1)- لوسيت فالنسي، المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر 1790-1830م، ط1، تر: إلياس مرقص، دار الحقيقة بيروت، ص95

(2)- وليام سبنسر، المرجع السابق، ص146.

هذه الحرف، لأن في غالب الأحيان إنتاجهن الحرفي كان موجها للإستهلاك العائلي وليس للتسويق.

ومن أهم الحرف التي امتهنوها نذكر:

**ـ حرفة الخياطة:**

عرفت هذه الحرف بمختلف فروعها إهتماما كبيرا من قبل نساء المدن خاصة وأن النساء الأجنبيات سواء كانوا من المسيحيات أو اليهوديات وحتى الأندلسيات ساهموا في إدخال تقنيات جديدة لم تكن معروفة لدى النساء الجزائريات[1]، عرفت منتوجاتهم إختلافا حسب طبقة الناس وثروة الأفراد وفصول السنة[2]، عموما كان عملهن الحرفي هذا يتميز بالإتقان والبراعة خاصة حرفة التطريز[3]، هذا مايدل على الذوق الرفيع لنساء المدن خاصة وأنهن يستعملن أجود أنواع الخيوط والقماش كالحرير الذي تصنع منه الشالات والمناديل والأحزمة والعمائم، كما كن يقمن بتطريز القطع الخاصة بالنوافذ والمحارم اليدوية والألبسة كالقفطان.

ونجد أن هذه الحرفة شغلت من وقتهن ساعات طويلة مما أدى إلى جودة وإتقان صنعتها[4] حول جودة هذه المنتوجات يقول وليام شالر: "...المنتوجات الجزائرية أجمل وأمتن... وعلى العموم لاتوجد بضاعة أوروبية تفوق المنتوجات الجزائرية في هذا المجال..."[5].

بالرغم من أن معظم المصادر التي اطلعنا عليها تأكد أن هذه المنتوجات لم تكن تسوق إلى الخارج إلا أن فيلهلم شيمبر يذكر عكس ذلك فيقول أنه يتم شراء هذه المصنوعات من الطرازين ومن بعض الحضريات نتيجة لإتقان صنعتها[6].

**ـ صناعة الحلي:**

(1)- سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص176.
(2)- وليام شالر، المصدر السابق، ص83.
(3)- وليام سبنسر، المصدر السابق، ص110.
(4)- وليام سبنسر، المرجع السابق، ص112.
(5)- وليام شالر، المصدر السابق، ص93.
(6)- أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص53.

عرفت هذه الحرفة إنتشارا، خاصة وأن نساء المدن عرفوا بعادة إرتدائهن للحلي بمختلف أنواعها، سواء المصنوعة من مادة الذهب أو الفضة والمرجان، إلا أن النساء إختصوا بنوع معين من صناعة الحلي، فصناعتهن لم تكن كصناعة الحلي التي تمارس داخل الورشات والتي تقوم على تحويل مادة الذهب والفضة إلى حلي لتزيين المرأة كالأساور، الأقراط السلاسل، والخواتم والتي تُنقش عليها أشكالا ورسومات مختلفة، إنما كانت تعتمد على وسائل بسيطة متوفرة في كل منزل كالخيوط ومادة المرجان التي تعرف وفرة في الجزائر وقطعة ذهبية يتم شراءها من الصاغة، ليشكلوا سلاسل وأساور متنوعة لتزين بها النساء(1).

**ـ صناعة العطور:**

تتمثل هذه الحرفة في صناعة مختلف أنواع العطور، خاصة وأن سكان المدن عُرفوا باهتمامهم بزراعة مختلف أنواع الورود في الحدائق العامة الخاصة كورود الياسمين مما أدى إلى وفرة المادة الأولية لهذه الحرفة، إذ كانت تُقطف مختلف أنواع الورود لتستخرج منها عطورا مختلفة وماء الورد الذي تستعمله النساء في حياتهن اليومية(2).

**ـ الصناعة الغذائية:**

إن الحاجة اليومية لمختلف المواد الغذائية جعل النساء يولين إهتماما بصنع مختلف المواد الغذائية التي تستهلك بنسبة كبيرة داخل الأسر الجزائرية في تلك المرحلة، التي نذكر منها الكسكس، زيت الزيتون، المربى الذي يصنع من عدة أنواع من الفواكه، وأيضا الزبدة، وهذا ما لفت أنظار العديد من الأجانب الذين زاروا الجزائر، قدم فاندلين شلوصر وصفا لطريقة صنع مادة الزبدة في قوله: "... تُعلق بعمود خشبي ذي عقب وثلاث سيقان قربة تحتوي على اللبن الجديد... وتجلس إمرأة أمام العمود وتمسك عنق القربة وتحركها هنا وهناك دون إنقطاع وهكذا تنشأ الزبدة..."، وكثيرا ماكان يتم تسويق هذه المواد داخل أسواق المدن(3).

**ـ حرفة الطيابة (العاملين بالحمامات):**

---

(1)- لوسيت فالنسي، المصدر السابق، ص57.
(2)- أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص63.
(3)- فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص93.

هم الذين يشتغلون في الحمامات وتتمثل خدمتهم في تقديم المياه، ودلك الأجساد لقاصدي الحمامات، كما يشرفن على تسييرها وتنظيفها، تعد حرفة الطيابة حرفة شاقة وغالبية نساء المدن كن يترفعن عنها، بإستثناء اللواتي ينتمين إلى الطبقة الفقيرة[1]، ويؤكد هانريش فون مالتيسان أن هذه الحمامات لم يكن يقصدها سكان الجزائر الأصليين بل حتى الأجانب[2].

**- مهنة الدلالة:**

الدلالون هم الباعة المتجولون اللواتي ينتقلن ببضائعهن في الأسواق لعرض سلعهن على النساء، والتي تكون في الغالب عبارة عن ملابس وأقمشة وأواني فخارية، اشتهرت نساء المدن بممارسة المهنة حيث كانت تقصد مختلف البيوت وتعرض على النساء العديد من المنتوجات التي تقوم بصناعتها كالملابس والأغطية، كما ذكر أبو القاسم سعد الله أن المرأة في المدينة كانت تتجار أيضا بعدة وسائل منها: تأجير البحارة الذين يقومون لها بالحصول على غنائم البحر وبيعها في أسواق الجزائر[3].

## 2. النشاط الحرفي عند المرأة في الريف:

إن طبيعة الحياة التي تعيشها نساء الريف، جعلتهن يختصصن في نوع معين من الحرف والتي غالبا ما تساعدهن على التأقلم مع طبيعة حياتهن الريفية، من أهم الحرف التي إمتهنتها نذكر:

**- حرفة النسيج:**

النساجون هم الذين يقومون بصناعة مختلف أنواع الزرابي التي يفترشها السكان على إختلاف إنتمائهم وصناعة مختلف أنواع الملابس من الحياك، البرانس، الشواشي، الأحزمة والشالات من مادة الصوف[4]، عرفت هذه الحرفة إنتشارا نتيجة لوفرة المواد الأولية

---

(1)- هانريش فون مالتسيان، المصدر السابق، ص84.
(2)-المصدر السابق، ص83.
(3)- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي... ، المرجع السابق ، ج1، ص157.
(4)- سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص16.

الأساسية التي تدخل في هذه الحرفة كالصوف والجلود[1] بإعتبار النشاط الرعوي يعد المورد الأساسي لسكان المناطق الريفية[2].

لقيت هذه الحرفة إقبالا من قبل نساء الريف ذلك رغبة منهن في تلبية حاجاتهن المنزلية من ملابس وأغطية، كما أن هذه الحرفة كانت تحتاج لوسائل بسيطة يمكن أن تتوفر في مختلف المنازل الريفية كالصوف والجلود، تحدثت العديد من المصادر التاريخية عن الطريقة التي يتم بها النسج، ذلك من خلال نصب المنسج بطريقة مستقيمة في الأرض وربطه بواسطة مجموعة من الخيوط التي تثبت بواسطة الخشب، لتمرر بها بعد ذلك الصوف بواسطة الأصابع بعدما تُغسل وتجفف وتلون بأصبغة متنوعة[3].

يؤكد وليام شالر على إنتشار هذه الحرفة بين نساء المدن والأرياف في قوله: "...نسج الصوف كان شائعا في كل عائلة في المملكة لكن ذلك يتم بطريقة بدائية وهذا الإنتاج موجه للإستهلاك العائلي..." لذلك يمكننا أن نقول أن المنتوجات النسيجية التي تنتجها النساء كانت موجهة في الأساس لتلبية حاجيات الأسرة وليس للتسويق[4].

**ـ صناعة الأواني الفخارية:**

عرفت هذه الحرفة إهتماما كبيرا من قبل سكان الريف مقارنة بسكان المدن،أما عن طريقة ممارسة هذه الحرفة، فكانت تعتمد على وسائل بدائية بسيطة حيث يتم مزج الطين بالماء لتتشكل منه أواني منزلية مختلفة الأشكال كالصحون، الجرات والأوعية التي تخزن فيها المواد الغذائية كالزبدة وزيت الزيتون، ثم تعرّض في الهواء الطلق ثم في أفران لكي تجف، لتزين بعد ذلك بأشكال وألوان مختلفة، وعرفت منطقة القبائل أنها من أكثر المناطق التي عرفت إهتماما بهذه الحرفة، وهو مايؤكده لوسيت فالنسي في قوله: "...إنهم يصنعون أواني الطبخ وكل الأغراض المصنوعة من مادة الطين..."[5].

(1)- لوسيت فالنسي، المصدر السابق، ص55.
(2)- وليام شالر، مصدر سابق، ص33.
(3)- فاندلين شلوصر، المصدر االسابق، ص93.
(4)- وليام شالر، المصدر السابق، ص94.
(5)- لوسيت فالنسي، المصدر السابق، ص55.

**- حرفة الرعي:**

إلى جانب الأعمال المنزلية التي كانت تقوم بها نساء الريف من تنظيف ورعاية أولادها، مارست المرأة بعض المهن التي اختص بها الرجال كمهنة الرعي، نتيجة لتميز نساء الريف بالبساطة مقارنة بنساء المدن، وهو ما أكده ابو القاسم سعد الله في تاريخ الجزائر الثقافي، حيث ذكر أن معظم الأعمال التي تقوم بها المرآة في الريف من إختصاص الرجل[1].

هنا لابد أن نشير أن هناك العديد من الحرف إختصت فيها نساء الريف ونساء المدن كحرفة النسج، صناعة الأواني الفخارية، الصناعة الغذائية، ونقول أن المرأة ساهمت في خدمة النشاط الحرفي ذلك من خلال إمتهانها للعديد من الحرف لكن ليس بنسبة كبيرة، لأن الهدف الأساسي من إمتهانها للعديد من الحرف هو تلبية حاجيات عائلتها، كما أن النشاط الحرفي الذي إمتهنته النساء سواءا في المدن أو الأرياف إفتقد إلى التنظيم، لأن ممارسة هذه الحرف لم يكن في ورشات وإنما بقي محصورا في المنازل.

**سادسا: أفراد الجيش والنشاط الحرفي:**

لقد عرفت مرحلة الدايات حركة إنخراط كبيرة للجيش في النشاط الحرفي، حيث إتسعت الأعمال الحرفية والتجارية، فقد إستطاعوا المزج ما بين عملهم العسكري والعمل في بعض الحرف، وهنا لابد أن نشير إلى الجيش البري هو الذي عرف حركة واسعة الإنضمام على عكس الجيش البحري، لأن هذا الأخير كانت له عائدات مالية من نشاط الأسطول البحري جعلته يبتعد عن إمتهان أنشطة أخرى .

وبعد إطلاعنا على العديد من الكتابات التاريخية وجدنا أن هناك دوافع أساسية، جعلت أفراد الجيش يقبلون على ممارسة العديد من الأنشطة الحرفية:

(1)- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ص160.

- تكوين ثروة، بالإضافة إلى راتبهم الذي يتلقونه من مهامهم العسكرية، عملوا على إمتهان حرف تمكنهم من توفير أموال وإدخارها لجمع ثروة معتبرة ،خاصة وأن العديد منهم قبل مجيئهم إلى الجزائر، كانوا يتقنون العديد من الحرف، لذلك حاولوا الإحتفاظ بمكاسبهم الحرفية التي إكتسبوها في موطنهم الأصلي، أكد حمدان خوجة ذلك في حديثه عن الشباب المجندين الذين جاءوا إلى الجزائر أرادوا أن يجمعوا ثروة ليعودوا بها إلى وطنهم ليظهروا في مظاهر الرخاء والرفاهية أمام بني وطنهم، هذا ماجعل العديد من منهم لما يعود إلى الجزائر مرة أخرى يصطحب معه جماعة مم سكان بلاده، ويقدمهم للإنخراط في الجيش الجزائري(1).
- تراجع العائدات المالية للأسطول البحري خاصة في أواخر مرحلة الدايات، أدت إلى تغيير نمط حياة الجيش، خاصة وأن العديد من أفراده كانوا ينخرطون في صفوف البحرية بدافع المصلحة الشخصية، والمتمثلة في إكتساب الثروة، فضعف مداخيلهم المالية كانت سببا أساسيا في إمتهان العديد من الحرف(2)، كما عبرت الأغاني التي كان يرددها الجيش بمدينة الجزائر على الواقع الذي أصبح يعيشه أفراد المؤسسة العسكرية والحالة التي آلوا إليها، وهو ما تبرزه القصيدة الموجهة إلى السلطان العثماني والموسومة "بشكوى الجندي" حول التغيرات والإنحرافات التي عرفتها المؤسسة العسكرية:

عساكرك تحولوا إلى باعة للمربى

عساكرك تحولوا إلى باعة للرائب

عساكرك أصبحوا عطاريـــــــن

فمن خلال هذه القصيدة يمكن أن نستخلص أن الوضعية المادية المتردية لأفراد الجيش هي التي جعلتهم يمتهنون حرفا متنوعة(3).

(1)- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، المصدر السابق، ص119.
(2)- المصدر السابق، ص119.
(3)- عائشة غطاس ،الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص ص244-245.

- الحياة المملة التي كان يعيشها أفراد الجيش والإنكشارية، مثلا كثيرا ماكانوا لايرتبطون بعلاقات الزواج، نظرا للإمتيازات التي تنتزعها المؤسسات العسكرية منهم، هذا ماجعلهم يستغلون أوقات الفراغ وفترة العطلة السنوية في مزاولة حرفا معينة، وهو ماذكره القنصل الأمريكي وليام شالر الذي يقول أن الحياة المفروضة على الإنكشاري وعدم وجود وظائف تدر الأموال جعلتهم يهربون من هذه الحياة متى إستطاعوا ذلك(1)، خاصة في فترة مابعد 1811م والتي عرفت تراجعا كبيرا في مداخيلهم المالية، فعهد عمر باشا عرفت البلاد أزمة مالية حلت بالخزينة والتي اثرت على دفع رواتبهم المالي(2).

وكان المنخرطون من أفراد الجيش من رتب مختلفة من صنف الأياباشية، البلكابشية، الأوضاباشية، إضافة إلى المتقاعدين وحتى المجندين الجدد من اليولداش(3)، مارس أفراد الجيش حرفا مختلفة والتي ذكرتها عائشة غطاس إستنادا إلى سجلات المحاكم الشرعية، حرفة البابوجية(صانعوا الحذاء المعروف بالبابوج)، حرفة الحفاف، حرفة النجارة، حرفة الدباغ، حرفة الحرار، حرفة القوقاجية ،حرفة القنداقجية، حرفة القهواجية، وهنا نذكر أن أفراد الجيش لم يقتصروا على هذه الحرف، وإنما مارسوا حرفا أخرى مختلفة، لكن بنسبة قليلة(4).

ومن أمثلة ذلك ما مارسه محمد عثمان باشا بمدينة الجزائر من حرف، فبعد تجنيده وإستقدامه إلى الجزائر من إقليم كارامان بجنوب الأناضول وإنخراطه في الجيش، فلما تعرض للعزل من منصبه، إضطر إلى فتح دكان في إحدى أسواق مدينة الجزائر، لترقيع وصنع أحذية لأصدقائه من الجيش الإنكشاري وبقية السكان، وإزدهر نشاطه نظرا لما إشتهر به من إتقانه لحرفته وأمانته بين الناس(5)، كما تولى أمانة العديد من الجماعات الحرفية، عناصر من الجيش، وهو ما يفيدنا به مخطوط قانون الأسواق، فقد ورد ذكر

(1)- وليام شالر ،المصدر السابق، ص55.
(2)- حسان كشود . المرجع السابق ، ص142.
(3)-عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، ص230.
(4)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص ص236- 246.
(5)- وليام سبنسر، المرجع السابق، ص76.

الياباشي[1]كممثل لجماعة الحرارين"...أما الحرير فيدفع عنه المشتري ستة وعشرين رطلا عطاريا، أما البائع فيتوجب عليه درهمان عن كل رطل ...إذا قدمت قافلة... يتقدم إليها كل من الياباشي، وكاهية البايلك..."[2]. وفي مايلي قائمة لحرفيين أفراد الجيش:

**قائمة بأسماء صانعي الحذاء المعروف بـ "البابوج" (1701-1750)[3]:**

| | |
|---|---|
| الحاج حست الإنكشاري | 1702-1701 |
| حسن يلداش بن محمود | 1704-1703 |
| محمد أودة باشي بن أحمد | 1717-1716 |
| محمد الإنكشاري بن أحمد بن طاباق | 1723-1722 |
| حسين بلكباشي البابوجي | 1739-1738 |
| محمد الإنكشاري بن علي | 1751-1750 |

**قائمة بأسماء الحفافين من عناصر الجيش[4]:**

| | |
|---|---|
| علي آغا الحفاف | 1709 |
| أحمد أغا الحفاف | 1713 |
| محمد باش طبجي الحفاف | 1741 |
| موسى الحفاف البلكابشي بن محمد التركي | 1757 |
| أحمد منزول أغا الحفاف | 1764 |
| أحمد منزول أغا الحفاف | 1779 |
| إبراهيم بلكاباشي الكريتلي الحفاف | 1781 |

(1)- ضابط مكلف برعاية مصالح الديوان، منحت له السلطة حق حضور إجتماعات أمناء الحرف والطوائف فيما يتعلق بالحقوق التي يدفعها الحرفيين عند دخول السلطة وخروجها إلى السوق، ينظر عبد الله الشويهد، ص43.
(2)- عبد الله محمد الشويهد، المصدر السابق، ص43
(3)- نقلا عن عائشة غطاس،الحرف والحرفيون ...، المرجع السابق، ص ص240-242.
(4)- نقلا عن عائشة غطاس،الحرف والحرفيون ...، المرجع السابق، ص ص240-242.

| أحمد الإنكشارية البلكباشي الحفاف | 1786 |
| --- | --- |

إلى جانب الحرف مارس الجند الإنكشارية العديد من الأنشطة التجارية داخل الأسواق في المدن، إذ فتح العديد منهم دكاكين لمختلف المواد الإستهلاكية، خاصة تلك التي لم تكن متوفرة في البلاد، والتي كانوا يأتوا بها من بلدانهم الأصلية ،وبعضهم إكتسب مقاهي ودكاكين للتوابل والحشائش المجففة الطبية والمطبخية ،كما عمل آخرون في أفران الخبز المخصصة لليولداش[1].

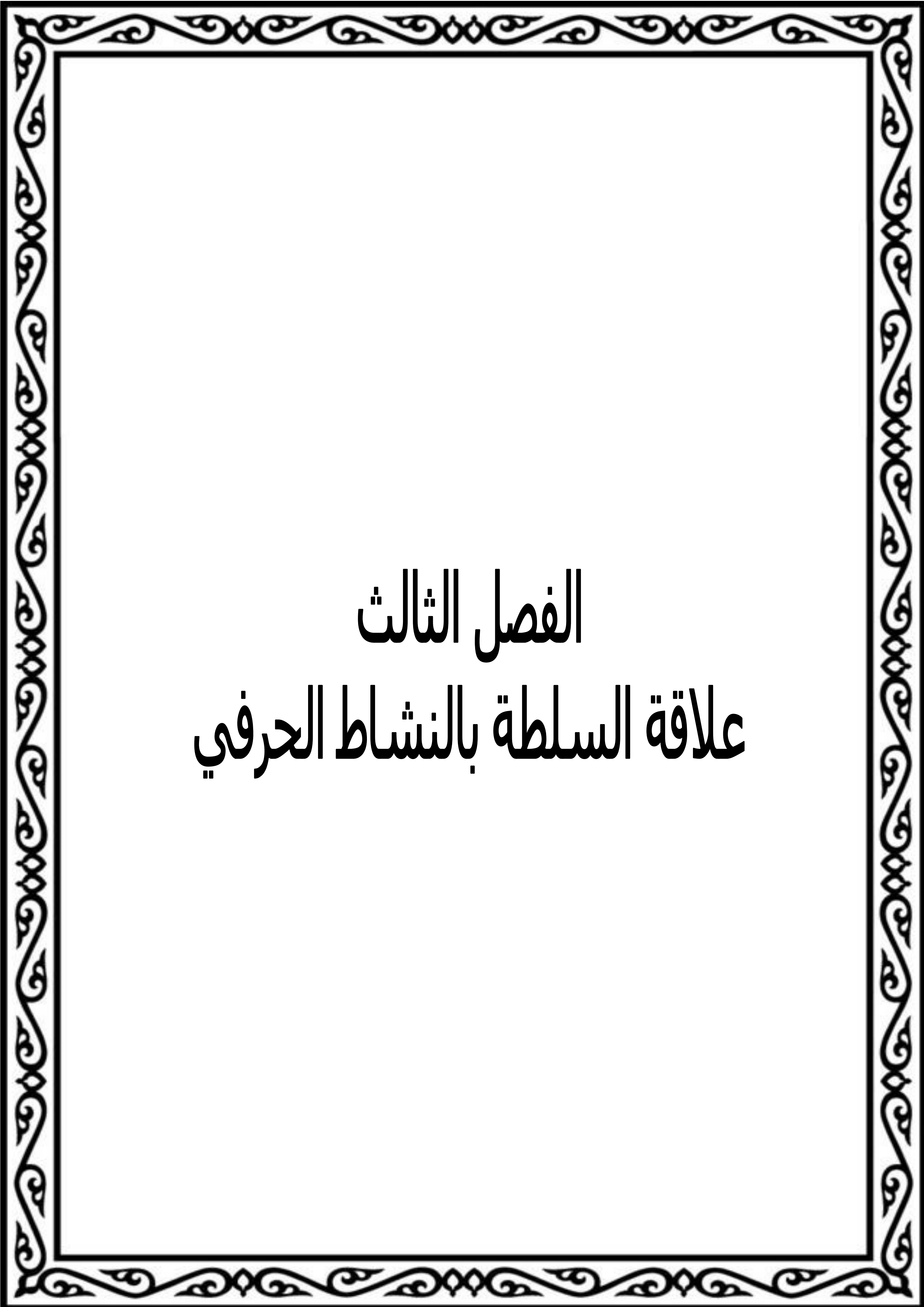
كما منحت السلطة لأفراد الجيش حق التدخل في ضبط العديد من القوائد المتعلقة بممارسة مختلف الحرف والمنتوجات التي يعرضونها في الأسواق والدكاكين ،كمراقبة الأسعار وتحديد قيمة الضرائب وفي الأوزان والمكاييل ، وهو مانستنتجه فيما ورد في الإتفاقيات حول الرسوم التي يدفعها الحرفيون على السلع الواردة للأسواق سنة1747م "...لممارسة نشاطهم بموافقة العسكر (الجبد) نصرهم الله، تحديد رسم إستراد القماش إلى الميناء..."[2].

كما تدخل أفراد الجيش في تحديد سعر الخبز وحقوق الفرانين"...الحمد لله على جماعة الكواشين مع أهل المدينة الذي يطيب الكواش بأمر من العسكر المنصور بالله باش مراح..."[3].

وهنا نشير إلى أنه بالإضافة إلى حركة إنضمام أفراد الجيش إلى النشاط الحرفي، عرفت الجزائر كذلك خلال مرحلة الدايات حركة إنتساب الحرفيين إلى الجيش على غرار ماكان موجودا في العديد من الولايات العثمانية، إذ عرفت المؤسسة العسكرية في الجزائر، إنضمام العديد من الحرفيين لكن لم تذكر المصادر التاريخية فترة بداية إنضمامهم، إذ بينت سجلات المحاكم الشرعية إنخراط الحرفيين في الجيش، إذ ترد تسمية إنكشاري الأياباشي إلى جانب الحرف التي إمتهنوها "كالإنكشاري البابوجي"، "الإنكشاري أمين السمارين"[4].

(1)- حسان كشود. المرجع السابق، ص133.
(2)- عبد الله بن محمد االشويهد. المصدر السابق، ص45.
(3)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص61.
(4)-عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص ص233-235.

ومما سبق يمكن القول أن الجزائر عرفت خلال مرحلة الدايات إنخراط أفراد الجيش في العمل الحرفي ،وذلك من خلال إمتهانهم للعديد من الحرف، لكن مانلمسه هوأنهم إختصوا في بعض الحرف وبرعوا فيها كالبابوجية، الخياطة، الحرارة، الحفافة، كسبيل للإستثمار وتحقيق الثروة، كما نجد كذلك إنتساب أهل الحرف إلى الجيش وهو في حالات قليلة، هذا ما يعكس عدم إهتمام المصادر التاريخية بذكرها.



# الفصل الثالث

# علاقة السلطة بالنشاط الحرفي

**أولا: المؤسسات الحرفية والسلطة**

ذهبت العديد من الكتابات التاريخية خاصة الغربية إلى أن النشاط الحرفي في الجزائر خلال مرحلة الدايات لم يكن منظما داخل مؤسسات حرفية، لذلك سوف نحاول أن نفنّد ذلك، خاصة وأنه بعد إطلاعنا وتفحصنا للعديد من الكتابات التاريخية وجدنا أن النشاط الحرفي في الجزائر كان منظما داخل مؤسسات حرفية متنوعة كان يقام فيها صنع مختلف المنتوجات الحرفية و خاصة في المدن.

حظيت هذه المؤسسات الحرفية بعناية من قبل السلطة، التي وضعت العديد من الموظفين الذين يتمثل دورهم الأساسي في تسييرها وهو ما سوف نحاول توضيحه إنطلاقا من ذكر المؤسسات الحرفية من قبل السلطة.

**1 ـ المؤسسات الحرفية**

**ـ الحانوت (الدكاكين):**

يعد الحانوت أهم مؤسسة حرفية فهو ورشة للحرفي لصنع مختلف منتوجاته الحرفية ومكان لبيع المنتوجات المصنوعة فيها، لكن المتفق عليه هو أن إختلاف في استعمال التسمية، فبعض الكتابات تستعمل تسمية الدكان[1] وأخرى الحانوت وجدنا أن المتفق عليه هو أن الإختلاف يكمن في الوظيفة والحجم، فالحانوت مخصص للإنتاج أي الصنع والبيع، أما الدكان فهو مخصص لعرض البضائع فقط، هذا ما جعل هذا الأخير اصغر حجما مقارنة بالحانوت، على هذا الأساس صنفنا الحوانيت كمؤسسة حرفية.

أما عن هندستها فهي عبارة عن حجرات مختلفة في الحجم تكون مربعة في الغالب[2] تؤدي وظيفتين الأولى إنتاجية والثانية تجارية، إضافة إلى دورها الإجتماعي الذي اخبرنا عنه "هانريش فون مالتسيان"، الذي يذكر أن الحانوت هو بمثابة البيت لدى الجزائريين، فهو مكان للإستراحة في أوقات الفراغ واستقبال الأصدقاء وتناول الطعام في الكثير من

(1)- الدكان كلمة مأخوذة من الفارسية «دكندار» والتي تعني صاحب الدكان، وهي مشتقة من دكن المتاع أي نضد بعضه إلى بعض.

(2)- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان ...، المرجع السابق، ص63.

الأحيان، لأن الحرفي والتاجر لم يكن يغادر حانوته إلا في آخر النهار، هذا ما يعكس أهمية هذه الورشات لدى الحرفيين ومكانتها في حياتهم اليومية.

ويضيف هانريش عن دور الحوانيت قائلا: "...ان الحانوت بالنسبة لعربي المدينة، فهو يجد فيه كلّ ما يجده الأوربي في منزله فالحانوت كان له دورا اجتماعيا إلى جانب الدور المهني، كما كانت تتلقى فيه الرسائل لأنه ممنوع على ساعي البريد أن ينظر إلى النساء..."[1].

وعموما تميزت بالبساطة في هندستها إذ أنها حجرات مربعة في الغالب مختلفة الأحجام، فيها باب خشبي يغلق عادة في الليل بواسطة المزلاج أو الأقفال، تعرض فيها منتوجات متنوعة من الأقمشة والملابس المتنوعة والمزينة بالخيوط الذهبية إضافة إلى مختلف أنواع المحافظ، وأدوات الزينة ومختلف العطور المستخرجة من الورود المختلفة، والمنتوجات المصنوعة والمعروضة فيها كانت تلقى رواجا من قبل السكان المحليين وحتى الأجانب نظرا لجمالها وإتقان صنعتها بالرغم من الوسائل اليدوية البسيطة التي كانت تصنع بها[2].

وغالبا ما كان اجتماع الدكاكين والحوانيت في شارع واحد يجمع حرفا متشابهة أو متكاملة مع بعضها، ففي مدينة الجزائرمثلا نجد بالقرب من جامع "علي بتشين" تجمعا لحوانيت الحلاقين، أيضا بالبادستان نجد تجمع محلات الخياطين ووجدت إلى جانبها محلات خاصة بنشاطات قريبة من حرفة الخياطة كالقزازة، و ذلك لتسهيل على السكان العثور على الحرفيين في مواقع قريبة منهم، مما يعكس لنا التنظيم المحكم الذي عُرفت به هذه المؤسسة الحرفية والتجار الذين يزاولون فيها نشاطهم فيها خلال هذه المرحلة[3].

كان يشرف على تسيير هذه الحوانيت مالكيها من الحرفيين المتمثل في المعلم[4] وفي الغالب هو الصانع والتاجر في نفس الوقت، إضافة إلى مساعد يساعده في آداء مهامه، كما نجد في هذه الورشات في الكثير من الأحيان المتعلمين الذين يلتحقون بها من أجل إكتساب

(1)- هانريش فون مالتسيان، المصدر السابق، ص ص113-114.
(2)- أبو العبيد دودو، المرجع السابق، ص63.
(3)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون ...،المرجع السابق، ص213.
(4)- للتفصيل أكثر ينظر بنية التنظيمات الحرفية.

وتعلم حرفة جديدة[1].

أخضعت السلطة هذه المؤسسة الحرفية والتجارية إلى المراقبة من قبل مجموعة من الموظفين منهم "المحتسب" الذي كان له دورا بارزا في مراقبة التسعيرة[2] وشيخ المدينة والشرطة اللذين يسهرون على مراقبة جودة البضائع المعروضة فيها، ومن مختلف الصنائع والتأكد من مطابقة المواد المصنوعة للقواعد المرسومة والمتعارف عليها بين الحرفيين [3].

**- الأسواق:**

عرفت الأسواق إنتشارا في مختلف مدن و أرياف الجزائر خلال مرحلة الدايات[4] هذا ما جعل السفير والرحالة المغربي "الترموتي" يعطي وصفا حول انتشارها في مدينة الجزائر قائلا: "...الجزائر عامرة كثيرة الأسواق... فبلادهم لذلك أفضل من بلدان إفريقيا وأعمر وأكثر تجارة وفضلا وأنفذ أسواقا وأجود سلعة حتى يسمونها إسطنبول الصغرى..."[5]، هناك اختلاف ما بين أسواق الأرياف و أسواق المدن، فهذه الأخيرة نجدها تتوزع في أماكن متعددة في مختلف الشوارع و الأحياء و تكون عبارة عن دكاكين أو حوانيت يصطف بعضها إلى بعض[6].

أما أسواق الأرياف فكانت تقام في المناطق الريفية في الهواء الطلق ،تكون في الغالب بالقرب من غابة أو بئر أو مجرى مائي، ويقصدها مختلف الحرفيين والتجار لبيع منتوجاتهم المختلفة[7].

تؤكد معظم المصادر أن أسواق الجزائر تميزت ببساطة هندستها وهو ما أكده الرحالة الألماني" فاغنر" إذ يقول: "الأسواق الموجودة في الجزائر تميزت ببساطة إذ لا تشبه

---

(1)- عائشة غطاس،الحرف والحرفيون ... ، المرجع السابق، ص ص135-136.
(2)-المرجع السابق، ص70.
(3)- بن عتو بلبروات،المرجع السابق، ص68.
(4)- هانريش فون مالتسيان، المصدر السابق، ص29.
(5)- عائشة غطاس، الحرف و الحرفيون... ، المرجع السابق، ص207.
(6)- هانريش فون مالتسيان، المصدر السابق، ص29.
(7)- حمدان بن عثمان خوجة،المرآة، المصدر السابق، ص

الأسواق الضخمة الموجودة في بغداد أو طهران... فهي عبارة عن دور تشبه الدور العربية إلا أن العديد منها فيه طابقان أو ثلاثة طوابق..."[1]، ويصفها في موقع آخر بعد الاحتلال الفرنسي قائلا أنه كان في الجزائر أسواقا تحتوي على أكثر من أربعين محلا إلا أن القسم الأكبر منها، بل أجملها وأجدرها بالاعتبار قد هدم وقامت في مكانها محلات ودكاكين تجار الأوروبيين، أما دكاكين تجار الأهالي. فهي عبارة عن ثقوب مربعة تغلق في الليل بباب خشبي [2].

والعادة المتبعة هي أن سكان المدن على إنتمائهم سواءً كانوا سكان محليين أو أجانب يقومون بإكتراء محلا أو عدة محلات في السوق لممارسة حرفتهم وعرض بضاعتهم أمام أبواب الدكاكين[3]، على هذا الأساس صنفنا السوق كمؤسسة حرفية فممارسة مختلف الحرف الحرف هي التي أعطتها هذا الطابع، والملاحظ أيضا هو أن العديد من الأسواق أخذت تسمية الحرف التي تمارس داخلها، هذا ما يؤكده لنا مخطوط قانون الأسواق الذي يعطي نموذجا حول أسواق مدينة الجزائر، وقائمة هذه الأسواق من إنجاز الدكتور ناصر الدين سعيدوني: من أهم هذه الأسواق نذكر سوق الغزل، سوق البرادعية، سوق الحلفاويين، سوق الحدادين، سوق الخراطين، سوق السراجين، سوق الصفارين، سوق الحياكة، سوق الخياطين، سوق الصياغة[4].

أما عن طريقة تنظيم الأسواق، فقد وضعت السلطة مجموعة من الموظفين المسيرين اللذين يكونون في الغالب كوسيط بين السلطة والحرفيين والتجار اللذين ينشطون داخل هذه الأسواق، خاصة وأن هذه الأخيرة عرفت وجود عدة تنظيمات حرفية داخلها،هذا التنظيم الذي كان يديره المعلم الحرفي الذي يمتلك الحانوت ووسائل الإنتاج إضافة إلى المساعد الذي يكون في الغالب من المبتدئين في تعلم الحرفة، هذا ما يعكس لنا التنظيم المحكم الذي وجد داخل هذه الورشات الإنتاجية.

(1)- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات ...، المرجع السابق، ص62.
(2)-المرجع السابق، ص111.
(3)- نفسه ، ص62.
(4)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص ص30-31.

ولنعود إلى الحديث عن أهم المشرفين على تنظيم الأسواق، نجد الشرطة التي إرتبط إسمها بالحفاظ على الأمن داخل الأسواق من خلال مراقبتها في مختلف الأوقات[1] وشيخ البلد الذي يقوم بالفصل في النزاعات والخلافات التي تقوم بين الجماعات الحرفية، وجباية الضرائب المفروضة على الحرفيين[2]، إضافة إلى المحتسب الذي إرتبط دوره بمراقبة الأسعار وجودة البضائع المنتجة داخل الورشات الموجودة في الأسواق[3]، كما وضعت الحكومة أيضا القائد الذي يقوم بجمع الضرائب[4].

ولتنظيم الجماعات الحرفية داخل الأسواق تم وضع أمناء لكل تنظيم حرفي من أجل مراقبة الأنشطة الحرفية من خلال تحديد أسس ممارسة وتعلم الصنعة، هذا ما وضحه مخطوط قانون الأسواق من خلال الإشارات الواردة فيه "... اتصل أمين الصبانين (متولي أمور المشتغلين في صناعة الصابون) بن وزوب الداي بابا حسن بشأن تسعيرة الصابون ..."[5].

فوضع السلطة لهؤلاء الموظفين لتنظيم النشاط الحرفي و التجاري، داخل الأسواق يعكس لنا إهتمام السلطة بهذه المؤسسة الحرفية والتجارية، ويبطل ما تداولته العديد من الكتابات الأجنبية حول افتقار أسواق الجزائر إلى التنظيم الذي كان موجودا في العديد من دول أوربا.

ومما زاد من دعم هذه الأسواق وتنشيط النشاط الحرفي وفرة مختلف أنواع المواد الأولية محليا والتي تدخل في العديد من الصناعات الحرفية، أما المواد الأولية التي تعرف نقصا فساعدت الرحلات البحرية الآتية من مختلف الأقطار العثمانية كمصر، الشام، وأقاليم الأناضول وبلاد البلقان، ومن الدول الأوروبية كفرنسا، وإنجلترا، وهولندا، في توفيرها إذ كانت تستورد الأقمشة بمختلف أنواعها والمواد المعدنية ومواد البناء والزليج...[6].

والمتتبع لأسواق الجزائر خلال مرحلة الدايات يجد أنه بالرغم من التطور الحاصل فيها

(1)- وليام شالر، المصدر السابق، ص ص77-78.
(2)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون... ، المرجع السابق، ص63.
(3)- لوسيت فالنسي، المصدر السابق، ص68.
(4)-المصدر السابق، ص47.
(5)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص79.
(6)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص31.

من تنوع الأنشطة الحرفية والبضائع المعروضة فيها والقوانين التي وضعتها السلطة لتنظيمها، إلا أن حركيتها عرفت تراجعا في أواخر مرحلة الدايات فأصبح الزوار يكتفون بتقليب البضائع المعروضة وقلّما يشترون شيئا منها[(1)]، ويصف "موريتش فاغنر" هذه الوضعية قائلا: "... فالتجارة لم تكن مربحة و لم تكن تزدهر أبدا مثل إزدهارها في بقية العواصم الأخرى...".

ويرجع الرحالة الألماني "فرديناند فينكلمان"[(2)] وهنا يرجع سبب ركود الأسواق إلى تراجع النشاط الحرفي في أواخر مرحلة الدايات نتيجة لإهتمام الجزائريين بالنشاط الزراعي الذي يعتبر أساسا لمعيشتهم وجهلهم لأصول الصناعة فيقول: "... الجزائريين يجهلون كلّ ما يتعلق بالأعمال اليدوية و الصناعات الفنية، وإنما كانوا يعيشون على النشاط الفلاحي"[(3)].

**ـ السويقات:**

بالإضافة إلى الأسواق وجدت تجمعات تجارية أصغر حجما من الأسواق، وكانت خارج الفضاء المخصص للأسواق عرفت بالسويقات وغالبا ما كانت توجد في المناطق القريبة من تجمعات السكانية تسهيلا لتلبية حاجات السكان دون عناء[(4)].

وعرفت كذلك بالرحبات، كانت في الأماكن المكشوفة إتخذها العديد من الحرفيين كأماكن لممارسة نشاطهم و ذلك تسهيلا لتوفير خدماتهم للسكان عن قرب، كان يزاول فيها العديد من الحرفيين نشاطهم كالأساكفة، الفكاهون، الدلالون، العطارين، الحراريين... ويعرضون فيها مختلف منتوجاتهم الحرفية، لم يقتصر تواجد السويقات على المدن، وإنما كانت تمتد إلى خارج أسوارها كما كانت السويقات خاضعة إلى مراقبة السلطة من قبل موظف يدعى "قائد الرحبة" ويساعده مجموعة من الموظفين على رأسهم "خوجة" مهتمه جمع الضرائب على ما يجلب إليها من بضائع إضافة الى عدد من الوزانين مهمتهم الأساسية مراقبة الأوزان

(1)-المصدر السابق، ص62.
(2)- فردناند فينكلمان، رحال ألماني زار الجزائر في بداية الاحتلال الفرنسي، له كتاب بعنوان "تاريخ احتلال الجزائر من طرف الفرنسيين سنة 1832" ونشره سنة 1832، وفيه أعطى وصف الجزائر خلال بداية الاحتلال، للمزيد ينظر أبو العيد دودو ،الجزائر في مؤلفات ...، المرجع السابق، ص23.
(3)- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات ....، المرجع السابق، ص24.
(4)- أمين محرز، المرجع السابق، ص192.

والمكابيل[1].

**- الفنادق:**

هي منشآت ذات طابع تجاري، عبارة عن بنايات كبيرة اشتملت على عدد من الغرف ومخازن للبضاعة وفناء أو أكثر، كان ينزل بها التجار أو المسافرين اللذين يقصدون المدن[2]، صنفنا الفنادق كمؤسسة حرفية لأن أغلب الفنادق كان يقصدها الحرفيون والتجار، كما كان العديد منها مخصص لممارسة حرف معينة إضافة إلى تميزها في ترويج العديد من المنتوجات الحرفية، وأخذت العديد من الفنادق تسمية بعض الحرف.

تواجد أغلبها في المناطق التي يتمركز بها النشاط الاقتصادي كالأسواق[3] كما تميزت الفنادق بتنظيمها الشبيه إلى حد ما بالتنظيم الحرفي الموجود في الجزائر خلال تلك المرحلة، فكل فندق في مدينة الجزائر مثلا كان يترأسه قائد له دور نفس أمين الحرف، كقائد فندق الزيت، إضافة الى أن العديد من الفنادق احتوت على ورشات مورست فيها حرفا معينة كصناعة الحرير والدباغة التي مورست بورشات تتواجد بفندق الزيت بمدينة الجزائر، وهنا يتضح كذلك أن تسميات هذه الفنادق لا تعكس دائما تسمية النشاط الممارس بها[4].

وإنطلاقا مماورد في كتابات العديد من المصادر التاريخية، نجد أنها تؤكد على أهمية الفنادق في تسهيل التبادل التجاري بين سكان المدن والمناطق الريفية والداخلية، إذ كانوا يقصدونها للإستراحة ووضع منتوجاتهم لعرضها في الأسواق وتوفيرها لسكان مقابل أخذهم لمواد لم تكن متوفرة في الارياف فعلى سبيل المثال سكان الريف يأتون بمادة الصوف والجلود التي يزودون بها حرفي المدن بهذه المواد الأولية التي يحتاجها الدباغون النساجون، الأساكفة...[5].

أما عن هندستها المعمارية لم تتطرق المصادر التاريخية إلى وصف هذه المنشآت وإنما

---

(1)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص122.
(2)- أمين محرز، المرجع السابق، ص192.
(3)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص32.
(4)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص217.
(5)- فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص91.

إكتفت معظمها بذكرها فنجد أن الأسير الأمريكي كاثكارت إكتفى فقط بذكر أن مدينة الجزائر تتوفر على العديد من الفنادق كان يقيم فيها الأتراك المتزوجين والمتقاعدين منهم ممن لا يملكون مالا(1).

وقدمت الباحثة عائشة غطاس نموذجا حول فنادق مدينة الجزائر.

| | |
|---|---|
| 1. فندق أعلى القهوة | 23. فندق السراجين |
| 2. فندق أهجي لارا | 24. فندق السوق الجديد |
| 3. فندق باب عزوز | 25. فندق الشبابارلية |
| 4. فندق باب الوادي | 26. فندق الشطية |
| 5. فندق البابليك | 27. فندق الشماعية |
| 6. فندق البرادعية | 28. فندق العسل |
| 7. فندق بن تركية | 29. فندق العزارة |
| 8. فندق بن الزرقي | 30. فندق علي بنشين |
| 9. فندق الجديد | 31. فندق الصغير |
| 10. فندق الجرابة | 32. فندق فرن الجمال |
| 11. فندق الجعلولة | 33. فندق الفكهانين |
| 12. فندق الحاج حسين | 34. فندق القشتاش |
| 13. فندق الحاوي | 35. فندق الصفارين |
| 14. فندق الحوات | 36. فندق القهوة الكبيرة |
| 15. فندق الخطيب | 37. فندق كتشاوة |
| 16. فندق الدخان | 38. فندق الكرموس |
| 17. فندق الدروج | 39. فندق الكنيسة |
| 18. فندق الديوان | 40. فندق لالاهم |

(1)- كاثكارت جيمس ليندر، أسير أمريكي في الجزائر في الفترة 1785م-1786م أصبح من كبار موظفي الداي محمد عثمان باشا، قام بمهام القنصل لبلاده في طرابلس بعد تحريره، للمزيد ينظر: كاثكارت جلمس، مذكرات اسير الداي كاثكارت قنصل امريكا في المغرب، ترجمة وتقديم وتعليق اسماعيل العربي، الجزائر، د.م.ج، ص13.
جيمس ليااندر كاثكارت، مذكرات الداي ...، المصدر السابق، ص 62.

| | |
|---|---|
| 19. فندق الذهب (يوجد داخل باب عزون المعد لدباغة الجلود) | 41. فندق المارستان |
| 20. فندق الروز | 42. فندق المحتسب |
| 21. فندق الزيت | 43. فندق المذبح |
| 22. فندق سالم | 44. فندق المرجاني |
| | 45. فندق المكاوين[1] |

**ـ الورشات:**

إنتشرت بمدن الجزائر خلال مرحلة الدايات العديد من الورشات الحرفية في المدن، والتي اختصت في صنع العديد من المنتوجات، ومن هذه الورشات نذكر:

**– ورشة الغزل والنسيج:**

تعتبر المناطق الريفية الممون الأساسي لها من مادة الصوف خاصة وأن الجزائر عرفت وفرة في هذه المادة الأولية، لأن سكان الارياف اهتموا بتربية المواشي خاصة في المناطق الداخلية، كانت تصنع في هذه الورشات البرانس على إختلاف أنواعها والتي اشتهرت بها العديد من المدن خاصة مدينة معسكر، حيث ذكر حمدان خوجة أن هذه المدينة كانت تصنع فيها البرانس الشهيرة السوداء ذات اللون الطبيعي والأقمشة التي تستعمل في مختلف أنحاء الإيالة، وإتقان صنعتها جعلها تلقى رواجا في أسواق العديد من الدول كمصر، بل وأصبح الفرنسيون من هواة البرانس. حتى أصبح البرنوس الواحد يباع بمائة فرنك في تلك الفترة[2].

كما أدرجت في هذه الورشات صناعة الأغطية الصوفية والتي كانت توجَه منتوجاتها في الغالب إلى السكان المحليين، والبعض كان يصدر الى البلدان المجاورة كتونس، ووجدنا أن جودة الأغطية الصوفية المصنوعة في الجزائر جعلت الكثير من الحكام يرسلون عددا منها ضمن الهدية التي ترسل إلى الباب العالي والتي تعتبر نموذجا من منتوجات الإيالة

(1)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص ص219-220.
(2)- حمدان بن عثمان خوجة،المرآة، المصدر السابق، ص97.

الصناعية[1]، كما كانت تصنع مختلف الملابس الصوفية كالشلالات والسراويل داخل هذه الورشات[2].

- **ورشات النجارة:**

إشتهرت العديد من المناطق في الإيالة بوفرة مادة الخشب خاصة جبال القبائل التي توفرت على غابات كثيفة هذا ما وفر المادة الاولية لورشات النجارة التي تصنع فيها مختلف المنتوجات من مادة الخشب كالأبواب، الأثاث المنزلية من خزانات، طاولات...[3]، كما وجدت ورشات تختص في صناعة أحواض السفن، وفي هذا الصدد يذكر سيمون بفايفر أن النجارون هم من يقومون بصناعة الترسانة البحرية في ورشات خاصة والتي يبدي فيها الجزائريين مهارة كبيرة[4].

إلا أن الخشب المعد لصناعة السفن يختلف عن الخشب الذي يستخدم في صناعة المنتوجات الأخرى، كان مصدره الرئيسيان هما غابات بني صالح والشريعة وجبال الظهر باقليم دار السلطان، وغابات منطقة القبائل الصغرى، كما اختصت هذه الورشات في إصلاح السفن الحربية بجميع أنواعها وأحجامها[5].

- **ورشات الدباغة:**

تقوم هذه الورشات بدباغة مختلف أنواع الجلود سواء تلك العادية الموجهة إلى الطبقة المتوسطة أو الفاخرة الموجهة إلى الطبقة الغنية[6] وتواجدت ورشات الدباغة في العديد من المناطق بالمدن أو الأرياف، إذ اشتهرت منطقة الأوراس بهذا النوع من الصناعة[7]، وكانت هذه الجلود موجهة للحرفيين لصنع مختلف أنواع الأحذية وحافظات النقود والسروج....إلخ.

(1)- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، المصدر السابق، ص132.
(2)- فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي...، المصدر السابق ، ص83.
(3)-المصدر السابق، ص96.
(4)- سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص168.
(5)- أمين محرز، المرجع السابق، ص ص180-181.
(6)- سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص167.
(7)- عبد الله الركيبلي، الجزائر في عيون الرحالة الانجليز، المرجع السابق، ص45.

أكد وليام شالر على أن إعداد الجلود ودباغتها، كانت معروفة لدى الجزائر بكل أسرارها خاصة في ظل وفرة هذه المادة نتيجة لإهتمام السكان بتربية مختلف أنواع الحيوانات التي تستغل جلودها كالمواشي، الخيول والجمال، هذه الجلود المدبوغة كانت على الطريقة المغربية مما جعلها تبدوا قريبة الى درجة الكمال[1]، إلا أن معظم المصادر التاريخية أكدت على أن ورشات معالجة الجلود و دباغتها كانت تتركز خارج المدن لأنها تحتاج إلى أحواض مائية كبيرة، إضافة إلى أن ممارسة هذا النشاط داخل التجمعات السكانية قد يلحق ضررا بهم[2].

**– ورشات صناعة الحرير:**

تعتبر صناعة المنتوجات الحريرية، إحدى أهم الحرف التي عرفت انتشارا في العديد من المدن وكان للعنصر الأندلسي دورا متميزا في إزدهار ورواج كل ما يتعلق بصناعة الحرير من نسج وغيره منذ الفترة التي سبقت مرحلة الدايات، ففي سنة 1619م ضمت مدينة الجزائر لوحدها حوالي ألفي أندلسي أثروا المدينة بصناعتهم الحريرية[3].

ومما ساهم في إزدهار هذه الصناعة هو إهتمام العديد من السكان بتربية دودة القز لإستخراج مادة الحرير[4]، وهنا تجدر الإشارة إلى أن مادة الحرير الخام كانت تستورد في معظمها من سوريا ومن البندقية التي إشتهرت بإنتاج هذه المادة، ونالت مدينة الجزائر شهرة واسعة في مجال المنسوجات الحريرية، إذ أشاد العديد من الأجانب بمهارة وحذاقة حرفي المدينة في صنع مختلف أنواع القماش[5]، فيقول حمدان خوجة أن الجزائر توفرت على معامل لصنع الألبسة المطرزة بالحرير والتي نالت إعجاب الشرقيين والعديد من سكان الدول الأخرى[6]، كما ذكر الرحالة الالماني موريس فاغنز "أن المصنوعات الحريرية بالجزائر

(1)- وليام شالر، المصدر السابق، ص94.
(2)- بن عتو بلبروات، المرجع السابق، ص240.
(3)عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص229.
(4)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص85.
(5)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص ص229-230.
(6)- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، المصدر السابق، ص104.

تميزت بجودتها وجمالها"[1].

أما شالر فتحدث عن جودة المنتوجات الجزائرية التي تصنع من مادةالحرير جعلها تباع بأغلى الاثمان مقارنة بالمنتوجات الفرنسية، أو الإيطالية لأنها الأجمل والأمتن وتميزها بالألوان الجميلة والدائمة وهذه الميزات لا توجد في المنتوجات الأوروبية[2].

### ـ ورشات صناعة الأسلحة:

ساهمت وفرة مادة الحديد والنحاس في الجزائر في ظهور ورشات لصناعة الأسلحة المختلفة كالخناجر والسيوف خاصة سكان منطقة القبائل الذين برعوا في هذا النوع من الحرف نتيجة لإهتمامهم بإستخراج المعادن التي تزخر بها منطقتهم[3]، كما عرف عن سكان العديد من المناطق الريفية صنعهم الأسلحة النارية[4]، وهو ماذكره حمدان خوجة... وفي هذه القرى مصانع الأسلحة النارية تصنع فيها على نجوما في الجزائر أساس البنادق المرصعة بالفضة..."[5].

### ـ ورشات صناعة الأحذية:

إهتم سكان الجزائر بصنع الأحذية على اختلاف أنواعها واشتهر بهذا النوع من الحرف مدينة قسنطينة ومدينة الجزائر التي وجد فيها صانعوا الأحذية على إختلاف أنواعها، وتميز صانعوا الأحذية بمهارة فائقة في تصميم مختلف الأشكال وإعدادها، وكانت تزيّن بخطوط مذهبة ورسومات متنوعة متأثرة بالطابع الأندلسي أو التركي[6].

أشادت العديد من الكتابات الأجنبية بجودة المنتوجات التي تصنع داخل هذه الورشات نتيجة الإتقان الذي تميز بها صانعوها، بل وحتى أكدوا بأنه ممكن للأساكفة الأوروبيين أي

---

(1)- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان...، المرجع السابق، ص35.
(2)- وليام شالر، المصدر السابق، ص93.
(3)- فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص97.
(4)ذكر حمدان خوجة أن صناعة الأسلحة النارية كانت موجودة في بعض المناطق الريفية ،كما ذكر الأسير الألماني فاندلين شلوصر ذلك من خلال تقديمه وصفا للبنادق التي كانت موجودة في جبال القبائل في قوله "...تميزت صناعتها بالدقة مما جعل سكان المنطقة يبتعدون عن تبديلها بالبنادق الأوربية .." لكن هذه المصادر لم تبين طريقة صنعها ،أنظر حمدان خوجة ،المرأة ، المصدر السابق ،ص67 ،وأنظر أيضا فاندلين شلوصر نالمصدر السابق ص ص 96 97
(5)- حمدان بن عثمان خوجة،المرآة، المصدر السابق، ص67.
(6)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص231.

يقصدوا الجزائر من أجل تعلم صنع الاحذية[1].

**ـ المحاجر:**

وجدت في العديد من الفحوص المجاورة للمدن، مناطق لإستخراج الحجارة بغرض بناء المساكن والقلاع والحصون بالمدن، ذكر حمدان خوجة أن هذا النوع من الحجارة الصالحة للبناء تواجد أيضا بالمناطق الريفية والجبلية، كجبال فليسة، زواوة، بني عباس وبجاية، هذا ما جعل سكان هذه المناطق يستغلونها في بناء قراهم التي كانت تشبه إلى درجة المدن لأن كل البنايات فيها مبنية بالحجارة والكلس والسطوح مغطاة بالقرميد، على عكس المناطق الريفية الأخرى التي استعملت فيما مواد البناء بسيطة كالطين[2]، كما اشتهر فحص مدينة مستغانم بتوفيره للمدينة بالحجر الكلسي الذي يستعمل في البناء والترميمات العمرانية داخل المدن[3].

كما وجدت ورشات بالقرب من المدن لصنع الفخار المتمثلة في الأفران على اختلاف أنواعها كأواني الماء وحفظ الزيت، والصحون والجرار المخصصة لحفظ المؤونة، مما يساعد على إقامة هذه الورشات خارج المدن توفر الفضاء الخارجي المفتوح الذي يسمح بتعريض مختلف المنتوجات المصنوعة من الفخار إلى الهواء والشمس قصد تجفيفها[4].

**2ـ أهم الموظفين المسيرين لها:**

**ـ قائد السوق:**

عرف كذلك بقائد الرحبة، وهو الموظف المكلف بالإشراف على الأسواق من خلال مراقبة عملية البيع والشراء التي يقوم بها مختلف الحرفيين والتجار، لكن وجدنا أن المصادر المحلية والأجنبية سكتت عن ذكر هذا المنصب بإستثناء مخطوط قانون الأسواق، إذ يظهر بعد إستقراء مجموعة من الإتفاقيات والعقود الوارد فيه أنه الموظف المكلف بالإشراف على

(1)- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحاليين الألمان...، المرجع السابق، ص19.
(2)- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، المصدر السابق، ص ص66-67.
(3)- بن عتو بلبروات، المرجع السابق، ص317.
(4)- المرجع السابق، ص240.

السوق وعملية البيع والشراء التي تتم فيه، وعُرف أيضا بـ "قائد الرحبة" وهو المنصب الذي تولاه عبد الله بن محمد الشويهد متولي السوق بمدينة الجزائر.

ويمكن أن نستخلص مما سجله من معلومات واردة في المخطوط حول تسجيل بعض المعاملات المالية والمبادلات التجارية التي تتم في السوق أنه من صلاحيات قائد السوق، حق النظر في الخلافات وإقرار ما يتم في شأنها من تسوية التي تتم بين الحرفيين والجماعات الحرفية داخل الأسواق ومراقبة مختلف أنواع المنتوجات من حيث جودتها ومطابقتها لما هو متفق عليه بين الحرفيين، ذلك من خلال الرجوع إلى المحتسب وشيخ البلد وأمناء الحرف والجماعات الحرفية.

أما عن الأجر الذي يتلقاه قائد السوق فلم يكن محددا بقيمة معينة وهو ما ذكره مخطوط قانون الأسواق"... يأخذ المتولي السوق (المقصود قائد السوق) ما يتوجب عن وزن المثقال"[1] وحلي الفضة والجوهر يعطي عنها خمسة وعشرين عن كل أوقية كرسوم عن الميزان، أما عن حلي الذهب فإن البائع يعطي عن كل مثقال خمسة دراهم..."[2].

**- الشرطة:**

لقد لعبت الشرطة دورا كبيرا في تحقيق الأمن والإستقرار داخل المجتمع الحضري، بما في ذلك مختلف الأسواق التي عرفت إنتشارا داخل المدن، وعرف هذا التنظيم تواجدا منذ إرتباط الجزائر بالدولة العثمانية كان يُعرف بمنصب "السوباشي"[3] وقد أشاد وليام شالر بدور الشرطة في الجزائر في توفير الأمن داخل المدن خلال مرحلة الدايات قائلا: "... أنا أعتقد أنه لا توجد مدينة أخرى في العالم يبدي فيها البوليس، نشاطا أكبر مما تبديه الشرطة الجزائرية، التي لا تكاد جريمة تفلت من رقابتها، كما لا يوجد بلد آخر يتمتع فيه المواطن وممتلكاته بأمن أكبر"[4].

(1)- المثقال: الوزن الشرعي له يقدر ب 4.72 غ أو 4 قراط او 72 حبة شعير او 96 حبة قمح، أما المثقال درهم فيقدر بأربع اوقيات، ويخصص لوزن الذهب، انظر عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص41.
(2)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص40-41.
(3)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيين، المرجع السابق، ص69.
(4)- وليام شالر، المصدر السابق، ص77-78.

وأسندت إلى الشرطة العديد من المهام داخل الأسواق أهمها، تحقيق الأمن من خلال معاقبة السراق والمخالفين للقانون من الحرفيين والتجار، ومراقبة مختلف الورشات الموجودة في ضواحي المدن، كما لهم حق إقرار الإتفاقيات ومراقبة تطبيقها مع الجماعات الحرفية[1]، ووردت العديد من الإشارات إلى هذا المنصب الذي عرف بـ "الكاهية" في مخطوط قانون الأسواق فيما تعلق بمستوجبات إصلاح أضرار التي تلحق بالشوارع سنة 1741م إذ نجد أن الكاهية ذكر في المحضرالذي دُوّن حول الإتفاق على القيمة المالية التي يدفعها السكان[2]. إضافة إلى دوره في تحديد أسعار العديد من المواد خاصة تلك المحتكرة من قبل السلطة، كمادة الزيت والصابون وهو ما ورد في مخطوط قانون الاسواق "....أمر الكاهية أنه إذا كان سعر قلة الزيت أربع ريالات إلا ثمنا يحدد سعر رطل الصابون ب32 درهما..."[3].

إضافة إلى دورها في مراقبة الأسواق والدكاكين، ذكر وليام شالر أن دورها أيضا مراقبة الحمامات التي عرفت إنتشارا في مختلف المدن مقدما مدينة الجزائر نموذجا، ويذكر في مقام آخر أن الإستقرار الذي عرفه المجتمع الحضري في الجزائر لعبت فيه الشرطة دورا كبيرا أدى إلى إنتعاش النشاط الحرفي والتجارة داخل الأسواق والدكاكين مما جعل السكان يحققون الرخاء والرفاهية، كما حقق عدد كبير من الحرفيين ثروة معتبرة لسنوات متتالية[4].

**- المحتسب:**

ارتبطت مهام المحتسب بالحسبة وهي في الأصل وظيفة دينية من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعرف أبو الحسن علي بن محمد الماردي الحسبة بقوله: "...الحسبة هي الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله..."، أما ابن عبدون فتحدث عن الحسبة وعرفها في قوله: "... الإحتساب أخو القضاء، فلذلك يجب أن يكون إلا من أمثال الناس وهو لسان القاضي وحاجبه وخليفته ووزيره، وإن اعتذر القاضي فهو يحكم مكانه فيما يليق به وبخطته".

---

(1)- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، المصدر السابق، ص126.
(2)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص65.
(3)-المصدر السابق، ص89.
(4)- وليام شالر، المصدر السابق، ص ص77-78.

من خلال ما ذكره إبن عبدون يمكن القول أن المحتسب يعد بمثابة القاضي، ويستمد سلطته من مصلحة الدين[1]، لذلك يمكن القول أن المحتسب هو موظف يتولى أمور السوق من خلال الحرص على تطبيق القوانين وتنفيذ الإجراءات بها، عرف لدى سكان الجزائر خلال المرحلة العثمانية بوكيل السوق، وكان دوره يشمل مراقبة كل ما يباع ويشترى من مأكول ومشروب وملبوس ومصنوع داخل الأسواق والدكاكين[2].

كما يقوم المحتسب بتحديد أسعار مختلف المنتوجات المعروضة في الأسواق، بمراقبة جودتها ومدى مطابقتها لما هو متفق عليه بالنسبة للسعر، الميزان والجودة، وإذا أخل الحرفي بذلك فأنه يتعرض للعقاب من طرفه، وهو ما يستخلص فيما ورد في مخطوط قانون الاسواق حول دوره في تحديد أجرة الخلالين[3]، والحمالين في الأسواق[4]، كما كان له دورا في تحديد قيمة رسوم السلع الواردة من خارج البلاد وتثبيت سعر مختلف المواد بالأسواق[5]، وتميزت العلاقة بين المحتسب و العديد من الحرفيين بالتضامن فيما بينهم وهو ماأكدته إحدى وثائق بيت المال، إذ كان المحتسب يقرضهم مبالغا مالية "...أشهد على نفسه السيد محمد بن محمد الفخار على أنه قبض من المكرم السيد أحمد المحتسب ما قدره 100ريال..[6]"

ولتنفيذ مهامه إستعان المحتسب بمجموعة من الموظفين أهمهم القاضي، وأمين الامناء وهذا مانستخلصه فيما ورد في مخطوط قانون الأسواق فيما يتعلق بمستوجبات إصلاح الشوارع، وتحديد تكلفة العديد من المنتوجات...الخ

أما عن أجرة المحتسب فلم تكن محددة بمبلغ معين، وإنما كان يتقاضى عن بعض البضائع الواردة فمثلا يتقاضى نصف ريال عن برميل السردين، نصف ريال عن صندوق التفاح خمس قطع ذهبية عن صندوق السكر[7]، لكن صلاحيات المحتسب عرفت تقلصا في أواخر مرحلة الدايات نتيجة لتعاظم مهام شيخ البلد وهو ما تثبته مختلف التقارير الفرنسية التي كتبت في

(1)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص ص69-70.
(2)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص44.
(3)- الخلالين هم عمال النظافة يكلفون بحمل النفايات والأوساخ. ،أنظر عبد اللله بن محمد الشويهد ،المصدر السابق ،ص44
(4)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق ص44.
(5)-المصدر السابق، ص51.
(6)الأرشيف الوطني الجزائري . بيت المال ،العلبة 36 ،سجل375 ،السنة1171هـ ،1757م .
(7)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص51.

السنوات الأولى للإحتلال، إضافة الى مشاركته في مهامه القاضي وأمين أمناء الجماعات الحرفية، حيث اقتصر دوره على مراقبة بعض الحرف خاصة تلك المتعلقة بالتغذية كالقصابة والعمل في الأفران وصنع الخبز والحلويات(1).

- **شيخ البلد:**

ورد ذكر هذا المنصب في العديد من الكتابات الأجنبية والمحلية وعرف كذلك "بصاحب المدينة" ومن ذلك دفتر التشريفات(2)، ومذكرات القنصل وليام شالر الذي كتب عن هذا المنصب قائلا: ...إلى جانب الإدارة التركية... توجد حكومة محلية تشمل شيخ البلد أو الحاكم المدني الكاهية... وجميع الموظفين في هذه الإدارة من الأهالي..."(3).

كان شيخ البلد خاضعا لسلطة الداي مباشرة أي على إتصال مباشر بالسلطة وهو ما يستخلص فيما ذكره مخطوط قانون الأسواق "...شيوخ البلد حيث أرسل الينا الداي بابا أحمد..."(4)، من المهام التي يقوم بها شيخ البلد، الإشراف على الجماعات الحرفية ذلك من خلال تسلم مختلف الرسوم والضرائب من أمناء الجماعات الحرفية لوضعها في خزينة السلطة، كما يقوم في الكثير من الحالات بتحديد قيمتها بالتشاور مع الداي وأمناء الحرف مثل الاجتماع الذي عقد سنة 1696م يتم فيه الإتفاق حول تحديد قيمة الرسوم التي يدفعها العديد من الصناع(5)، إضافة الى الاشراف على كراء الدكاكين والحوانيت الموجودة في مختلف الشوارع والأسواق داخل المدن للحرفيين والتجار، والإشراف على الموظفين القائمين على الحراسة والمراقبة، والذين يكونون في الغالب من الجنود اللذين أنهوا خدمتهم العسكرية(6).

كما كان شيخ البلد يفصل في قضايا الحرفيين من نزاعات كالنزاع الذي حصل بين جماعة الصفارين والقزادرية سنة 1753م(7) حول طريقة تقسيم العمل بين الجماعتين لأن الحرفتين

---

(1)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص71.

(2)- Devoulx tchrift,Op .cit ,p19

(3)- وليام شالر، المصدر السابق، ص77.

(4)- عبد الله محمد الشويهد، المصدر السابق، ص93.

(5)-المصدر السابق، ص93.

(6) عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص121.

(7)- الصفارون أو النحاسون وهم صانعوا الاواني والأدوات النحاسية اما القزادرية هم صانعوا المواد والاواني من مادة القصدير، ينظر، عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص84.

مكملتين لبعضهما، وكذلك حول كراء المحل الكائن بباب الجزيرة، إذ رفعت الجماعتين أمرهما الى السيد أحمد شيخ المدينة، الذي عقد جلسة صلح بحضور أمناء الحرف وتم فض النزاع بين الجماعتين[1].

كما يقوم كذلك بالفصل في القضايا العالقة بين السلطة والحرفيين، خاصة اولئك المتوفين وفي ذمتهم ضرائب إتجاه السلطة، إذ قام شيخ البلد بمعية أمين جماعة البساكرة ببيع جلسة الحانوت الذي تركه بعد وفاته لتصفية الديون التي في ذمته[2]، ومن إختصاصه أيضا الحرص على تحقيق النظافة والأمن داخل الأسواق والشوارع لماله من أهمية على الحرفيين والزبائن الذين يقصدون الأسواق لإقتناء مختلف المنتوجات[3].

كما حرص على مراقبة مدى مطابقة مواصفات المنتوجات الحرفية للجودة والنوعية المتفق عليها داخل الجماعة الواحدة، فعلى سبيل المثال اتفاق شيخ البلد مع أمين الشواشي سنة 1698م على منع إستخدام الصوف المحلية في صنع الشواشي، وإن أُستخدمت من قبل الحرفيين فإنهم يتعرضون للعقاب من خلال منعهم من ممارستهم لهذه الحرفة[4].

ونظرا لتعدد مهام الشيخ البلد أوجدت له السلطة هيئة من الموظفين المساعدين له "كالشواش" وأمناء الجماعات الحرفية[5]، وهو ما أكده حمدان خوجة فقد ذكر بأنه وجد بمدينة الجزائر "مجلس بلدي" يساعد شيخ البلد ومن إختصاصاته المحافظة على الأمن والنظافة والعمل على توفير كل ما من شأنه خدمة المدينة.

إضافة إلى دوره في جمع الضرائب التي تدفع على الحوانيت، ففي مدينة الجزائر مثلا كان كل حانوت يدفع حوالي ستة سوردي شهريا[6]، ويذكر كذلك أن قيمة هذه الضرائب كانت تتناسب مع الثروة التي يمتلكها الحرفيين وتتماشى مع القانون الذي وضعته السلطة

(1)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص84.
(2)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص63.
(3)- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، المصدر السابق، ص109.
(4)- محمد الشويهد، المصدر السابق، ص103.
(5)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص64.
(6)- السوردي او الصوردي هو جزء من الاجزاء العشرين التي تكون الفرنك الفرنسي انظر حمدان بن عثمان خوجة،المرآة، ص109.

خلال تلك المرحلة[1]، وحتى يكون شيخ البلد على دراية بكل ما يجري في عالم الأسواق تم إختيار مقرا له بالقرب من أهل الصنائع والحرف فكان له مكتب خاص عبارة عن حانوت بإحدى الاسواق وحتى يبقى باتصال دائم مع السلطة وجد مقر سكناه على مقربة من دار الإمارة[2] في مدينة الجزائر[3].

إلى جانب هؤلاء الموظفين الأساسيين اللذين وضعتهم السلطة لتسيير مختلف المؤسسات الحرفية عينت السلطة مجموعة من الموظفين المساعدين وذلك من أجل السهر على السير الحسن للمؤسسات الحرفية كنظافة الأسواق والشوارع والتي خضعت إلى تنظيم محكم ودقيق للغاية، فكانت تحت الإشراف المباشر لقايد الزبل الذي يساعده عدد من الموظفين مكلفين بمهمة تنظيف الشوارع والأسواق بواسطة النواب كل صباح إذ يحملون معهم الأوساخ إلى خارج المدينة[4].

كما وضعت السلطة للحرفيين والتجار في الاسواق والدكاكين نظام يتميز بالصرامة، ذلك من خلال الإلتزام بضوابط وقواعد معينة، منها إلزام القاضي السكان والحرفيين بدفع مبلغا من المال كأجر يُدفع لعمال النظافة المكلفين بحمل النفايات داخل الشوارع والأسواق، وهو ماورد في مخطوط قانون الاسواق بخصوص أجرة عمال النظافة "...حددت الخلايين كما يلي: ...الدار تخلص الحومة الدار، والعلي نصف الدار والحمام والفرن بحقه، وإذا يفرد الدرهم حق الخلايين يخلصهم ويأخذ المخلص حقه..."[5].

كما حرص العديد من الحكام على تزويد المدن بالماء[6] عن طريق نظام القنوات الموصلة الموصلة للمياه إلى المدن لما لتوفير الماء من أهمية بالنسبة للنشاط الحرفي خاصة تلك التي

(1)- حمدان بن عثمان خوجة،المرآة، المصدر السابق، ص109.

(2)- دار الامارة: موجودة بمدينة الجزائر ويقصد به قصر الداي المعروف بالجينية والذي تشرف بناياته على شارع باب عزوز، قرب ساحة الفوارة ومسجد السيدة وبين المال والقيصرية وهي في الواقع مجموعة نيابات متصلة ببعضها يقيم بها الداي وحاشيته وبعض الموظفين الكبار، كما يوجد بها ايضا ديوان الاوجاق، للمزيد انظر، عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص63.

(3)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص64.

(4)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص73.

(5)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص ص44-45.

(6)- أولى الحكام عناية خاصة بتوفير المياه منذ بداية ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية، إذ أنشأ حسن خير الدين قناة بلغ طولها 3800م، توصل المياه الى مدينة الجزائر،حيث اصبحت تمون عدة مرافق وثكنات وحتى قصر الجينية انظر عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص74.

تعد المياه أساسا لقيامها كدباغة الجلود، والحدادة، حياكة الصوف....الخ[1] ومن أمثلة ذلك ما قام به الداي محمد بن عثمان باشا لما قام ببناء قناة الحامة وهو ما ذكره أحمد الشريف الزهار في مذكراته: "ومن خيراته انه أتى بماء الحامة للبلاد الى المدينة، وبنى له ساقية وأوقف عليه أوقافا لخدمة مجرى الماء إن فسد ولأجرة وكيل الماء، وأمر بتفريقه على أبراج باب الجهاد وعلى المساجد والثكنات العسكرية... وما بقي فرقة على العيون بزقاق البلاد،ليملأ الناس فيه للديار..."[2].

فعلى سبيل المثال مدينة الجزائر لوحدها توفرت على عدد كبير من العيون والذي تجاوز المائة، كما توفرت المنازل على العديد من الأحواض، كما أشرفت السلطة على القنوات والعيون، إذ أحدثت مصلحة خاصة للمياه يقوم عليها موظف يدعى "قائد العين" وموظف آخر يدعى "ناظر الماء"، كما عينت السلطة موظفا أطلق عليه تسمية أمين العيون دوره الأساسي الإشراف على قادة العيون، وهو ما توضحه الوثيقة الواردة في بيت المال "... بيان ما يخرج به أمين العيون ..."، الأرشيف الوطني الجزائري، بيت المال، العلبة 12، السجل 68، االسنة1100هـ،1689 م، كما أوقفت لصالحهما أوقافا عديدة اسهمت في تسييرها والمحافظة عليها[3].

وسعيا لتوفيرالأمن داخل لأسواق قامت السلطة بفرض نظام آمن خاص، من خلال تحديد مسؤوليته على الحرفيين و إشراكهم في الحراسة الليلية للأسواق وتكليفهم بدفع مبلغ مالي إلزامي إختلف من جماعة إلى أخرى، روعي فيه حجم الجماعة الحرفية وأهميتها وقيمة مدخولها المالي[4]، وتعبر جماعة البسكريون أهم جماعة أوكلت لها السلطة مهمة حراسة الأسواق وذلك لما حظوا به من ثقة من قبل السلطة[5].

فكان أمين البساكرة يقوم كل مساء بتوزيع أفراد جماعته في مختلف الأحياء التجارية وعند

---

(1)- عائشة غطاس،الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص75.
(2) أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص24.
(3)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص75.
(4)-المرجع السابق، ص184-185.
(5)- وليام شالر، المصدر السابق، ص110.

أبواب المدينة، كما تُسلم لهم المفاتيح وغالبا ما تبدأ الحراسة[1] للأحياء التجارية عند الغروب أي بعد غلق الحرفيين والتجار لدكاكينهم، وإذا تعرضت للنهب فإنهم يتحملون مسؤولية ذلك من خلال تعويض قيمة ما نهب وتسليط عقاب شديد عليهم[2].

لذلك يمكن القول أن المؤسسات الحرفية خلال مرحلة الدايات تحصنت بعناية خاصة من قبل السلطة، وهو ما نلمسه من خلال الدور الذي لعبه الموظفون الذين وضعتهم السلطة والصلاحيات التي أوكلت لهم لتسيير كل ما يتعلق بتحقيق النظام داخل المؤسسات الحرفية سواء في مجال مراقبة جودة ونوعية البضائع المعروضة ومراقبة الأسعار ومدى مطابقتها لما تم الإتفاق عليه بين كل جماعة حرفية والسلطة، إضافة إلى السهر على توفير الأمن للحرفيين والزبائن.

كما عملت على مراقبة الخدمات العمومية وكل ما يتصل بها من نظافة وتوفير المياه، وكان هؤلاء الموظفين المعينين من قبل السلطة يتحصلون على رواتب كمقابل للمهام التي يقومون بها وهو ما يؤكده إحدى وثائق ابيت المال التي ذكرت بعض الموظفين "...المعلم أحمد أمين البنائين ريال ونصف، وكيل الحرج، الخوجة...الكاتب إضافة إلى المعلم يحصلون على 37ريال ..." [3]، على العكس ما ذكرته بعض المصادر الأجنبية التي أكدت أنها كانت تفتقد إلى النظام الذي كان موجودا في العديد من الدول الأخرى في أوروبا.

فالتنظيم الذي نلمسه داخل المؤسسات الحرفية خلال هذه المرحلة ساهم في منع المنافسة غير الشريفة ضمن كل جماعة حرفية، وتوثيق التضامن والتكافل داخل الجماعة الواحدة وما بين الجماعات الحرفية مما زاد من قوة وتنظيم النشاط الحرفي.

---

(1)- كان أصحاب المحللات التجارية في المدن هم من يتولون دفع المبلغ المالي المخصص للحراسة، إذ يدفعون مبلغ شهريا، واختلفت مساهمة الحرفيين من سوق لآخر ومن نشاط لآخر، وهذا المبلغ يدفع عرفه "بغرامة العسة أو اجرة العسة"، للمزيد ينظر عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص216.

(2)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص217.

(3)- الأرشيف الوطني الجزائري بيت المال، العلبة12، السجل 68، السنة1119هـ ، 1673م

**ثانيا: إنعكاسات الأوبئة والكوارث الطبيعية على النشاط الحرفي:**

لعل أهم ما ميز مرحلة الدايات إنتشارالعديد من الأمراض والأوبئة والكوارث الطبيعية التي أثرت سلبا على الوضع الإجتماعي والإقتصادي بما فيه النشاط الحرفي الذي كان منتشرا في مختلف أنحاء الإيالة، ويمكن إرجاع السبب الرئيسي إلى إنتشار الأمراض والأوبئة إنتقال العدوى من الأقطار المجاورة بسبب صلة الجزائر ببلدان البحر الأبيض المتوسط وإنفتاحها على أقاليم السودان، وإرتباطها بالمشرق الإسلامي. لذلك سوف نحاول أن نتعرف على أهم الأمراض والأوبئة والكوارث الطبيعية وتأثيرها على النشاط الحرفي والتي نذكر منها:

**1- الأمراض والأوبئة:**

عانى سكان الجزائر خلال هذه المرحلة من عدة أمراض وأوبئة من أخطرها الحمى المترددة والمتواترة، وحمى الربيع المعروفة بالحمى الصفراء، وحمى الصيف والتي كانت تتسبب في عدد كبير من الوفيات(1)، ومن هذه الأمراض نذكر:

**- وباء الطاعون:**

يعتبر وباء الطاعون من أخطر الأمراض التي أصابت الجزائر، وتجمع معظم المصادر من كتابات الرحالة الأوروبيين و المحليين على أنه كان يتربص السكان بإستمرار وتكرر في شكل حلقات متكررة، ويعود ذلك إلى عدة أسباب يمكن إيجازها في مايلي:

- تأثير المناخ: بالرغم من أن العديد من الكتابات أكدت على أن مناخ الجزائر صحي وملائم وهو مانجده في التقارير الفرنسية التي كانت تعد حول مناخ مدينة الجزائر في السنوات الأولى من بداية الإحتلال الفرنسي للجزائر، والتي أكدت أن مناخ الجزائر معتدلا مثل العديد من دول أوروبا ففي فصل الشتاء لا تتعدى درجة الحرارة 16° مئوية، بينما لاتتجاوز 26°

(1)- فلة موساوي القشاعي،الواقع الصحي والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الإحتلال الفرنسي1518م -1871م، منشورات بن سنان، الجزائر، ب،ت ، ص253.

مئوية في فصل الصيف[1].

كما أكدت العديد من المصادر ذلك إذ ذكر وليام شالر أن الجزائر تتمتع بجو صحي ومناخ معتدل ومريح ليس بشديد الحرارة في الصيف ولا بقارس البرد في الشتاء[2] ، في حين نجد أن حمدان خوجة وضح عكس ذلك وأعطى نموذجا حول سهل متيجة الذي يقول أنه يعتبر موطنا لعدة أمراض كالحمى التي تظهر في عدة أوقات وتصيب سكان المنطقة، ويرجع ذلك إلى توفر المنطقة على العديد من المستنقعات والمياه المتعفنة والمضرة[3].

- إنتقال الوباء عبر الطرق البرية من الحدود الشرقية والغربية عن طريق قوافل الحجاج التي تمر عبر العديد من المناطق كالإسكندرية، حيث تجلب معها الأوبئة[4]، وعبر الطرق البحرية كما ينتقل الوباء عن طريق سفن الحج التي تمر من العديد من الأقطار العربية كمصر، اضافة إلى سفن البحارة الآتية من الباب العالي إلى الجزائر وهو ماذكره الزهار في قوله: "...عندما بلغت المراكب المهداة من إسطنبول جاء معها الوباء الى الجزائر"[5].

- عدم الإهتمام بالعلوم الطبية والجهل بالقواعد الصحية والتي تعد من الأسباب الرئيسية لإنتشار الأوبئة في الجزائر كانوا شبه منعدمون، هو ما أشار إليه سيمون بفايفر في قوله أنه لم يكن يوجد طبيب ماهر بعد أن إنتهى الطب العربي[6]، وندرة الأطباء في الجزائر جعلت الأطباء الأوروبيون من الأسرى يحظون بمكانة مهمة في المجتمع الجزائري وهو مايظهر في علاقاتهم الوطيدة برجال السلطة، هذا ما نلمحه في قول سيمون بفايفر: "...وتحولت من طباخ وشاب مضطهد متعرض للمعاملة السيئة من طرف الطهاة ويقية الأتراك إلى طبيب خاص للخزناجي أفندي...[7].

أهم الفترات التي عرفت فيها الإيالة إجتياح وباء الطاعون نذكر:

---

(1)- خير الدين سعيدي، المجاعات والاوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني (1700م-1830م) رسالة دكتوراه، جامعة قالمة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2019، ص ص64-65.

(2)- وليام شالر، المصدر السابق، ص28.

(3)- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، المرجع السابق، ص85-86.

(4)- لوسيت فالنسي، المصدر السابق، ص28.

(5)- أحمد الشريف الزهار،المصدر السابق، ص

(6)- سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص31.

(7)-المصدر السابق، ص33.

- **وباء 1740م:** يعد من أخطر الأوبئة التي أصابت الجزائر دام ثلاث سنوات متعاقبة كان يقتل يوميا في بدايته حوالي ثلاثمئة او أربعمائة نسمة لكن تناقصت بعد ذلك عدد الوفيات ليصل ما بين أربعين الى خمسين شخص الى أن اختفى نهائيا[1].

- **وباء 1784م:** إجتاح في البداية مدينة الجزائر، ثم إنتقل الى العديد من مدن الغرب ليصل إلى غاية تلمسان سنة 1790م، تحدث لوسيت فالنسي على هذا الوباء من خلال تقديمه إحصائيات حول عدد الوفيات، إذ يذكر أن حوالي ثلث سكان الجزائر لقوا حتفهم، ويُرجع ذلك إلى طول الفترة الزمنية التي تعدّت الست سنوات، كما يبين تأثير الوباء على العديد من الأنشطة الحرفية مركزا على حرفة حياكة الصوف وصنع الألبسة التي تناقص فيها عدد الحاكة بشكل كبير نتيجة الوباء إذ "...لم يبق منها إلا معلم واحد سنة 1786م من مدينة الجزائر، هذا ما أدى إلى ارتفاع كمية الصوف المصدرة لشركة إفريقيا نتيجة لتناقص الحائكون العرب إذ لم يستطيعوا معالجة الصوف...".

- **وباء 1793م:** وصل إلى الجزائر من الحدود الشرقية عن طريق الجيش البري الجزائري، تضررت منه المناطق الشرقية بصفة كبيرة لكن تحررت منه البلاد سنة1799م.

- **وباء 1817م:** إنتقل من الحدود الشرقية والغربية عن طريق قوافل الحجاج وإستمر إلى غاية 1823م، بيّن لوسيت فالنسي حجم الضرر الذي ألحقه بالمدن الشرقية وأعطى مثالا حول مدينة عنابة التي عرفت إرتفاعا في عدد الوفيات في قوله "... يدرك المرء بألم الخراب الذي أحدثه الطاعون فيها، إذ نظر إلى ثلثي بيوت المدينة مغلقة...."[2].

وكانت هذه الأوبئة تنتشر بشكل أوسع في الأماكن التي ترتفع فيها الكثافة السكانية كالسجون و الثكنات العسكرية والأحياء الشعبية[3].

### 2 - الكوارث الطبيعية:

بالإضافة إلى الأمراض والأوبئة شهدت البلاد العديد من الكوارث الطبيعية التي أثرت

(1)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص61.
(2)- لوسيت فالنسي، المصدر السابق، ص28-29.
(3)- أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعاليته...، المرجع السابق، ص419-420.

بدورها سلبا على النشاط الحرفي، ونذكر منها:

- **إجتياح الجراد:** عرفت هذه الظاهرة إنتشارا واسعا في الجزائر خلال هذه المرحلة لكن وجدنا أن العديد من الكتابات تغافلت عن ذكرها، والبعض الأخر إكتفت بوصفها رغم أنها كانت مخلفة خسائر كبيرة على مختلف أنواع المحاصيل الزراعية، وقد أخبرنا الدكتور شاو show عن هذه الظاهرة قائلا: "... إنها أكثر بكثير من جندب مرقطة باللون الأسمر في جناحيها، مع أرجل وأجسام صفراء نيرة وكان ظهورها الأول في نهاية شهر مارس ... وتبدوا وكأنها تعاقب السحب وتحجب الشمس... تأكل كل نبتة تجدها في طريقها..." فمن قوله نستخلص حجم الضرر الذي يلحقه إجتياح الجراد بالإنتاج الزراعي، خاصة وأن هذه الظاهرة كانت تعرفها الإيالة في الفترة التي تنضج فيها مختلف المحاصيل الزراعية هذا ما جعلها مرتبطة بإنتشار المجاعات في الكثير من السنوات(1).

كما علق أحمد الشريف الزهار على هذه الظاهرة التي عرفتها العديد من مناطق البلاد خاصة مدينة الجزائر، التي تضررت منها بصفة كبيرة سنة 1814م أثناء ولادة عمر باشا(2) قائلا: "...حيث حط الجراد على الارض وأكل الزرع والأشجار والثمار مما أدى إلى غلاء مختلف المحاصيل الزراعية.."(3).

- **الجفاف:** تعرضت الجزائر الى ظاهرة الجفاف في العديد من السنوات خاصة في أواخر مرحلة الدايات وتتمثل هذه الظاهرة في تذبذب تساقط الأمطار مما يؤدي إلى قلة الإنتاج الزراعي.

ورغم حدوث هذه الظاهرة في الكثير من السنوات إلا أنه وجدنا بأن العديد من كتابات الأسرى والرحالة أكدت عكس ذلك، إذ ذكرت أن الجزائر كانت تتوفر على كميات معتبرة من مياه الوديان التي يمكن أن تساهم في تعويض نقص التساقط، ويظهر ذلك جليا من خلال وصف وليام شالر لنهر الشلف الذي يعتبر من أكبر أنهار الإيالة والذي يمر بالعديد من

---

(1)- جيمس ويلسن ستيفانس، الأسرى المريكان...، المرجع السابق، ص148.
(2)- عمر باشا ، تولى الحكم سنة 1814 م بعد محمد باشا عرفت فتت حكمه اجتياح الجراد التي ادت إلى إتلاف المحاصيل الزراعية وبالتالي غلاء أسعار المواد الغذائية خاصة القمح والخبز واجه هذه الأزمة باعطاء اوامر لجميع الخبازين بخفض اسعاره مثل ايام الرخاء، انظر مذكرات الشريف الزهار، ص117.
(3)- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص117.

مناطق الجزائر وهو قابل للملاحة في العديد من المناطق كما يعرف إرتفاعا في منسوب مياهه خلال فصل الشتاء وبقربه مساحة كبيرة من الأراضي الزراعية، بالإضافة إلى الأنهار توجد العديد من الينابيع المائية مما يبين لنا وفرة المياه[1].

كما نجد أن حسين محمد الورتلاني يعطي وصفا مميزا للعديد من المناطق التي مر بها أثناء رحلته إلى الحج في الربع الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي في حديثه عن مدينة زمورة إذ يقول: "....وزمورة كثيرة المياه وأرضها ذات زرع وذرع بلا اشتباه..."[2]، وعانت البلاد من الجفاف في العديد من السنوات نذكر منها:

- **جفاف 1705م:** أصاب العديد من مناطق الجزائر هذا أدى الى قلة المحاصيل الزراعية وغلاء أسعار الحبوب وظهور المجاعة التي نتج عنها الكثير من الوفيات يذكر لوسيت فالنسي أن مدينة قسنطينة تضررت بنسبة كبيرة مقارنة بمناطق أخرى من البلاد[3].

- **جفاف 1796م:** تعرضت له المناطق الغربية خاصة مدينة وهران التي تضررت منه كثيرا في عهد الباي "محمد بن عثمان"( 1779- 1796م)، الذي إتخذ العديد من الإجراءات للتقليل من حجم الضرر الذي لحق بالسكان كشراء كل الحبوب المتوفرة في البايلك وطرحها في الأسواق وذلك لمنع ارتفاع أسعارها[4].

- **جفاف 1804م:** أصاب الجزائر وألحق ضرارا كبيرا، بين أحمد الشريف الزهار في مذكراته حجم الضرر الذي ألحقه بالسكان في وصفه مدينة الجزائر "... وقع الغلاء في القمح مدة ستة سنوات وأعطى الله القحط وهو الجوع في الناس حتى صارت قيمة الصاع (34 كيلوغرام) أربع بجة (الريال بجة يزن 10غ من فضة)، والناس يموتون جوعا في الأسواق قالوا أن الرجل كان يأكل مقدار ما يأكل الرجلان ولا يشبع وبعد الأكل يموت ويقول: جعت

(1)- وليام شالر،المصدر السابق، ص31.
(2)- الحسين بن محمد الورتلاني، نزهة الأنظار في علم التاريخ والاخبار،تحقيق محفوظ بوكراع وعمار بسطة،المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، المجلد الأول، ص189.
(3) لوسيت فالنسي، المصدر السابق، ص32.
(4)- أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعاليته...، المرجع السابق، ص433.

أعاذنا الله من هذا الداء لأنه ليس له دواء....وترادفت السنين بذلك...."[1].

- **جفاف 1816م:** أصاب مدينة الجزائر وكل المناطق المجاورة لها، مما تسبب في إتلاف المحاصيل الزراعية وغلاء الأسعار[2].

ظهور الجفاف تسبب في حدوث العديد من المجاعات كمجاعة 1780م، مجاعة 1758م، مجاعة 1778م، والذي تسبب في وفاة العديد السكان خاصة في المدن الكبرى الإيالة كوهران، الجزائر، قسنطينة[3].

**ـ الزلازل:** تعرضت الجزائر خلال هذه المرحلة إلى العديد من الهزات الأرضية التي تسببت في تخريب الكثير من المدن والخسائر في الأرواح، يرجع الدكتور شو show سبب ظهور هذه الهزات في الجزائر إلى وجود كميات كبيرة من الكبريت ونترات البوتاسيوم ومواد أخرى سريعة الإلتهاب في باطن الأرض[4]، من أخطر الزلازل التي ضربت الجزائر في هذه المرحلة نذكر:

- **زلزال1716م:** ضرب مدينة الجزائر في شهر فيفري من سنة 1716م وتشير الإحصائيات أنه تسبب في وفاة عشرين ألف نسمة، كما تعرضت المدينة إلى زلزال آخر سنة 1723م وسنة 1724م[5].
- **زلزال 1755م:** ضرب مدينة الجزائر والمناطق القريبة منها، ذكر أحمد الشريف الزهار أن هذا الزلزال صاحبته هزات أخرى، إستمرت حوالي شهرين من نوفمبر إلى ديسمبر من نفس السنة وتسبب في الكثير من الوفيات[6].
- **زلزال 1825م:** ضرب مدينتي البليدة والجزائر، ذكر وليام شالر أنه نجم عنه تدمير مدينة البليدة، كما أخبرنا أن خسائره البشرية كبيرة جدا إذ توفي حوالي عشرة آلاف

---

(1)- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص31.
(2)- آغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائروإسبانيا وفرنسا في أواخر القرن 19م، تح: يحيى بوعزيز، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر1990، ص340.
(3)- ناصر الدين سعيدوني، الأحوال الصحية...، المرجع السابق، ص150.
(4)- جيمس ويلسن ستيفانس، الأسر الأمريكان في الجزائر...، المرجع السابق، ص150.
(5)- عائشة غطاس، الحرف والحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص67.
(6)- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص18.

نسمة خاصة وأن مدينة البليدة عرفت قبل حدوثه هجرة كبيرة لسكان مدينة الجزائر إليها وذلك لقربها منها والموقع الممتاز الذي تتمتع به هذه المدينة وخضوبة أراضيها[1].

إن إقدامنا على ذكر الكوارث الطبيعية والأوبئة التي عرفتها الجزائر خلال مرحلة الدايات هو معرفة تأثيرها السلبي على النشاط الحرفي والذي يظهر في عدة أوجه أهمها:

ـ التأثير على الوضع الديمغرافي وذلك من خلال تناقص في عدد السكان وبالتالي تناقص في عدد الحرفيين، وهو ما أكد عليه لوسيت فالنسي في تقديمه نموذجا حول الحرفيين المختصين في حياكة الصوف وصنع الألبسة، إذ عرفت الجزائر في أواخر مرحلة الدايات تناقصًا في عدد الحاكة بشكل كبير لتعرضهم للوفاة بسبب الوباء[2].

وفي هذا الصدد ذكرت عائشة غطاس تناقص عدد الحرارين في أواخر مرحلة الدايات خاصة في فترة 1817م-1826م، ذلك نتيجة لعدة مشاكل والتي كانت سببا في وفاة العديد من الحرفيين منها الأوبئة التي عرفتها البلاد خلال هذه المرحلة[3].

ـ نقص المواد الأولية إذ ساهمت هذه الأوبئة والكوارث الطبيعية في نقص المواد الأولية التي تستخدم في مختلف الحرف سواء كانت موادا ذات مصدر حيواني أو نباتي، بإعتبار أن أغلب هذه المواد كان مصدره الريف والذي كان يتأثر بشكل كبير .

ـ غلاء أسعار العديد من المنتوجات الحرفية، إذ كانت تصاحب هذه الكوارث نقصا كبيرا في الإنتاج، في هذا الصدد ذكر لوسيت فالنسي حول الجفاف والجرادالذي عرفته الجزائر سنة 1705م، أدى إلى قلة الإنتاج وبالتالي إرتفاع في الأسعار[4].

لذلك سوف نحاول أيضا أن نسلط الضوء على طريقة تعامل السلطة مع هذه الأوبئة والكوارث الطبيعة للتخفيف من حدة آثارها السلبية على النشاط الحرفي.

---

(1)- وليام شالر، المصدر السابق، ص 36، للمزيد ينظر مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، ص155.

(2)- لوسيت فالنسي، المصدر السابق، ص28-29.

(3)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص229.

(4)-لوسيت فالنسي، المصدر السابق ,ص32

**طريقة تعامل السلطة مع الأوبئة والكوارث الطبيعية:**

بعد إطلاعنا على العديد من الكتابات التاريخية وجدنا أنه لم تكن هناك سياسة واضحة من قبل السلطة الحاكمة لمواجهة هذه الأوبئة والكوارث للتخفيف من حدّتها، خاصة في ظل عدم إهتمام سكان البلاد بالطب، إذ نادرا ماذكرت كتابات الرحالة والأسرى وجود أطباء في الجزائر، وهذا ما يتضح جليا فيما كتبه سيمون بفايفر يشتكي لسيده فقدانه لكتب الطب التي كانت متوفرة في وطنه ويطلب منه احضار كتب وآلات الجراحة إلى الجزائر[1].

فالإيمان بالقضاء والقدر كان مسيطرا على العقول بصفة عامة ففي هذه المرحلة لم يكن سكان الإيالة يعرفون عن الطب إلا قليلا وهو مايستخلص من قول بفايفر: "...أما بالمحنة الكبرى فتأتي ممن يسمون بالأطباء (وهم الطبيب أو الحكيم أو الجراح) ذلك بأنهم يعذبون الناس بالسموم والنيران تعذيبا حقيقيا ولايفلت من عذابهم أي إنسان يقع بين أيديهم..."، كما ذكر أيضا أن الطب في الجزائر إقتصر على بعض الأعشاب والنباتات التي تستعمل في العلاج[2]، في حين كان رجال السلطة يلجأون إلى الأطباء الأجانب أثناء تعرضهم للأمراض بل وحتى أصبح هؤلاء الأطباء يحضون بمكانة مهمة لديهم ويحضون بالعديد من الإمتيازات[3].

كما إستخدم المسيحيين الموجودين في الجزائر العديد من الطرق للعلاج فمثلا لعلاج الحمى التي كانت تصيب الجدافون، كان قائد السفينة يجبرهم على التجديف ويقوم بإطعامهم الخبز المجفف والماء واللحم المملح، مما يساعدهم على التعرق، ويعجل بشفائهم من هذا المرض[4].

يضاف إلى ذلك عدم إتخاذ السلطة للإجراءات الوقائية التي تمنع وصول الأوبئة الى أراضي الجزائر، ففي سنة 1817م سمحت السلطة لعدد من السفن القادمة من إسطنبول وإزمير بالرسو في ميناء الجزائر في الوقت الذي عرفت فيه هذه الفترة ظهور هذا الوباء في

(1)- سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص34.
(2)- المصدر السابق، ص170.
(3)- نفسه ، ص172.
(4)-A Berbrugger, Charte des Hopitaux chrétiens en 1694, R.A , n°8, Alger, 1864, p133.

هذه المناطق[1] إذ قلما نجد السلطة في الجزائر تعمل على إتخاذ الإجراءات الوقائية على عكس ماكانت تقوم به العديد من الدول الأوروبية كفرنسا التي نجد فيها وزير الداخلية يوجه رسالة إلى المسؤولين عن الموانئ الفرنسية أثناء حدوث الكوليرا، يقول فيها أن الكوليرا لن تحقق شيئا إذا وجدت من يتصدى لها قبل وقوعها ويقول أيضا: "... من يرد السلام الصحي عليه أن يعد العدة لمواجهة الشر(الأوبئة) وذلك باحتجازه والتحذير منه..."[2].

وإختزل أبو القاسم سعد الله موقف السلطة من الأوبئة في قوله نجد تقصيرا كبيرا، يعود ذلك إلى عدم وجود سياسة وضحة لمواجهة هذه الأوبئة[3]، ففي الكثير من الأحيان كان الحكام يفرون مع عائلاتهم إلى المناطق البعيدة عن السكان ولا يرجعون إلا بعد إختفاء الوباء، ومن أمثلة ذلك باي وهران "عثمان باي" الذي فر سنة 1794م إلى سهل ملاتة بعد تعرض وهران للوباء[4].

كما صور حمدان خوجة في كتابه إتحاف المنصفين والآداب بالإحتراس عن الوباء، ماكان يعمل به الدول الأوروبية للتصدي للوباء، وهو ما لم يكن معمولا به في الجزائر، ولا في الدول الإسلامية التي زارها في قوله: "...حيث إلتزموا بدفع الوباء عنهم ماجربوه من الإحتماء والإحتراز في عدم إدخال الداخل اليهم إلا بعد تحقق البراءة أو الإستبراء، وجعلوا لذلك حكاما في اماكن حصينة مع غاية الإحتياط وسمو ذلك كرنطينة[5]..."[6]، كما أن العديد من الحكام لو يولوا إهتماما بشؤون الرعية أثناء حدوث المجاعات مثلما حصل مع الباي عبد الله سنة 1804م، لما مست المجاعة قسنطينة فلم يقم هذا الأخير بأي إجراءات لخفض أسعار الحبوب وهو ما ذكره محمد الصالح إبن العنتري "...ولم يبلغ عنه أنه فتح مخازن البايلك مثلا وتصدق منها على الضعفاء بشيئ من الحبوب أو عاملهم بسلف من مال الخزينة على ما

---

(1)- أرزقي شويتام،المجتمع الجزائري وفعالياته... ، المرجع السابق، ص422.

(2)- سعيدي خير الدين،المجاعات والأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني،1700-1830، رسالة دكتوراه، جامعة قالمة، 2019، ص83.

(3)- أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق ،ج2، ص431.

(3)- Jean Marchika , La peste en afrique septentriole : histoire de la peste en algerie de 1363 a 1830 ;julien carbonel , Alger ,1927, p1454.

(5)- كرنطينة في اللغة التركية من الكلمة الايطالية CARANTINA بمعنى أربعين إذا كان الوارد من الخارج الذين يشتبهون في مرضهم يحجزون في الحجز الصحي اربعين يوما حتى تثبت سلامتهم من الأمراض الوبائية، ينظر أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني، ص420.

(6)- حمدان بن عثمان خوجة، اتحاف المنصفين ...، المصدر السابق، ص79.

أصابهم..."[1].

صحيح أنه لم تكن هناك سياسة واضحة المعالم من قبل السلطة في الجزائر خلال تلك المرحلة لمواجهة هذه الكوارث والأمراض،إلا أن ذلك لم يمنع من اتخاهها لمجموعة من الإجراءات وبعض التدابير الصارمة في فترات الأوبئة كالحجر الصحي على القادمين إلى الجزائر والذين يُشك في مرضهم[2].

إضافة إلى إهتمام العديد من الشخصيات البارزة في المجتمع الجزائري، خلال تلك الفترة بالبحث عن طرق للوقاية من الأوبئة كحمدان خوجة الذي أبدى إهتماما بعلم الطب و كتب كتابه "إتحاف المنصفين والأداب في الإحتراس من الوباء"، الذي بين الطرق التي تؤدي إلى إنتشار الأوبئة ووسائل علاجها الوقاية منها[3]، كما لعبت الزوايا دورا كبيرا من خلال التكفل بالمرضى وتقديم الدعم لهم، كما كانت مكتباتها تتوفر على كتب الطب التي تحتوي على طرق علاج العديد من الأمراض[4].

كما قامت السلطة بالعديد من الإجراءات أثناء إنتشار المجاعات كمواجهة غلاء أسعار مختلف المواد كالقمح الذي يستخدمه الخبازون في مختلف مدن الإيالة، ذلك عن طريق مراقبة الأسعار والأوزان من خلال تشكيل هيئة إدارية مكونة من بعض أمناء الحرف والأعيان، المحتسب، القاضي والآغا الذي يمثل السلطة العسكرية، حيث تقوم هذه الهيئة بتحديد سعر أو وزن الخبز وتقوم بعرضه على الداي ليعدلها او يرفضها[5].

فعلى سبيل المثال لما تعرض بايلك الغرب لمجاعة سنة 1786 استورد الباي" محمد الكبير" كمية كبيرة من القمح من أوروبا ووزعه على الأسواق وأمر ببيعه بسعر أقل من

(1)- محمد الصالح ابن العنتري، مجاعات قسنطينة تحقيق وتقديم رابح بونار، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974، ص242.
(2)- القشاعي فلة، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الإحتلال الفرنسي(1518 -1871)، ص105.
(3)- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، المصدر السابق، ص13.
(4)- Lamarque Léance, Recherche historique sur la médecine dans la régence d’Alger imp Baconner, Alger, 1951, p50

(5)- أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعاليته...، مرجع السابق، ص429.

شراءه كما كان توزيع كمية كبيرة على الفقراء[1].

كما اتجهت السلطة نحو الليونة في جباية الضرائب من سكان الإيالة خاصة سكان الريف في فترات الكوارث الطبيعية، وهو ماذكره ناصر الدين سعيدوني إذ يقول أن السلطة كانت تمتنع عن جباية الضرائب أو تخفض من قيمتها كإجراء للتخفيف من وطأة هذه الكوارث[2].

(1)- بن عتو بلبروات، المرجع السابق، ص211.
(2)- ناصر الدين سعيدوني،النظام المالي الجزائري...، المرجع السابق، ص56.

**ثالثا: السلطة ودورها في الفصل في النزاعات بين الحرفيين والجماعات الحرفية**

لعبت السلطة دورا مهما في تنظيم النشاط الحرفي والجماعات الحرفية، خاصة فيما يتعلق في الفصل في النزاعات التي تحدث داخل الجماعة وبين الجماعات الحرفية، إلا أنه بعد إطلاعنا على العديد من المصادر التاريخية وجدنا نقصا في ذكر أهم الجهود التي قامت بها السلطة في الفصل في النزاعات، بإستثناء ما جاء في مخطوط قانون الأسواق الذي إستندنا عليه لإظهار دور السلطة في الفصل في النزاعات بين الحرفيين والجماعات الحرفية، ويبرر ذلك جليا في جلسات الفصل في النزاعات والصلح التي تعقد بواسطة من مجموعة من الموظفين المعنيين من قبل السلطة كأمناء الجماعات الحرفية وشيخ البلد، بحضور المحتسب والكاهية، ووكيل السوق.

أغلب هذه النزاعات كانت تحدث لعدة أسباب تتعلق بشروط ممارسة الحرفة ،مدى مطابقة المنتوجات للنوعية المتفق عليها داخل الجماعة الواحدة، المادة الاولية المستخدمة في الإنتاج الحرفي، مراقبة الأوزان والمكابيل والأسعار، التزام الحرفيين بشروط المنافسة الشريفة تفاديا لحصول النزاع داخل الجماعة الواحدة، ومراعاة شروط تموين الحرفيين بما يحتاجونه من مواد مختلفة، وهو ما نستخلصه فيما ورد في مخطوط "قانون الأسواق" فيما تناوله بخصوص الخلافات التي تحدث بين الجماعات الحرفية كالخلاف بين جماعة الصفارين والقزادرية اللذين رفعوا أمرهم الى شيخ البلد.

فأصلح بينهم بعد أن اتفقوا على كيفية توزيع السلع بينهم[1] والنزاع الذي حصل بين جماعة بني ميزاب وجماعة الحرفيين من الفرانين والجزارين، الذي فصل فيه شيخ البلد بحضور أمين الأمناء وكبار بني ميزاب حول الخسائر التي يتكبدها الفرانون وتم فض النزاع من خلال الإتفاق حول تقاسم حجم الخسائر بين الجماعات السالفة الذكر[2].

وكثيرا ما كان يتدخل الداي بنفسه بإصدار تعليمات تتعلق بالحرفيين والجماعات الحرفية

(1)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص84.
(2)-المصدر السابق، ص ص77-78.

ذلك تفاديا لحصول النزاعات أو فكها، من أمثلة على ذلك تدخل الداي "بابا أحمد"[(1)]، في تحديد أسعار مادة الحرير تفاديا لحدوث المنافسة الغير شريفة بين الحرارون، أثناء حدوث النزاع داخل هذه الجماعة[2] كما فصل "الداي مصطفى" (1700-1705م) في النزاع الذي حصل بين جماعة الصباغين والوزان فيما يتعلق بتحديد التسعيرة المتعلقة بالطرفين، إذ قام بتحديدها بنفسه[(3)].

كما يمكن أن نستخلص من الإتفاقات ومحاضر الجلسات الواردة في مخطوط قانون الأسواق، أن مجال التفاوض بين أمناء الجماعات الحرفية والسلطة كان قائما دون أي وساطة، فكثيرا ما كان يتوجه أمناء الحرف إلى الداي مباشرة ليرفعوا تظلما عندما يحصل نزاع بين أفراد الجماعة الواحدة أو بين الجماعات الحرفية أو بسبب تضررهم برفع سعر المادة الأولية التي تستخدم في حرفتهم، مثلما حدث مع صانعوا الخفاف (الفطائر) لما اشتكوا إلى الداي بابا مصطفى يطلبون منه خفض سعر الدقيق والقمح الذي كان محددا بريالين ونصف وأن ذلك لا يعود عليهم بالفائدة، فصرح الداي بتخفيض سعره إلى أربعة وعشرين درهما، وذلك بحضور متولي السوق والمحتسب وأمين الجماعة[(4)].

كما تدخل الداي "بابا حسن" في الفصل في النزاع الذي حصل بين جماعة القبائل الفحامين والقايد "بونك"[(5)]، إذ وقع الصلح بين الطرفين بعدما أعطى الداي أمرا إلى أمين الأمناء من خلال تحديد قيمة الضريبة التي يستخلصها قائد الرحبة من الجماعة على النحو التالي: "...وذلك بأن يرفع الفحامون عن الشبكة المحمولة بالبغل ثمانية وعشرين وعن حمل الحمار ستة درهما في كل شهر، وكتب ذلك عبد الله بن الحاج يوسف الشويهد، شعبان 1699م..."[(6)].

---

(1)- بابا أحمد، هو الداي أحمد باشا المعروف "ببابا أحمد العلج، أو حاج أحمد رعيته، ينظر عبد الله ن محمد الشويهد، المصدر السابق، 64.
(2)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص81.
(3)-المصدر السابق، ص138.
(4)- نفسه ، ص131.
(5)- القائد بونك: اسم متولي رحبة تلفحم وهو في العادة أحد الضباط المتقاعدين أو من قدماء الجند انظر عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص110.
(6)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص110.

وعادة ما كانت تعقد جلسات الصلح في الفصل في النزاعات داخل المسجد، ففي مدينة الجزائر على سبيل المثال كانت تعقد "بمسجد السيدة " القريب من دار الإمارة، في كثير من الأحيان تعقد بقصر الداي، كما كانت تُعقد بمقر جلوس القضاة الحنفية الذي كان بالرحبة القديمة، وكانت هذه الإتفاقيات وجلسات الصلح الخاصة بالجماعات الحرفية تُسجل في الغالب من قبل متولي السوق وتُحتفظ في المحكمة[1]، مثلما يفيدنا به الإتفاق الذي وقعه شيوخ البلد ومتولي سوق مدينة الجزائر وأمين الأمناء بخصوص تحديد الرسوم التي يدفعها الحرفيين حسب الحرفة التي يمتهنونها "...حيث أرسل الينا بابا أحمد بن عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويهد، وسليمان شيخ البلد والسيد أحمد بن الفاسية والأمين وأمرنا أن نجتمع ونستخلص هذه القيمة من مختلف الصناع مرة واحدة فاجتمعنا كلنا في جامع السيدة..."[2].

كما تطلعنا العديد من المصادر أن السلطة كان لها دورا بارزا في الفصل في النزاعات التي تحدث بين التجار وحرفي المدن والأرياف في الأسواق الأسبوعية أو الموسمية التي تُنظّم في المدن أو ضواحيها ،لتشجيع التبادل التجاري بين سكان المدن والأرياف ،هو ماذكره فندلين شلوصر، اذ يقول أنه لما تقع داخل الأسواق مشاجرات بين الحرفيين والتجار اللذين يأتون من الريف، كانت السلطة تتولى حل تلك النزاعات من خلال تعيين العديد من القياد الذين يفصلون في هذه النزاعات التجارية، وفي الكثير من الأحيان كانت تلجأ إلى معاقبتهم بعدة طرق أهمها الضرب و فرض الضرائب[3].

كما وضعت السلطة جهاز قضاء لعب دورا بارزا في الحياة السياسية، الإجتماعية والإقتصادية، ويبدو ذلك جليا في توظيف جهاز القضاء للنظر في الخلافات التي تحدث بين الحرفيين لتحقيق الأمن داخل الأسواق وتوثيق عملية البيع والشراء التي تتم بين التجار

---

(1)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص159.

(2)- جامع السيدة: مسجد يقع بالقرب من المدخل الرئيسي لقصر الجنينة، بني المسجد القديم، تذهب بعض الروايات التاريخية الى ان تم من قبل بنت الناصر الحمادي صاحب بجاية، ومنه أخذت تسمية المسجد الذي أسس مكانه، فعرض بمسجد السيدة، الى سنة 1516م، ونظرا لوقوعه قرب قصر الجنينة، أصبح المكان المفضل لحكام الجزائر وحاشيتهم، والمقر المعتاد لاجتماع مجلس الامناء الحرف لتبادل الرأي والمشورة واتخاذ القرارات واصدار الاوامر المتعلقة بالحياة الاجتماعية والنشاط الحرفي والمعاملات التجارية، أعاد بناء هذا المسجد الداي أحمد عثمان باشا سنة 1784م، بعد أن تعرض لأضرار ثم اعتنى به الداي بابا حسن 1794 م، وزينة برخام أبيض جلبه من إيطاليا ليصبح من أجمل المساجد في مدينة الجزائر، لكنه تعرض للهدم بعد احتلال الفرنسيين للجزائر، انظر عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص93.

(3) فندلين شلوصر، قسنطينة ايام أحمد باي...، المصدر السابق، ص91.

والحرفيين، وما يمكن أن ينجر عن ذلك من تجاوزات في عملية البيع والشراء فوظيفة القاضي وظيفة دينية في الأساس، ولهم صلاحيات إمتدت الى مختلف مجالات الحياة، بما فيها القضايا الإقتصادية التي كانت توجه للقضاة للنظر كالفصل في النزاعات بين الحرفيين والتجار ومراقبة نشاطات الجماعات الحرفية وممارساتها المختلفة من تحديد الأسعار وتسجيل عملية البيع والشراء(1).

تميز القضاة في الجزائر خلال مرحلة الدايات بالإزدواجية إذ نجد قاضي حنفي وأخر مالكي، وللقضاة مساعدين من أئمة وعلماء وقراء، إضافة إلى الكتّاب والمحررين الذين يقومون بتسجيل محاضر الجلسات المتعلقة بالفصل في النزاعات وكتابة عقود البيع والشراء(2).

ويظهر من خلال ماجاء في العديد من المصادر أن العقوبات التي يصدرها القضاة في حق التجاوزات التي تحدث داخل الأسواق أو بين التجار والحرفيين كانت قاسية، وهذا ما يمكن أن نستخلصه في الحادثة التي ذكرها فندلين شلوصر بخصوص ما قام به قبائليان لما وصلا إلى قسنطينة أحضرا معهما نقودا مزيفة، فقطعت يديهما وطيفا بهما في المدينة وحول عنقهما حبلا ليطلق سراحهما بعد ذلك(3).

كما كان يتم عقاب المتخلفين عن دفع الضرائب أو الذين لايحترمون شروط ممارسة الصنعة، أو لا يتقيدون بشروط المنافسة الشريفة التي تتم بين الحرفيين عن طريق فرض غرامات مالية أو بالضرب على الأرجل وبالدخول الى السجن.

يصف الرحالة الألماني موريس فاغنر المحكمة في الجزائر وطريقة الفصل في النزاعات داخلها قائلا: أن المحكمة عبارة عن حجرة بسيطة في هندستها، تغطى أرضيتها بالزرابي يعقد فيها القاضي جلسته، ويتميز عن غيره من الحضور بوضعه لعمامة تحتوي على ثنايا كثيرة، يتخذ مكانه فوق مقعد عالي وطاولة دائرية الشكل يضع فوقها نسخة من القرآن وكتاب لتسجيل الجلسات، وكان القاضي يتميز بالهدوء، اذ يترك المتخاصمين يترشقان بالكلام ومن

(1)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون ...، المرجع السابق، ص76.
(2)- أبو العيد دودو الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان...، المرجع السابق، ص60.
(3)- فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، المصدر السابق السابق، ص82.

حين لآخر يوجه لهم الأسئلة ويستنطق الشهود إن وجدوا ثم يصدر حكمه الذي ينفذ عادة في الحين[1].

أما الخلافات والنزاعات التي يعجز القاضي عن الفصل فيها، تُعرض على "مجلس العلمي" ،الذي يعد بمثابة محكمة عليا او محكمة إستئناف، كان يترأسه شيخ الإسلام[2]، وكثيرا ما كانت تعرض عليه القضايا ذات الطابع التجاري، فلما جدد الداي "علي باشا" سوق الدخان سنة 1764م وقام بتحديد أسعار كراء الحوانيت المحبسة للتجار والحرفيين لمزاولة نشاطهم بالسوق عرض سعر كراء الحوانيت على المجلس العلمي الذي وافق على ذلك[3].

ونستنتج مما ورد أن السلطة في الجزائر خلال مرحلة الدايات أولت عناية خاصة بالفصل في النزاعات بين الحرفيين والجماعات الحرفية، وذلك من خلال اشراف الحكام على هذه المسألة بطريقة مباشرة أو تحت إشراف أمناء الحرف الذي كان وسيطا بين السلطة و جماعته الحرفية، أو من خلال تعيين مجموعة من الموظفين كأمين الأمناء وشيخ البلد الذي أوكلت له ايضا مهمة الفصل في النزاعات، كما وظفت جهاز القضاءء الذي لعب دورا بارزا في حل الخلافات التي تحدث بين الحرفيين.

(1)- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، المرجع السابق، ص60-61.
(2)- شيخ الاسلام: هو اعلى منصب ديني بالجزائر، يأخذ القضاة برأيه يتولاه عادة القاضي الحنفي الذي يرأس المجلس العلمي، وكان الداي يستشيره ويأخذ برأيه في العديد من القضايا، كما كان يعود اليه القضاة ويأخذون برأيه فيما يعرض لهم من القضايا التي تطلب المشورة، ينظر عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص57.
(3)- عائشة غطاس، تالحرف والحرفيون...، المرجع السابق ، ص ص78-79.

**رابعا: النظام الضريبي والحرفيين**

لقد فرضت السلطة نظاما ضريبيا خاصا على الحرفيين المختصين في مختلف الحرف الإنتاجية، الخدماتية والتسويقية، وذلك في إطار تنويع المصادر المالية للجزائر خلال مرحلة الدايات، فالحرفي خلال هذه المرحلة كان مجبرا على دفع مستحقات مالية إلى خزينة السلطة، وهو ما سنحاول التعرف عليه ذلك من خلال تسليط الضوء على الموظفين الذين كانت لهم صلاحية الإشراف على النظام الضريبي، وأهم الضرائب التي فرضتها السلطة على الحرفيين.

كان الإشراف على النظام الضريبي بيد أمناء الجماعات الحرفية، إذ يعتبر كل أمين جماعة حرفية عبارة عن ملتزم أو ضامن لدفع الضرائب المفروضة على حرفي الجماعة التي يشرف عليها، فالأمناء هم المكلفون باستخلاص الضرائب وتحصيلها مباشرة من الحرفيين وعلى الدكاكين والورشات وكل المؤسسات ذات الطابع الحرفي والتجاري كالفنادق والأسواق، التي يمارس فيها الحرفيين نشاطهم الحرفي والتجاري وتسليمها لخزينة السلطة[1].

إضافة إلى امناء الحرف بالتزم شيخ البلد كذلك بتحصيل الضرائب من الحرفيين، إذ كان يقوم بجباية الضرائب المستحقة على الجماعات ويقدمها إلى خزينة السلطة، وهو ما يمكن أن نستنتجه فيما ورد في مخطوط قانون الأسواق فيما ذكره فيما يتعلق بتحديد رسوم الصناع، إذ ورد ذكر شيخ البلد في مختلف الإتفاقيات فهو ممثل السلطة وله دور جباية الضرائب[2]، كما ذكرحمدان خوجة أن شيخ البلد هو المسؤول عن جباية الضرائب المفروضة على الحرفيين والتي كانوا يدفعونها مرة كل شهر[3].

ووجدنا ان دور شيخ البلد تعاظم أكثر في أواخر مرحلة الدايات، وهو ما أكدته العديد من المصادر العائدة إلى تلك الفترة ،خاصة بعد تقلص دور أمناء الجماعات الحرفية بعد أن إنتزعت منهم السلطة حق جباية الضرائب بإستثناء بعض الجماعات التي حافظ امناؤها على

(1)- لوسيت فالنسي، المصدر السابق، ص66.
(2)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص92.
(3)- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، المصدر السابق، ص109.

جباية الضرائب من حرفي جماعتهم، كأمين الحفافين، أمين الحواتين، أمين السراجين الذين ظلوا يؤدون دور الملتزم.

وهنا تذكر الدكتورة عائشة غطاس إستنادا إلى سجلات المحاكم الشرعية أن أمناء اللذين ظلوا يقومون بدور الملتزم في جباية الضرائب، هم في الغالب كانوا يشرفون على الحرف التي لا تمارس نشاطها في حوانيت داخل الأسواق بل كانت تمارس في الفنادق أو في الورشات الواقعة خارج المدن أو الحرف التي كان يمارسها أفراد الجماعات البرانية والتي هي في الغالب حرفا متواضعة وثانوية[1]، هنا نذكر بأنه كان من حق الحرفيين التفاوض مع الداي حول تحديد قيمة الضريبة المفروضة عليهم، وحول دفعها إما من إنتاجهم أو نقدا[2].

1 **ـ الضرائب وأنواعها:**

إن ما ميز النظام الضريبي الذي فرضته السلطة على الحرفيين هو إنعدام الدقة في إستعمال تسمية خاصة بكل نوع من الضريبة، إذ بعد إطلاعنا على العديد من المصادر وجدنا تسمية ضريبة، في البعض وجدنا تسمية الغرامة، مما صعب علينا تصنيف أنواع الضرائب التي خضع لها الحرفيين من قبل السلطة هذا من جهة، إضافة الى قلة المصادر التي تتناول النظام الضريبي الذي خضع له الحرفيين، ومن أهم الضرائب التي فُرضت على الحرفيين نذكر:

**ـ ضريبة الغرامة:** هي عبارة عن مبالغ مالية كانت تفرض على الجماعات الحرفية ،يكلف أمناء الجماعات الحرفية باستخلاصها وتقديمها إلى خزينة السلطة مباشرة أو بوساطة من شيخ البلد، الذي يتكفل بدوره بتقديمها لخزينة السلطة، هو ما نجده واردا في مخطوط قانون الأسواق فيما يتعلق بالضرائب المفروضة على الجماعات الحرفية، لكن هذا المصدر لا يذكر أخبارا حول كيفية جبايتها. والفترة المحددة إن كانت أسبوعيا أم شهريا أم مرة كل سنة لجمعها باستثناء الإشارة الواردة فيه حول ضرائب الصناع "... سجل الضرائب المستخلصة

(1)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص81.
(2)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص58-59.

من صناع المدينة من الراتب إلى الراتب[1] شهريا..." من خلالها يمكن أن نستخلص فترة إستخلاص هذه الضريبة تكون في نهاية كل شهر[2].

كما ورد في مخطوط قانون الأسواق ذكر الغرامة المتوجبة على بعض الجماعات كالخياطين "...الحمد لله هذا سجل الإجماع الذي تم بجامع السيدة والذي ضم امناء كبيرهم وصغيرهم مع شيوخ البلد ابن الاحرش والسيد احمد بن الفاسية وأمين الخياطين... واتفقوا على فرض ثلاث ضرائب ونصف..."[3].

وكثيرا ما كانت تفرض السلطة ضريبة واحدة على جماعتين حرفيتين، وعلى سبيل المثال الضريبة التي فرضتها على جماعة الفكاهيين (بائعي الفواكه)، جماعة الشرباجية (الذين يحضرون الحساء والمرق وكل ما يتناول من الأطعمة أو القائمون على تجهيز القهوة والشاي، سنة 1697 م والتي قدرت بأربع ريالات ونصف[4] وفرضت ضريبة الغرامة على ثمانية وعشرين جماعة حرفية .

**ـ غرامة العسة:** حضيت مسألة الأمن اهتماما كبيرا من قبل السلطة، داخل المؤسسات الحرفية، خاصة الأسواق التي عرفت تمركزا للنشاط الحرفي والتجاري، والتي كانت تتوفر على عدد كبير من ورشات الحرف والدكاكين، فإلى جانب الموظفين الرسميين الذين عينتهم السلطة لتوفير الأمن كالشرطة، حرصت كذلك على إشراك الحرفيين في توفير الأمن، ذلك من خلال إجبار الحرفيين والتجار على المشاركة في الحراسة الليلية الأسواق وتحديد عدد الرجال القائمين بها، وهو ما ذكره قانون الأسواق في وضع السلطة نظام خاص بالحراسة خاص بكل مهنة من خلال تحديد الوقت المحدد لكل واحد للقيام بالحراسة المتوجبة عليهم[5].

وكذلك من خلال أشراك الحرفين في تحمل العبئ المالي للحراسة في الأسواق حيث كان الحرفيين يساهمون في ذلك شهريا. واختلفت نسبة المساهمة المالية من سوق لآخر حسب

(1)- ذهب الاستاذ جمال قنان إلى أن عبارة "من الراتب إلى الراتب"، تعني مرة كل شهرين، وذلك قياس بالنظام الساري على الجيش الانكشاري، للمزيد ينظر قنان جمال نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، ص150.
(2)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص113.
(3)-المصدر السابق، ص120.
(4)- نفسه ، ص135.
(5)- نفسه ، ص111.

أهمية وموقع كل سوق ويبقى الحرفي مطالبا بمستحقاته المالية حتى بعد وفاته، حيث يقتطع من التركة(1)، وإذا عجزوا عن الدفع كثيرا ماكان يتحمل أمين الجماعة الحرفية دفع المستحقات المالية التي في ذمة الحرفيين مثلما حصل سنة 1699م، لما قام أمين جماعة المقفولجية (صانعوا الأحذية) يدفع مستحقات مالية بدل حرفي جماعته(2).

**ـ ضريبة الوطق:** تفرض هذه الضريبة على كل الجماعات الحرفية، بل خصت جماعات حرفية معينة(3) كجماعة البرادعة، الفحامين الفخارجية الدلالين كما فرضت أيضا على الفران المعدة لطهي الخبز(4) وقد تضمن مخطوط قانون الأسواق بعض الإتفاقات التي تمت بين الجماعات الحرفية بشأن تقيم الضريبة، كالإتفاق الذي تم سنة 1699م ما بين جماعة الفكاهين، حيث تضمن الإتفاق تفصيلا دقيقا عن كل من المشرفين جباية(5) .

**ـ ضريبة الضيفة:** هي مقدار نقدي أو عيني يقوم باشتخلاصه شيخ اليلد من الحرفيين بوساطة من أمنائهم، إذ يدفع قسم منه لخزينة السلطة ويحتفظ بجزء منه لشراء منصبه وإقامة الولائم التي يتوجب عليه القيام بها، حسب ما أطلعنا عليه مخطوط قانون الأسواق فانها تستخلص سنويا مع بداية العام الجديد "...سجل ضيفة، بداية السنة التي يأخذها شيوخ البلد من أصحاب المهن والصنائع"(6).

**ـ ضريبة التعين:** هي ضريبة تفرض على أمناء الجماعات الحرفية عند تعيينهم، ولم تكن مفروضة على كل أمناء الحرف بل فرضت على البعض منهم، كأمين البحارين، أمين القبائل، وأمين الجيجليين(7).

**ـ ضريبة على البضائع الواردة إلى الأسواق:** فرضت السلطة ضريبة على البضائع الداخلية إلى الأسواق، وورد ذكر هذه الضريبة في مخطوط الأسواق بخصوص بعض الحرفيين

---

(1)- عائشة غطاس، الحرف والحرفييون...، المرجع السابق، ص ص184-185.
(2)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص128.
(3)- الوطق :جمع وطاقات هي كلمة تركية وتعني الخيمة وأقيمت الوطاقات خارج المدن، ينظر عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص197.
(4)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص184.
(5)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص135.
(6)-المصدر السابق، ص115.
(7)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص184.

المجبرين على دفعها للسماح لهم بدخول بضاعتهم، كالتبانين (بائعوا التبن) والصباغون المشتغلون بصبغ الأقمشة والجلود[1].

إضافة إلى هذه الضرائب فرضت السلطة على الجماعات الحرفية إسهامات إجبارية لخدمة البايليك والتي تمثلت في المنتوجات الحرفية خاصة في مينة الجزائر، على سبيل المثال جماعة البرادعية الذي كانوا يزودون البايليك بكل ما يحتاجونه من برادع وتبن، وجماعة الجزارين التي كانت تزود أسبوعيا خروفين ونصف لى كل سفرة من الحامية العسكرية ،ونصف خروف إلى الطباخين وتزود سفرة الآغا خروفا كل يوم الأربعاء، كما كان أمين جماعة الدباغين يقدم الجلود إلى البايليك لصنع الموائد الخاصة للمحلات العسكرية ولصناعة السفن .

كما كانت تقوم جماعة الحدادين بتقديم خدمات إلى البايليك في كل ما يحتاجونه في مجال الحدادة، هذا النظام لم يشتمل مدينة الجزائر وإنما استخدمته السلطة في العديد من المدن الأخرى كقسنطينة، إذ فرض على جماعة البشاطمية (هم الذين يقومون بتحضير الخبز المسمى بالبشماط الموجه لإستهلاك الجيش) تحضير الخبز إلى الحاميات العسكرية، كما كانت جماعة الدباغين تساهم بتوفير القرب والأكياس الجلدية، لدلر الباي ولحامية البايليك[2].

كما ساهم الحرفيين في توفير العديد من منتوجاتهم كالأغطية الصوفية إلى الداي لتقديمها كهدية سنوية يبعثها حاكم الإيالة الى الباب العالي، وهو ما ذكره حمدان خوجة "... إذ يحمل معه (يقصد هنا المبعوث) هدية مكونة... وعدد من الأغطية الصوفية التي تصنع في الجزائر، والغرض الرئيسي من الهدية... هو تقديم نموذج عن منتوجات الإيالة..."[3] كما كانت تلجأ السلطة إلى الحرفيين لبناء المرافق العمومية كالطرقات وأسوار المدينة وإصلاح قنوات المياه ونظافة الشوارع[4]، كما كانت تساهم الجماعات الحرفية بمبالغ من أجل شراء

(1)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص59.
(2)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص187.
(3)- حمدان بن عثمان خوجة،المرآة، المصدر السابق، ص132.
(4)- المصدر السابق ، ص109.

الخيول لتزويد المحلات العسكرية التابعة للبايلي، وهو ما يوضحه مخطوط قانون الأسواق[1].

مما سبق يمكن القول أن الحرفيين خضعوا إلى نظام الإلتزام الثنائي قبل أمن الحرف وشيخ البلد، لكن دور هذا الأخير تعاظم أكثر في أواخر مرحلة الدايات إذ إقتصرت جباية الضرائب من قبل أمناء الحرف على بعض الجماعات دون غيرها كما أن مداخيل جباية الضرائب الحرفيين شكلت موردا مهما بالنسبة لخزينة السلطة، كما أن النظام الضريبي الذي خضعت له الجماعات الحرفية إختلف من جماعة إلى أخرى، ذلك حسب أهمية كل حرفة ومداخيلها المالية.

(1)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص120.

**خامسا: السلطة والحرف العسكرية**

عرفت الجزائر خلال مرحلة الدايات إهتماما كبيرا بتطوير قوتها العسكرية لما لها من أهمية على الجانب السياسي، الإقتصادي والأمني للبلاد، هذا ما إنعكس إيجابا على الصناعة العسكرية وذلك من أجل تجهيز الجيش البري والبحري بمختلف أنواع الأسلحة، لذلك أولت السلطة عناية خاصة بالحرف العسكرية، وهو ما سوف نحاول أن نتعرف عليه من خلال تسليط الضوء على أهم الصناعات العسكرية التي وجدت في البلاد خلال هذه المرحلة:

1 **- صناعة الأسلحة النارية:**

ساهمت الصناعة الحربية في تزويد الجيش الجزائري بالسلاح الضروري للحفاظ على الأمن الداخلي والتصدي للهجمات الأجنبية، إنقسمت هذه الأسلحة إلى نوعين الأسلحة النارية الخفيفة وهي عبارة عن أسلحة تتميز بخفة وزنها، وتكون محمولة وفردية، تشمل صناعة البنادق وتجهيز مادة البارود والتي كانت تصنع في الغالب من قبل العائلات الأندلسية والتركية خاصة في مدن الجزائر شرشال وجيجل[(1)]، الأسلحة النارية الثقيلة كالمدافع التي تكون ثقيلة وتستخدم من قبل مجموعة من المدفعية.

كان للصناعة العسكرية أهمية كبيرة في تجهيز الجندي النظامي في الجيش الإنكشاري في الجزائر، خاصة وأن الجندي بعد وصوله مباشرة إلى الجزائر، كانت تسلم له بدلة عسكرية وبندقية وقليل من البارود وقطعة من الرصاص وذلك إستعداد لكل الحملات العسكرية[(2)]، وكذلك الشأن بالنسبة للمتطوعين من مختلف القبائل الذين ينضمون إلى الجيش النظامي من أجل جباية الضرائب والقضاء على التمردات التي تقوم بها القبائل المتمردة ضد السلطة، فكانت تزودهم السلطة ببندقية وكمية من البارود[(3)].

نجد العديد من المدن التي عرفت هذا النوع من الصناعة والتي كانت تمارس في العديد من الأسواق والورشات المختصة لصنع الاسلحة، وعلى سبيل المثال نذكر سوق القنداقجية

(1)- حنيفي هلايلي،بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، دار الهدى للنشر، ط1، الجزائر، 2007، ص42.
(2)- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة ، المصدر السابق، ص120.
(3)- وليام سبنسر، المرجع السابق، ص104.

في مدينة الجزائر الذي إختص في إصلاح وترميم البنادق، وسوق الخراطية الذي إختص في إذابة القطع المعدنية وسبكها، وسوق السباكين الذي كانت تصنع فيه أنواع عديدة من الأدوات والقطع الحديدية المصقولة ومواسير البنادق.

كما وجدت تنظيمات خاصة بجماعة "الشقماقجية" ضمن الهيئات الحرفية التي كانت تشمل صانعي الأسلحة ومرمميها ومعدي خشب البنادق التي تركّب مع مواسير البنادق المستوردة من دول أوروبا كإسبانيا، إيطاليا وإنجلترا[1].

حرصت العديد من القبائل الريفية على إمتلاك هذا النوع من الأسلحة لمالها من دور في حماية ممتلكاتهم، وهوما ذكره حمدان خوجة في حديثه عن سكان المناطق الجبلية في الشمال، إذ كانوا يملكون الأسلحة النارية ويحرصون على حفظها وكثيرا ما يستعملونها في التصدي للصوص اللذين كانوا يقصدونهم من أجل سرقتها، لأنهم يفضلونها على كل شيء آخر يأخذونه من الأهالي[2]، كما ذكر فندلين شلوصر في حديثه عن سكان منطقة القبائل أنهم عرفوا بصناعتهم للبنادق[3] التي تميزت بدقة صنعتها وزخرفتها الجميلة، مما جعلهم يمتنعون عن تبديلها بالبنادق الأوروبية[4].

أما عن صناعة البارود فقد وجدت العديد من الورشات بدار السلطان لإنتاج البارود كمصنع البارود بمدينة الجزائر الذي كان ينتج حوالي 25 رطلا من البارود، ومصنع القصبة الذي بني سنة 1591 م وإستمر في العمل إلى غاية 1815م، أما البايليكات الأخرى فلا توجد وثائق تثبت وجود صناعة البارود فيها باستثناء مصنع البارود الذي وجد بقسنطينة، الذي ذكرت العديد من الكتابات أنه تابع للباي ومقره "دار محمد بن شعير" ويعمل فيه حوالي

(1)- ميمن داود، الجيش الجزائري خلال الفترة العثمانية تنظيمية وعدته.
(2)- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، المصدر السابق،ص 66.
(3)- يصف فندلين البنادق التي كانت متواجدة في الجزائر بأنها تميزت بالطول إذا كانت يصل طولها ستة أو سبعة اقدام ولها سورة مثمنة لا مربعة، ومقبضها يمتد الى وسط الماسورة، وقاعدتها ذات زوايا عادة بحجارة أو جواهر صغيرة وأسفلها مغطى بنحاس او بخشب جميل للمزيد انظر فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص ص96-97.
(4)- فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص96.

عشرين عاملا أكثرهم من القبائل المجاورة(1)، وذكر روزيت roset أن مدينة قسنطنة كانت تتوفر على العديد من الورشات لصناعة البارود(2).

من هنا يمكن القول أن السلطة لم تقتصر على الورشات التابعة لها لتوفير هذه المادة، وإنما كان لازما عليها الإعتماد على الورشات التي تديرها الأسر المختصة في هذا المجال في المداشر والواحات والقصور، والتي إنتظم أصحابها في تنظيمات حرفية تعرف بالبارودية مثل قبيلة ربولة في نواحي زواوة ، ورشات آيت العرابة في بني يني، ورشة وادي الجرف بالجنوب الجزائري، ورشة تلمسان في الغرب الجزائري(3).

كما أكدت العديد من المصادر المحلية على وجود ملح البارود في العديد من المناطق في البلاد، إذ ذكر حمدان خوجة أن منطقة القبائل تزخر بوجود ملح البارود، الذي يقوم سكان المنطقة بإستخراجه وإستغلاله في هذه الصناعة(4)، وأكد كذلك فندلين شلوصر إلى أن صناعة البارود عرفت إنتشارا في هذه المنطقة(5).

### 2- صنع المدافع:

عرف الجيش الجزائري خلال بداية مرحلة إرتباط الجزائر بالدولة العثمانية نقصا فادحا في المدافع، لكن مع مرور الزمن وتعدد الحملات العسكرية الأجنبية بدأ التفكير بصنع المدافع محليا وذلك من أجل تعزيز قوة الجزائر العسكرية(6).

إرتبطت صناعة المدافع بالعديد من الصناعات والحرف كصناعة البارود، صناعة الخشب، السباكة والترصيص، جميع هذه الحرف والصناعات كانت تحتاج إلى مهارات وتقنيات إضافة الى الدقة في القياس وفي التركيب وتوازن القطع وتناسق الأجزاء كما كانت تحتاج صناعة المدافع إلى حرفيين مختصين في الزخرفة خاصة وأن المدافع التي وجدت في

---

(1)- ميمن داود، المرجع السابق ،ص208.

(2) Roset. op.cit.p, 301.

(3)- درياس لخضر، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ،دار الحضارة للنشر، ط1، الجزائر،2007، ص ص48-49.

(4)- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، المصدر السابق، ص67.

(5)- فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص67.

(6)- حنيفي هلايلي، بنية الجيش...، المرجع السابق، ص43.

الجزائر عرفت وجود زخرفة وكتابة إسلامية[1].

مما شجع سكان الجزائر على الإهتمام بهذا النوع من الصناعة، وفرة مادة البارود التي عرفت تواجدا بكثرة في إقليم سيباو، حيث كان سكان هذه المناطق يصنعون البارود بأنفسهم[2]، كما عُرف عن سكان المناطق الريفية في الصحراء بصناعة هذه المادة[3].

ولعب العنصر الأندلسي دورا كبيرا في إزدهار هذه الصناعة وإدخال تقنيات متطورة، نتيجة لإمتلاكهم لمهارات كبيرة في هذا المجال[4]، حيث وجدت العديد من المسابك لصناعة لصناعة المدافع بمختلف الأحجام بباب الواد بمدينة الجزائر ،التي كانت موجهة للسفن الحربية وبطاريات الحصون والعتاد المدفعي، وكانت هذه المسابك عبارة عن بناية بها قلعة تعلو بعشرين مترا، مجهزة بفرن وخندق لإحتواءه المعدن المنصهر[5] وهنا نذكر أن صناعة صناعة المدفعية بالجزائر إرتبطت بصناعة البارود[6].

يقوم على صناعة المدافع العديد من التقنيين والعمال والصناع نذكر منهم:

- **المعلم:** وهو المسؤول الاول عن الصناعة وعلى لجنة الإختبار والتفتيش في المدافع.
  **الباش الطبجي:** وهو قائد المدفعين والمسؤول على السباكين والعمال.
- **مجموعة السباكين:** وهم المكلفين بصب المعدن وتهيئة القوالب.
- **مجموعة الخراطين:** وهم المكلفين بصقل المدافع وصناعة القنابل والقذائف والقوالب المعدنية والعجلات.
- **مجموعة النجارين:** يقومون بصناعة الأسرة للمدافع[7].
- **وكيل الخرج:** هو الذي يستلم المدافع الجاهزة.

(1)- علي خلاصي، الجيش الجزائري في العصر الحديث، دار الحضارة للنشر، ط1، الجزائر، ص ص 204-205.
(2)- فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص149.
(3)- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص255.
(4)- علي خلاصي، المرجع السابق، ص42.
(5)- بن عتو بلبروات، المرجع السابق، ص24.
(6)- يقوم على صناعة البارود العديد من العمال يتكونون عادة من أمين المصنع وهو القائم على الإدارة داخل الورشات، الوزان هو المكلف بالمواد المعدة للطحن من الكبريت والفحم والملح، العمال الفيون وهم المختثون على تصفية الملح وحرق الحطب وطحنه وغربلته، الحراس وهم العمال المختصين بحراسة المصنع والمخازن الخاصة بالبارود.
(7)- علي خلاصي، المرجع السابق، ص148-149.

يضاف الى ذلك عمل الفنيين الذين يقومون بزخرف المدافع والأوعية التي توضع فيها الخراطيش، وكانت هذه النقوش عبارة عن زخارف لبعض الاشجار والنباتات وأدعية وإسم الباشا الذين تم في عهد صناعة المدفع[1].

**3 ـ الأسلحة البيضاء:**

تمثلت الأسلحة البيضاء[2] في السيوف والخناجر والتي كانت تستعمل في غالب الأحيان أثناء إلتحام الجنود مع العدو، وصناعة المناجل التي كانت تستعمل لقطع حبال السفن[3] وحافظت هذه الصناعة على وجودها خاصة فيما يتعلق بالبعض منها كالسيوف والخناجر، لما لها من أهمية في تزويد الجيش بهذه المعدات الأساسية التي كان يحملها معه العسكري، فعلى سبيل المثال يعتبر الخنجر أساسيا لابد أن يحمله الجندي الإنكشاري، وهو ما يمكن أن نستخلصه فيما ذكره وليام شالر بما يتعلق بالأسلحة التي يحملها الجندي الإنكشاري أثناء المعارك "... والإنكشاري يتسلح ويكون مستعدا لخوض معركة يحمل مسدسا أو مسدسين كبيرين في حزامه وخنجرا على صدره..."[4].

وقد لاحظ العديد من الأجانب الذين زاروا الجزائر إنتشار الحرفيين المختصين في صنع مختلف أنواع السيوف والخناجر التي تميزت بجمالها نظرا لما كانت تحمله من زخرفة وطلاء من الفضة أو الذهب، فذكر سيمون بفايفر أن مدينة الجزائر التي زارها كانت تتوفر على عدد من الحرفيين المختصين في صنع السيوف والخناجر[5].

أما عن عملية صنع هذه السيوف والخناجر فكانت تتم من قبل مجموعة من الحرفيين كل واحد منهم مختص في عمل معين، وهو ما يمكن أن نستخلصه فيما ورد في مخطوط قانون

---

(1)- علي خلاصي، المرجع السابق، ص205.
(2)- الأسلحة البيضاء: هي جميع الاسلحة الهجومية من الرماح والسيوف الخناجر، الدروع، الخوذ التي كان يتجهز بها المقاتل، إلا أن العديد منها اندثر في العصر الحديث بعد اكتشاف الاسلحة النارية والتي احجثت تغيرا كبيرا في ساحات المعارك، للمزيد ينظر مذكرة دكتوراه ميمن، ص127.
(3)- حنيفي هلايلي، بنية الجيش...المرجع السابق، ص43.
(4)- وليام شالر، المصدر السابق، ص 53.
(5)- سيمون بفايفر،المصدر السابق،ص 168.

الأسواق فيما يتعلق بتحديد الرسوم التي يدفعها الصناع "... الغماد[1] والمقايسي، خمسة عشر ريال وثلاثة أرباع..."، أي أن صنع الخناجر كان بإشتراك من مجموعة من الحرفيين[2].

**4- صناعة السفن:**

لقد كان اهتمام الجزائر بصناعة السفن سبق مرحلة الدايات، إذ يرجع إلى بداية إرتباط الجزائر بالدولة العثمانية، خاصة وأن كل الحكام كان إهتمامهم متركزا على بناء أسطولا بحريا قويا، ذلك لأجل التصدي لهجومات الأساطيل الأوروبية المتكررة وخدمة إستراتيجية السلطة العثمانية في البحر الأبيض المتوسط من جهة أخرى[3].

كل هذا جعل معظم الحكام يولون إهتماما كبيرا بصناعة السفن الحربية، وقد أكدت العديد من المصادر أن ظهور صناعة السفن في الجزائر يعود إلى ما قبل 1535م[4]، مما ساعد على إقامة هذه الصناعة وفرة الثروة الخشبية في المناطق الشمالية خاصة، هذا ما جعل السلطة تنشأ مجموعة من الورشات لصناعة السفن وتصليحها في العديد من المدن التي تتوفر على الثروة الخشبية كبجاية، كما عينت قائدا خاصا لإستغلال الغابات والإشراف عليها في بايلك قسنطينة وذلك من خلال إستغلال مختلف أنواع الأخشاب مثل الدردار، الزيتون، البلوط[5].

كما أولت السلطة عناية خاصة بتوفير مادة الخشب المخصص لصناعة السفن وتجهيزها والتي كانت تنقل من نواحي شرشال وغابات القل، كان ذلك يتم تحت إشراف وكيل الخرج، إذ ذكر القنصل الأمريكي وليام شالر أن دار صناعة السفن في الجزائر كانت تتلقى كميات كبيرة من مادة الخشب ومختلف المواد الضرورية لبناء السفن وتجهيزها وتسليحها[6].

(1)- الغماد هو صانع السيوف وغطاء السكاكين. أنظر عبد الله بن محمد الشويهد ،ص 93
(2)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص93.
(3)- حنيفي هلايلي، بنية الجيش ...،.المرجع السابق ص ص44-45.
(4)- أمين محرز، المرجع السابق، ص181.
(5)- أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته ...، المرجع السابق، ص329.
(6)- وليام شالر، المصدر السابق ، ص62.

كما خصصت الخزينة المالية مبالغ مهمة على النفقات المتعلقة بالأسطول البحري، ففي سنة 1822م خصصت مبلغا ماليا قدر ب ستين ألف دولار لشراء الخشب والحبال ومختلف اللوازم البحرية(1)، كما أن جل المعاهدات التجارية التي كانت تبرمها الجزائر مع دول أوروبا كانت تنص على أن جزءا معتبرا من آتاواتها من مادة الخشب.

وعرفت البحرية الجزائرية في مطلع القرن 19م عدة تحسينات من طرف الرايس حميدو الذي أعاد تنظيم البحرية الجزائرية، هذا ما مكنه من تحقيق عدة إنتصارات حاسمة(2).

وإهتمام السلطة بهذا النوع من الصناعة لفت إنتباه العديد من الأجانب الذين زاروا الجزائر، ويتضح ذلك جليا أن معظمهم أشاد بذلك، إذ ذكروا أن الجزائر كانت تمتلك أسطولا بحريا يتوفر على عدد معتبر من السفن بعضها تم شرائها وبعضها تم صنعه، وبعضها منح لهم من قبل الباب العالي(3).

وفي مايلي إحصائيات قام بها ديفوليكس ونشرها في المجلة الإفريقية، تبين تطور عدد السفن الحربية للأسطول الجزائري من سنة 1724 إلى1830م(4).

| الرقم | السنة | عدد السفن الحربية |
|---|---|---|
| 01 | 1724 | 25سفينة |
| 02 | 1734 | 14سفينة |
| 03 | 1760 | 60سفينة |
| 04 | 1799 | 12سفينة |
| 05 | 1815 | 30سفينة |
| 06 | 1822 | 12سفينة |
| 07 | 1825 | 14سفينة |

(1)- وليام شالر، المصدرسابق، ص60.

(2)-Devoulx (A), La marine…, Op ,cit, p195.

(3)- وليام شالر، المصدر السابق، ص62.

(4)-عبد الجليل رحموني، الجيش النظامي في الجزائر العثمانية من خلال المجلة الإفريقية، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والإجتماعية، ع12، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر2016، ص80.

| 08 | 1830 | 15سفينة |
|---|---|---|

فمن خلال الجدول يمكن أن نلاحظ إهتمام السلطة بصناعة السفن، والحرص على مضاعفة أعدادها لما لها من أهمية على قوة الإيالة، لكن أعدادها عرف تناقصا في مرحلة الدايات نتيجة للحملات العسكرية التي كانت تشنها الدول الأوربية.

وكان يشتغل بدار صناعة السفن النجارون المختصون في صنع الترسانة البحرية، في هذا الصدد يذكر سيمون بفايفر أنهم كانوا يبدون براعة في صنع مختلف أنواع السفن، إذ يصنعون السفن الشراعية السريعة وأحواض السفن، كما يقومون بإصلاحها وترميمها إذا تعرضت إلى الإتلاف(1)، وبذلك أصبحت مدينة الجزائر تتوفر على أحواض لصناعة السفن، فكانت تصنع فيها سفن كبيرة الحجم في العديد من المراسي كساحل باب الواد في حين تصنع السفن الاقل حجما على ساحل باب عزون(2).

فإهتمام السلطة بدعم صناعة السفن جعل الجزائر تمتلك أسطولا بحريا قويا اشاد به العديد من الأجانب كما ذكرا سالفا، بالرغم من تعرضه للعديد من الهجمات الأوروبية التي ساهمت في تحطيم قطعه، كما أن قوة هذا الأسطول جعله يتمتع بشهرة عظيمة تردد صداها أغاني الشعراء ويرتعد من ذكره الأطفال والعجائز والذي تسبب في إهانة الكثير من الدول(3)، لكن بالرغم من هذه القوة إلا أنه عرف تراجعا في أواخر مرحلة الدايات نتيجة لعدم مواكبته للتطورات الحاصلة في أوروبا خاصة فيما يتعلق بصناعة السفن.

مما سبق يمكن القول أن السلطة أولت عناية خاصة بالحرف التي تتعلق بصناعة السفن، ويظهر ذلك جليا في انتشار ورشات صناعة الأسلحة بمختلف أنواعها النارية الثقيلة والخفيفة، والأسلحة البيضاء، وورشات صناعة السفن في مختلف أنحاء الإيالة وحرصها على توفير المادة الأولية والسماح لأفراد الجيش في تعلم الحرف العسكرية والإنخراط في هذا النشاط، هذا ما جعل الجزائر تمتلك خلال مرحلة الدايات جهازا عسكريا قويا يتميز بالجاهزية القتالية، إذ استطاع القضاء على التمردات الداخلية التي كانت تحدث في العديد من

(1)- سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص168.
(2)- عائشة غطاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، ص99.
(3)- وليام شالر، المصدر السابق، ص63.

المناطق وفي كبح الأطماع التوسيعية من الحدود البرية الشرقية والغربية وفي صدّ الهجمات المتتالية للأساطيل الأوروبية على السواحل الجزائرية، إلا أن عدم اهتمام السلطة في أواخر مرحلة الدايات بتحديث صناعتها من خلال إدخال وسائل متطورة في الصناعة العسكرية مثلما كان جاريا في بعض دول أوروبا، أدى الى تراجع هذه الصناعة وعدم مواكبتها للتطورات الحاصلة في العالم وبالتالي ضعف الجهاز العسكري للجزائر في أواخر مرحلة الدايات.

**سادسا: انعكاسات النشاط الحرفي على النشاط التجاري**

كانت التجارة خلال هذه المرحلة من أبرز عناصر الثروة، إذ تعتمد عليها كل الشعوب لكي ترتقي الى مصاف الدول العظمى، فهناك تجارة مبنية على العلاقات الدولية، وتتم من خلال عملية التصدير والإستيراد التي تتم بين مختلف الدول، تعتمد اساسا على الأساطيل التجارية والتي هي عبارة من مجموعة من المراكب والسفن التي تستعملها الشركات والتجار لحمل البضائع.

وهناك تجارة محلية والتي تقوم في البلاد الواحدة[1] وكان للنشاط الحرفي دورا بارزا في تنشيط حركة المبادلات التجارية الداخلية والخارجية، لما لها من دور في توفير مختلف المنتوجات والخدمات للسكان، هذا ما إنعكس على المداخيل المالية لخزينة السلطة، لذلك سنحاول أن نتعرف على دور النشاط الحرفي في الترويج للنشاط التجاري الداخلي والخارجي، وإنعكاسات ذلك على الخزينة المالية للسلطة في الجزائر خلال مرحلة الدايات.

**1 - المبادلات الداخلية:**

ارتكزت المبادلات التجارية الداخلية في الجزائر خلال مرحلة الدايات على الأسواق التي كان لها دورا أساسيا في تنشيط المبادلات التجارية داخل المدن و مابين الأرياف والمدن، خاصة وأن هذه الأخيرة لم تكن تتوفر على العديد من الموارد الطبيعية التي تستخدم في النشاط الحرفي ،فكانت تنظم أسواقا اسبوعية وسنوية يتم فيها تبادل السلع بالنقود أو المقايضة.

فالأسواق شجعت على ظهور نوع من التكامل الاقتصادي الذي ربط بين مختلف انحاء الإيالة، وكانت مدينة الجزائر تعرف إزدهارا تجاريا ملحوظا بإعتبارها مقرا للسلطة من جهة، ومن جهة أخرى لوزنها الديمغرافي الذي جعل منها أول مركزا استهلاكيا في البلاد، تستقبل مختلف البضائع والمواد الأولية سواء من المناطق القريبة من المدينة أو من البياليك

(1)- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص78.

الثلاث، مما ساعد على إزدهارها تجاريا لجوء السلطة إلى إستراد المواد الأولية من العديد من الدول التي ساهمت في خدمة النشاط الحرفي، كما كانت السلطة تقوم بإستراد العديد من المنتوجات التي تعرف نقصا أو لا تتوفر في البلاد، إضافة إلى مساهمة العديد من التجار في جلب المواد الأولية الغير متوفرة بالإيالة حيث كان بنوا ميزاب يستوردون العبيد وريش النعام ويجلبونه إلى مدينة الجزائر التي عرفت إستقرار للعديد من السكان الذين تعود أصولهم من المناطق الصحراوية والداخلية والذين عرفوا بالفئة البرانية أو جماعة الدخلاء[1].

وقد ساهمت الأسواق في تحقيق نوعا من التكامل على مختلف الأنشطة الحرفية كونها كانت توفر للحرفيين المواد الخام كالصوف والجلود التي تجلب في الغالب من المناطق الريفية، كما كانت تمكّنهم من عرض منتوجاتهم التي كانت تلقى رواجا من السكان المحلين وحتى من الأجانب الذين يزورون الجزائر، وذلك نظرا لإتقان صنعتها[2]، فكانت تتوفر مدينة الجزائر لوحدها على حوالي ألفين حانوت، توزعوا على نحو ستين سوقا صغيرة وكبيرة، إضافة الى السويقات والفنادق والرحبات والمخازن التي تخزن فيها مختلف المنتوجات[3].

وفي مايلي جدول لبعض واردات مدينة الجزائر من مختلف المواد، من مختلف مناطق الإيالة والتي تعكس نشاط حركة المبادلات التجارية لهذه المدينة .

**قائمة لبعض واردات مدينة الجزائر من مختلف مناطق الإيالة:**

| | |
|---|---|
| بجاية | الخشب-الحديد- الادوات الحديدية |
| بسكرة | الجمال-التمور- الحناء-الحايك |
| البليدة | الصوف-البرانس-القماش |
| تلمسان | الحايك- البرانس |
| بايلك التطري | الصوف-الاغنام- القرمز |

(1)- وليام شالر، المصدر السابق، ص112.
(2)- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان...، المرجع السابق، ص63.
(3)- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص260-262.

| | |
|---|---|
| جيجل | الخشب |
| دلس | العنب |
| أوطان السلطان | الخضر-الفواكه-الخشب-الفخار |
| شرشال | العسل-العنب-التين |
| الصحراء | ريش النعام- الجمال- التمور |
| عنابة | المرجان- التبغ-الزبدة |
| بايلك االغرب | الحبوب-الخيل- الملح- المنتوجات النسيجية |
| بلاد القبائل | التين المجفف-الزيت-الزيتون- الصابون- الفحم- ملح البارود- الخشب |
| قسنطينة | القمح-الصوف-الجلود- البرانس- الزرابي |
| القل | الشمع-الجلود-الزيوت |
| معسكر | القرمز-البرانس(1) |

من خلال الجدول نلاحظ غنى مختلف أقاليم البلاد بمختلف المنتوجات هذا ما يعكس أن النشاط الحرفي كان يمارس في مختلف المدن والأرياف، إضافة الى غنائها بالمواد الأولية التي تعد عنصرا أساسيا لقيام مختلف الأنشطة الحرفية، وهذا التنوع انعكس إيجابا على حركة المبادلات التجارية بين مختلف مناطق البلاد خاصة مدينة الجزائر التي تعد الشريان الأساسي للمبادلات التجارية للبلاد.

ومن هنا نجد أن حركة المبادلات التجارية الداخلية إنعكست إيجابا على الخزينة المالية للسلطة، ذلك من خلال النظام الضريبي المفروض على الحرفيين والتجار، إذ كانت تفرض العديد من الضرائب على السلع الواردة أو الخارجة من الأسواق عن طريق أمناء الحرف وموظفين آخرين مثل المحتسب، شيخ البلد والخوجات، التي أوكلت لهم مهمة مراقبة الصناع

(1)- نقلا عن أمين محرز ،المرجع السابق، ص94-195.

ومواصفات السلع وسعرها وتحصيل الرسوم المستحقة على عملية البيع والشراء، التي كانت في صالح خزينة السلطة من خلال توفير مداخيل مالية مهمة[1].

لكن ما يلاحظ أن معظم الكتابات التاريخية تتفق أن إنتعاش التجارة الداخلية لم يبقى على الوضع الذي كان عليه في بداية مرحلة الدايات، وإنما عرفت التجارة الداخلية تراجعا وركودا في آخر هذه المرحلة خاصة في ظل تراجع الإنتاج الحرفي وتراجع إنتاج العديد من المواد الأولية،يمكن إرجاع ذلك إلى الإحتكارات الأجنبية التي كانت تقوم بها العديد من الشركات الأوروبية وخاصة الفرنسية على العديد من المواد الأولية، وهيمنة الاقلية اليهودية على أغلب المهن المربحة كالصياغة، وركود تجارة العديد من المنتوجات الحرفية، نتيجة لعجزها عن منافسة المنتوجات الأوروبية المستوردة .

وهو ما أكده الرحالة الألماني فيلهلم شيمبر الذي لخص وضع التجارة الداخلية للإيالة الجزائرية في آواخر مرحلة الدايات قائلا أن المبادلات التجارية الداخلية وصلت الى تدهور كبير، ويعود ذلك حسبه الى تراجع النشاط الصناعي الداخلي الذي أصبح في حالة يؤسف لها[2]، وهذا الوضع انعكس سلبا على الحرفيين الذين تراجعت مداخيلهم المالية مما إنعكس سلبا عليهم، حيث أصبحوا لا يكسبون إلا القليل من المال والكثير منهم تغير نمط حياتهم من الغنى إلى الفقر، حول ذلك يقول هانريش فون مالتسيان: "...وأحسن عامل بينهم (يقصد الحرفيين) لا يزيد دخله اليومي على فرنكين أما مدخول أغلبهم فيصل الى فرنك واحد أو دون ذلك...."[3].

## 2 ـ المبادلات التجارية الخارجية:

لم تقتصر المبادلات التجارية على المستوى المحلي فقط، بل عرفت البلاد خلال مرحلة الدايات حركة تجارية على المستوى الخارجي، ساهمت بقسط كبير في ترويج المنتوجات الحرفية المحلية التي كانت تزخر بها مختلف مناطق البلاد الحضرية والريفية، كما ساهمت كذلك في توفير المواد الأولية التي عرفت نقصا أو لم تعرف وفرة في من أجل توفيرها

(1)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص26-27.
(2)- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات ...، المرجع السابق، ص16.
(3)- هاينريش فون مالتسيان، المصدر السابق، ص66.

لمختلف الحرف الموجودة في البلاد، أما عن المنتوجات والمواد الأولية التي كانت يتم تداولها في التجارة الخارجية مع مختلف الدول سواء دول أوروبا، إفريقيا ودول المشرق الإسلامي، والتي سوف نفصلها في الجدول كالتالي:

| البلد | المواد المستوردة | المواد المصدرة |
|---|---|---|
| أهم الدول الأوروبية:فرنسا- ايطاليا- إسبانيا- انكلترا | العطور- الرصاص- الحديد- الأقمشة على اختلاف أنواعها- الحلي- الورق- الزليج | الصوف[1]- الجلود[2]- الشموع- المرجان- الحبوب. |
| تونس - المغرب- السودان- إيالة طرابلس- الحجاز | التبغ- الجناء- حجر الشب- ملح البارود- الورق- الحرير- العطور- الشواشي التونسية والجلود المغربية- المواد الجلدية | الحبوب- الشحوم- الزيوت- التمور- الأقمشة الصوفية- المرجان- الصوف- الجلود- ريش النعام- الحرير المنسوج- الفضة- أدوات الزينة[3] |

من خلال الجدول نلاحظ أن المبادلات التجارية الخارجية للجزائر تميزت بتنوع البلدان التي كانت تتعامل معها، إذ نجد: تونس، المغرب، السودان، طرابلس والحجاز إلى جانب دول أوروبا، حيث تعاملت بنسبة كبيرة دول جنوب أوروبا، كما نلمس تنوعًا في المنتوجات المصدرة والمستوردة ما بين منتوجات مصنعة ومواد أولية، وما يلاحظ كذلك أن مادة الصوف كانت تصدر إلى العديد من الدول خاصة دول أوروبا دون القيام بتحويلها الى

(1)- كانت تجارة الصوف في الجزائر محتكرة من قبل الشركة الملكية الافريقية والتي كانت تصدر الى مرسيليا، فمع القرن الثامن عشر اصبحت منطقة الشرق الجزائري لوحدها تصدر إلى مرسيليا حوالي 28 الف قنطار سنويا. والتي كانت تشغل عددا كبيرا من المصانع في مختلف انحاء فرنسا ، ينظر الى محمد العربي الزبيري، التجارة ....ص98.

(2)- الجلود: كانت هذه المادة تشكل عنصرا مهما من أهم عناصر التجارة التي تتعاطاها الشركة الملكية الإفريقية، وتعتبر مدينة القل في شرق البلاد من أكبر المناطق المنتجة لهذه المادة، إذ كانت تدفع إلى مرسيليا كميات كبيرة من الجلود أما عن طريقة البيع والشراء فكانت تتم بخروج أعوان مصحوبين بمحلات الى مختلف القبائل وكان بعض الجزائريين اللذين يحسنون اللغة الفرنسية هم اللذين يقومون بالعملية ويجمعون الجلود التي لا تسلم الى الشركة الا بعد ان تأتي المراكب البحرية، ينظر محمد العربي الزبيري، التجارة ...المرجع السابق، ص98.

(3)- محمد العربي الزبيري،التجارة .... المرجع السابق، ص ص83-104.

منتوجات نسيجية ، وبعد إطلاعنا على العديد من الكتابات التاريخية وجدنا أنه يمكن إرجاع ذلك إلى الإحتكار الذي مارسته الشركة الملكية الإفريقية خلال هذه المرحلة وإحتكارها لشراء هذه المادة من العديد من الأهالي، وعدم السماح لهم بالتصرف فيها بأنفسهم ذلك من خلال شرائها من قبل العديد من البايات وذلك من أجل تصديرها.

وهذا ما إنعكس سلبا على الصناعة النسيجية في البلاد، بعدما كانت العديد من المدن الجزائرية تشتهر بالمنتوجات النسيجية ذات الجودة العالية والتي كانت تصدر وتلقى رواجا في الأسواق الخارجية على سبيل المثال البرانس الشهيرة السوداء، ذات اللون الطبيعي التي إشتهرت بها مدينة معسكر والتي كانت تباع بأسعار مرتفعة في الاسواق الفرنسية[1].

ويعود تراجع الإنتاج النسيجي إلى عدم إستعمال وسائل جديدة يمكن أن تساهم في تطور هذا النوع من الصناعة، وهو ما ذكره لوسيت فالنسي إذ يقول إن هذا الركود يرجع إلى عدم إدخال وسائل حديثة مثلما حصل في أوروبا وبقاء الإعتماد على القدرة البشرية، وعدم إستخدام وسائل متطورة، وصغر الورشات، ويقدم مقارنة مع الورشات الموجودة في أوروبا في قوله:"...في ايكس منذ 1787م في أوليان منذ زمن أطول الإنتاج متمركز في منشآت اكبر حجما... ففي الجزائر تحول العامل الى محضر فاعل يدوي..."، وهنا يظهر الفرق جليا مابين الإيالة الجزائرية في أواخر مرحلة الدايات، إذ أصبحت غير مواكبة للتطورات الحاصلة في أوروبا[2].

وهنا تجدر الإشارة أن معظم المصادر المحلية والأجنبية تتفق على أن الإنتاج الحرفي خاصة في أواخر مرحلة الدايات كان موجها للإستهلاك المحلي أكثر منه للتسويق خارج البلاد بإستثناء بعض المنتوجات التي كانت تحقق فيها إكتفاءا وتلقى رواجا من قبل الأجانب، كالمصنوعات الحريرية والأقمشة المطرزة والبلاغي التي كانت تلقى رواجا من قبل

(1)- حمدان بن عثمان خوجة، مصدر السابق، ص97.
(2)- لوسيت فالنسي، المصدر السابق، ص ص66-68.

الأوروبيين بالرغم من أنها مصنوعة يدويا[1]، وأكد الرحالة الألماني فيلهم شيمبر على جودة المنتوجات الجزائرية وقدم مثلا حول صنع الأحذية التي تميزت بالإتقان والجودة[2].

كما أن طبيعة الحياة البسيطة للحرفيين[3] في البلاد هي التي جعلتهم يصنعون فقط ما يستهلكه سكانهم ولا يهتمون بإنتاج كميات كبيرة يمكن تصديرها إلى خارج أسواق البلاد[4].

وهذا النقص في الإنتاج أدى إلى إستراد الجزائر إلى العديد من المنتوجات التي يحتاجها السكان كالزرابي البرانس، العطور، الشواشي، الأقمشة، محافظ النقود، في الوقت الذي كانت فيه قبل هذه الفترة تقوم بإنتاج هذه المنتوجات الحرفية، وهنا نجد وصف هانريش فون مالتسيان الوضع الذي أصبح عليه الإنتاج الحرفي في الجزائر قائلا أن العديد من المواد الأولية التي يستعملها الحرفيين الجزائريين تأتي من خارج البلاد كما أن العديد من المنتوجات كالبرانس ومحافظ النقود، والشواشي التي يرتديها أصبحت من صنع فرنسي[5].

وكانت المبادلات التجارية بين الجزائر والأسواق الخارجية تتم عبر طريقتين:

- **الطرق البرية:**

يقوم بها الأهالي عن طريق البر إلى تونس،المغرب، بلاد السودان، طرابلس و الحجاز، بواسطة قوافل كبيرة عابرة للصحراء تربط مختلف الإتجاهات، تسيّرها وتحميها قبائل متخصصة في مجال التجارة أشهرها التوارق، الشعابنية والخنافسة، فمثلا كانت البلاد تصدّر إلى تونس التمور، الصوف، الجلود المدبوغة وريش النعام، ونستورد منها الأقمشة المطرزة والشواشي، تصدر إلى المغرب الحرير المنسوج، الفضة، أدوات الزينة، ونستورد المواد

(1)- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان...، المرجع السابق، ص63.
(2)-المرجع السابق، ص19.
(3)-و صف هانريش فون ماتسيان طبيعة الحياة البسيطة للحرفين الجزائريين بقوله أن الحرفيين الجزائريين كانوا يحبون ممارسة نشاطاتهم ويقومون به بكل اتقان بالرغم من قلة مداخيله بالنسبة له السبب الأساسي في عدم حرص الحرفيين على زيادة منتوجاتهم، للمزيد ينظر هانريش فون لتسيان، المصدر السابق، ص ص66-67.
(4)- هانريش فون ماتسيان، المصدر السابق، ص66.
(5)-المصدر السابق، ص33.

الجلدية المختلفة، نصدر إلى السودان وطرابلس الشحوم وزيت الزيتون، الأقمشة الصوفية، المرجان، ونستورد ملح البارود، الحرير والعطور[1].

كما تعاملت الجزائر مع العديد من دول المشرق العربي، وتكثفت حركة المبادلات التجارية مع هذه الدول أكثر في الفترة التي عرفت فيها البلاد غارات متكررة من قبل الأوروبيين على سواحلها، ومن أهم الدول التي تعاملت معها مصر، فكانت مدينة الإسكندرية محطة رئيسية للتجار الجزائريين، كما كانت تصدّر إلى إزمير الحياك الصوفية والعديد من المنتوجات الأخرى[2].

ولا نغفل أن نشير هنا إلى أنه بالرغم من تعدد الدول التي كانت تتعامل معها الجزائر خلال هذه المرحلة، إلا أنه وجدنا أن العلاقة التجارية بين الجزائر و تونس تميزت بكثافتها مقارنة بالدول الأخرى، ويمكن إرجاع ذلك إلى عدة إعتبارات أهمها:

ـ القرب الجغرافي بين الإيالتين خاصة مدينة قسنطينة عاصمة بايلك الشرق، التي إستحوذت إلى حصة الأسد في صلات الإيالة الجزائرية التجارية ،فحدودها كانت مفتوحة على الغرب التونسي [3].

ـ الإزدهار الإقتصادي الذي تميز به بايلك الشرق ببقية البايليكات الأخرة خاصة فيما يتعلق بوفرة العديد من المنتوجات الزراعية والحيوانية كالقمح ،الجلود ،الصوف ،هذا ما أدى إلى إزدهار تجارة القوافل بين وبين تونس، فكانت تقريبا تسير قافلة بصفة شهرية نحو تونس[4].

ـ تأثير الجزائر على مجريات العديد من الأحداث في تونس[5]، كل هذا سمح بتقديم تونس لمجموعة من الإمتيازات الإقتصادية خاصة في الفترة الممتدة من 1756إلى 1807 م [6].

(1)- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص ص101-104.
(2)- أرزقي شويتام ،المجتمع الجزائري ...، المرجع السابق، ص351-352.
(3)كوثر العايب ،العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات ،1711- 1830م ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير تخصص تاريخ الحديث والمعاصر ،كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية ،جامعة الوادي،2014، ص56
(4)محمد العربي الزبيري ،التجارة الخارجية...،المرجع الشابق ،ص ص 152 153
(5) يظهر ذلك من خلال الإنتصارات التي حققتها ضد تونس في الكثير من الأحيان هذا ما جعلها محل مهابة من حكامها ،إضافة إلى نجاح الجزائر في مهامها السياسية من خلال تنصيب حلفائها على العرش ،أنظر كوثر العايب ،المرجع السابق ،ص52
(6) كوثر العايب ،المرجع السابق ،ص ص 52 53

وتحتوي مراسلات خاصة بالهدايا والعوائد والأداء السنوي الصادر من إيالة تونس إلى الدولة العثمانية سنة1795م، ما يؤكد هذا الإرتباط حيث ذكرت هذه المراسلات الإيالة الجزائرية[1] .

- **الطرق البحرية:**

كانت تتم عبر الموانئ البحرية، إذ إرتبطت موانئ ليفورنة، جنوة، مارسيليا، تطوان، تونس والإسكندرية بموانئ الجزائر، وكان ميناء مدينة الجزائر أهم ميناء يستقبل معظم المواد المستوردة إضافة إلى موانئ أخرى ثانوية كميناء بجاية، جيجل، دلس وتنس[(2)] وكانت تصدر الجزائر كميات كبيرة من الحبوب لمرسيليا، كما كانت تصدر ايضا الزيوت، الشمع، الصوف، الجلود، التمر، ريش النعام، وفي مقابل ذلك كانت تستورد الأقمشة القطنية والحريرية، العتاد الحربي، صفائح الحديد، النحاس والرصاص، الزجاج، الزليج ، الآجوروالأعشاب الطبية[(3)].

مما سبق يمكن القول أن وفرة المواد الأولية وتنوع المنتوجات الحرفية، ساهم مساهمة فعالة في تنشيط حركة المبادلات التجارية الداخلية من خلال توفيرها تقريبا كل مايحتاجه المجتمع الجزائري من منتوجات وخدمات، كما ساهم في تنشيط حركة المبادلات التجارية الخارجية، والتي تظهر بشكل واضح في تنوع المواد المصدرة نحو العديد من الدول، هذا ما ساهم في توفير مداخيل مالية لخزينة السلطة.

(1) الأرشيف الوطني التونسي ،الصندوق 220 ،الملف 349، ينظر الملحق رقم 11.
(2)- أمين محرز، المرجع السابق، ص ص197-198.
(3)- عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص34.

# الخاتمة

## الخاتمة

من خلال دراستنا لموضوع السلطة والنشاط الحرفي في الجزائر خلال فترة الدايات (1671 -1830م)، يمكننا أن نستخلص مجموعة من الإستنتاجات أهمها:

ـ أصبحت الجزائر خلال مرحلة الدايات تسير بنظام خاص يختلف عن المراحل التي سبقتها، ميزته الأساسية أنه يجمع مابين الصبغة المدنية والعسكرية.

ـ تميز الهيكل التنظيمي للسلطة السياسية في الإيالة الجزائرية خلال مرحلة الدايات بالتنظيم المحكم، ذلك من خلال وجود هيئة من الموظفين السامين، ويأتي الداي في أعلى هرم السلطة، فهو صاحب السلطة السياسية الأولى في الإيالة، له دورا مهما في إدارة شؤونها في مختلف المجالات بمساعدة من الموظفين الذين يمثلون جهاز السلطة.

ـ قسمت إيالة الجزائر إلى أربعة مقاطعات إدارية عرفت بالبايلك ، وكان كل بايلك مقسم إلى أجزاء تعرف بالأوطان، ويحتوي كل وطن على مجموعة من القبائل والأعراش والدواوير، يمثل الباي صاحب السلطة السياسية الأولى في البايليك، يعين من قبل الداي الذي تربطه علاقة مباشرة بالسلطة المركزية في العاصمة، كما تربطه علاقة مع الزعامات المحلية والمتمثلة في القياد وشيوخ القبائل والأعراش، ليكونوا كوسطاء بين السلطة والسكان، ويضمنوا خضوعهم لها من خلال فرض نظام ضريبي، الذي كان له دورا مهما في إثراء الخزينة المالية السلطة.

ـ أظهرت الدراسة إسهام جل شرائح المجتمع في النشاط الحرفي خاصة في المدن، بإعتبار هذه الأخيرة ضمت عناصر مختلفة سواءا من السكان الأصليين أو العناصر الوافدة من مختلف المناطق الداخلية والريفية، والتي ساهمت بدورها في تنويع وخدمة النشاط الحرفي في المدن، وبدى بشكل واضح تأثير العنصر الأندلسي على مختلف الأنشطة الحرفية، وذلك من خلال إدخال تقنيات جديدة ساهمت في تطوير النشاط الحرفي ومنتوجاته، كما برز كذلك إحتكار بعض الفئات للعديد من الحرف كإحتار اليهود لحرفة الصياغة، الأندلسيون لحرفة البناء والحرارة.

ـ إشتملت إيالة الجزائر على أغلب مايحتاجه السكان من منتوجات وخدمات، هذا ما أدى إلى تنوع النشاطات الحرفية والتي قسمت إلى ثلاث مجموعات:حرفا إنتاجية، حرفا خدماتية وحرفا تسويقية، مما يعكس التنوع الحرفي في البلاد،كما نجد أن بعض الحرف التي حظيت بإهتمام كبير من الحرفيين، هذا ماأدى إلى جودة منتوجاتها كحرفة النسج، الدباغة، الحرارة، صناعة الأسلحة، مما جعلها تلقى رواجا واسعا في الأسواق بل وحتى أصبحت تنافس المنتوجات الأوربية في جودتها وإتقان صنعتها.

ـ تميز التنظيم الحرفي بشكله الهرمي، إذ يأتي في القمة أمين الأمناء وفي أسفل قاعدته المتعلم، كما خضع تسيير الجماعة الحرفية إلى تنظيم داخلي محكم، كان يقوده أمين الجماعة، وهو صاحب السلطة العليا في الإشراف على جماعته الحرفية وتنظيمها، وهو بمثابة حلقة وصل بين السلطة والجماعات الحرفية.

ـ شكلت الجماعات الحرفية إطارا إقتصاديا وإجتماعيا للحرفيين، فالجماعات الحرفية بصفة عامة كانت تضم معظم الحرفيين، بإستثناء بعض الحرفيين الذين كانوا يزاولون نشاطهم بطريقة غير منظمة، أو النساء اللواتي كنّ يزاولن حرفهن في المنازل، ومن الملامح التي تبدوا بارزة في هذا التنظيم هي التكافل والتضامن بين أفراد الجماعة الواحدة، تقسيم العمل خاصة في الحرف المتفرعة أو المكملة لبعضها البعض كحرفة الخياطة، الدباغة، إضافة إلى وراثة الحرفة داخل الأسرة الواحدة، كما تميزت العديد من الجماعات الحرفية بالإنغلاق الحرفي خاصة تلك التي ضمت العناصر الوافدة والمعروفة بفئة البرانية.

ـ كان النشاط الحرفي أكثر تمركزا وتنظيما في المدن مقارنة بالأرياف، لأن هذه الأخيرة يعد فيها النشاط الزراعي والرعوي أساسا لمعيشة سكانها، وساهمت المناطق الريفية في وفرة العديد من المواد الأولية ذات المصدر الحيواني والنباتي لمختلف الأنشطة الحرفية.

ـ تعاطى عناصر الجيش بمختلف مراتبهم العديد من الأنشطة الحرفية والتجارية، كما إنخرطوا في العديد من التنظيمات الحرفية، وما نلمسه أنهم لم يمتهنوا جل الحرف وإنما إستأثروا على عدد منها كالحفافة، البابوجية، الخياطة، القنداقجية، كما نجد كذلك حركة

إنخراط الحرفيين في الجيش لكن بنسب قليلة جدا، ومايعكس ذلك سكوت العديد من المصادر التاريخية عن التفصيل فيها.

ـ إعتمد النشاط الحرفي في الجزائر بشكل أساسي على المواد الأولية المتوفرة في البلاد كالصوف، الجلود والخشب، وفي المقابل كانت تلجأ السلطة إلى إستراد العديد من المواد التي عرفت نقصا ذلك في إطار خدمة النشاط الحرفي والحرفيين،وفي مقابل ذلك نجد أن سياسة الإحتكار التي قامت بها العديد من الشركات الأوربية بعدما سمحت لها السلطة في البلاد، أدت إلى إحتكار تجارة العديد من المواد الأولية كالصوف والجلود، مما أثر سلبا على النشاط الحرفي.

ـ جل الأنشطة الحرفية في البلاد كانت تمارس داخل مؤسسات حرفية كالدكاكين، الأسواق والورشات، مما بيّن التنظيم المحكم للنشاط الحرفي ،ويبطل ماتداولته العديد من من الكتابات التاريخية التي ذكرت ذلك، ولم تقتصر داخل المدينة بل إمتدت إلى خارج أسوارها أين أقيمت ورشات مختلفة.

ـ خضعت المؤسسات الحرفية والتجارية إلى الرقابة من قبل السلطة، وذلك بوساطة من مجموعة من الموظفين، الذين ساهموا إسهامًا فعليًا في تنظيم قواعد الإنضباط داخلها، من خلال تسييرها وضمان السير الحسن لنشاطها، سواءا من حيث مراقبة المنتوجات ومطابقتها للقواعد المتعارف عليها والتقيد بالأسعار، فمراقبة المؤسسات الحرفية كانت إحدى المسائل ذات أولية بالنسبة للسلطة السياسية.

ـ عرفت البلاد خلال مرحلة الدايات سلسلة من الأوبئة، الأمراض والكوارث الطبيعية التي أضرت بالنشاط الحرفي، من خلال تقلص اليد العاملة للعديد من الحرف نتيجة لإرتفاع عدد الوفيات وإنخفاض في إنتاج العديد من المواد الأولية ذات المصدر النباتي والحيواني، خاصة في ظل عجز السلطة عن مواجهتها، بسبب عدم وجود سياسة واضحة من قبلها من اجل التصدي لها.

ـ أولت السلطة إهتماما خاص بمسألة الفصل في النزاعات بين الحرفيين والجماعات الحرفية، حيث كان الدايات أو البايات هم من يتولون بأنفسهم الفصل فيها، كما كانوا يلجأون في الكثير من الأحيان إلى القضاة الذين يمثلون سلطتهم ،وحضيت قضايا التسعيرة وضبط قواعد ممارسة الصنعة عناية خاصة، والتي كثيرا ما تكون محل نزاع بين الحرفيين ،مكا كان مجال التفاوض بين السلطة والحرفيين قائما بوساطة من أمناء الجماعات الحرفية، وهذا مايظهر لنا فعالية نظام الفصل في النزاعات المعمول به ،والذي ساهم أنذاك في الحد من الشكاوي وتطبيق القوانين وإنصاف المتضررين وحفظ حقوق الحرفيين الشكاوي.

ـ خضع الحرفيين إلى نظام جبائي محكم ودقيق وضعته السلطة، ويظهر ذلك من خلال تنوع الضرائب وطريقة جبايتها، فكانت نوعية الضرائب تفرض على الحرفيين حسب نوعية الحرفة ومردودها، وذلك بواسطة من شيخ البلد وأمناء الجماعات الحرفيين والذين كانوا ملتزمين أمام السلطة، كما كان للحرفيين دورا مهما في تقديم خدمات للسلطة، ذلك من خلال تزويدهم بما يحتاجونه من منتوجات وخدمات متنوعة.

ـ ساهمت السياسة الضريبية التي طبقتها السلطة في التأثير سلبا على الحرفيين خاصة في الفترة التي تعرف فيها البلاد الأوبئة والكوارث الطبيعية، التي عصفت بها في أواخر مرحلة الدايات، فبعد الإنكماش الإقتصادي الذي عرفته البلاد نتيجة لتراجع مداخيل الأسطول البحري، وسيطرة الإحتكارات الأجنبية على المبادلات التجارية الخارجية للجزائر، ركزت السلطة على النشاط الحرفي ليكون موردا ماليا لخزينتها.

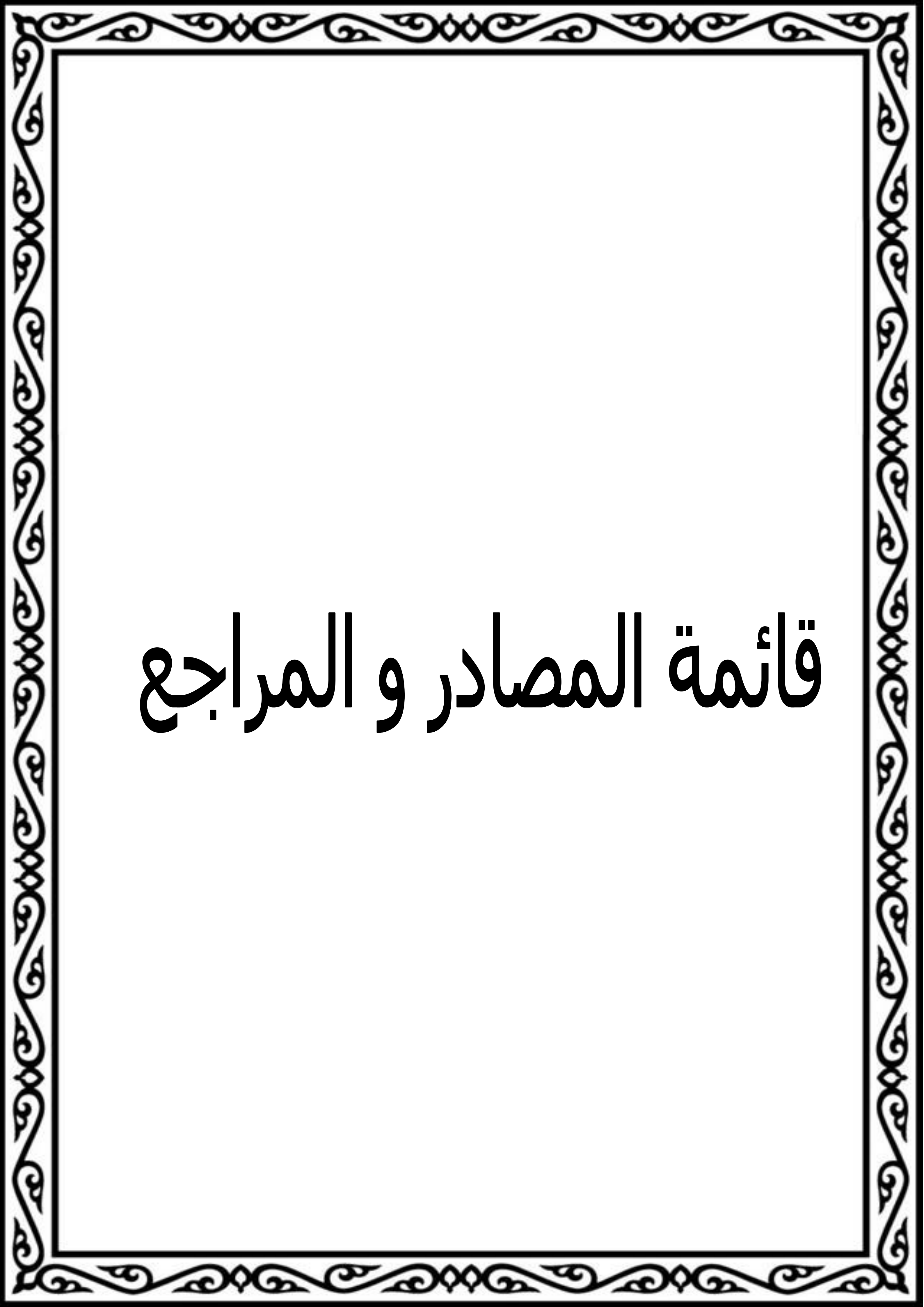
ـ أولت السلطة عناية خاصة بالحرف العسكرية كصنع الأسلحة بمختلف أنواعها وصناعة السفن، ذلك لما لها من اهمية على الجانب السياسي و العسكري للبلاد، إلا أن الإعتماد على الأوربيين من الأسرى المسيحيين خاصة فتح باب الإعتماد على الخبرة الأجنبية،هذا ماجعل هذا النوع من الصناعة يعرف عجزا في أواخر مرحلة الدايات .

ـ ساهم النشاط الحرفي في تنشيط حركة المبادلات التجارية على المستوى المحلي، ذلك من خلال توفير مختلف المنتوجات للسوق المحلية، إضافة إلى دورها في تنشيط حركة المبادلات التجارية الخارجية من خلال تسويق المنتوجات المحلية إلى الخارج، والرسوم التي

تدفع على السلع الواردة، كل هذا ساهم في وفرة موردا ماليا مهما ساهم في وفرة وإنتعاش الخزينة المالية للسلطة.

ومن هنا يمكن القول أن الفترة الأخيرة من مرحلة الدايات عرف فيها النشاط الحرفي في إيالة الجزائر ركودا واضحا، وذلك نتيجة للمحافظة على الأساليب التقليدية، وتكريس الأساليب المتوازنة وسياسة الحرفيين المتوجهة إلى سد حاجيات السكان المحليين دون تحقيق فائضا للتسويق الخارجي، وعدم مواكبة التطور الحاصل في أوربا من إدخال وسائل متطورة، إضافة إلى إحتكار الشركات الأجنبية خاصة الفرنسية للعديد من المواد الأولية، الضرائب الثقيلة المفروضة على الحرفيين، إضافة إلى الأوبئة، الأمراض والكوارث الطبيعية التي شهدتها البلاد خلال هذه الفترة، كل هذا أثر سلبا على النشاط الحرفي مما تسبب في ركود المنتوجات الحرفية المحلية، وغزو المنتوجات الأوروبية للسوق المحلية خاصة في ظل عجز المنتوجات المحلية عن منافستها، كل هذا حال دون إرتقاء النشاط الحرفي في إيالة الجزائر وتحوله إلى صناعات متطورة مثلما حصل في أوربا.

وبهذه الإستنتاجات نكون قد حاولنا الإجابة على مجمل التساؤلات التي طرحناها في بداية بحثنا ولو بشكل جزئي، ونرجوا أن تكون محاولاتنا قد وفقت في سدّ جانب من جوانب تاريخنا الوطني، وأعطت الموضوع حقه من الدراسات والبحث وسيبقى مجال البحث مفتوحا في هذا المضمار، طالما لا تزال بعض المسائل تحتاج إلى دراسة وتمحيص، لأن الدراسات التاريخية لا تتوقف بسبب ظهور وثائق جديدة تزيد في إثراء الموضوع.



# قائمة المصادر و المراجع

**قائمة المصادر و المراجع :**

**الارشيف :**

1. الأرشيف الوطني الجزائري، **سجلات بيت المال** ، العلبة 36 الشجل 375 ،العلبة 4 السجل 9.، **العلبة 12 السجل 68**، العلبة 34 السجل 329 .
2. الأرشيف الوطني التونسي ، **الصندوق 220 الملف 349**

**المصادر و المراجع باللغة العربية :**

**أ. المصادر :**

**3.** بفايفر سيمون . مذكرات جزائرية عشية الإحتلال ، تعريب و تقديم : أبو العيد دودو ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1974.

**4.** بن العنتري محمد الصالح . فريدة منسية في حالة دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على أوطانها ، تحقيق و تقديم : يحي بوعزيز ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1992.

**5.** بن العنتري محمد الصالح . مجاعات قسنطينة : تحقيق و تقديم ، رابح بونال الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1974.

**6.** خوجة حمدان المرآة . تقديم و تعريب و تعليق ، محمد العربي الزبيري ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982 .

**7.** خوجة حمدان. إتحاف المنصفين والأداب في الاحتراس عن الوباء، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، ش،و،ن،ت ، الجزائر، 1968.

**8.** ديفولكس ألبير . خطط مدينة الجزائر من خلال مخطوط ديفلوكس و الأرشيف العثماني ، ترجمة و تحقيق : مصطفى بن حمو بدر الدين بلقاسمي المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 2004.

**9.** الزهار أحمد الشريف . مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار ، مراجعة و تحقيق : أحمد توفيق المدني ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1974.

**10.**شالر وليام . مذكرات القنصل الأمريكي ، وليام شالر ، 1816 ، 1824 ، تعريب و تعليق و تقديم : اسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982.

**11**.الشويهد عبد الله بن محمد . قانون أسواق مدينة الجزائر ، 1695 –1705 م ، تحقيق : تقديم و تعريب ، ناصر الدين سعيدوني ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 2006.

**12**.فندلين شلوصر . قسنطينة أيام أحمد باي 1832–1837 م ، ترجمة و تقديم : أبو العيد دودو ، الجزائر

**13**.كاثكارت جيمس لياندر . مذكرات أسير الذي كاثكارت ، قنصل أمريكا في المغرب ، ترجمة : تعليق و تقديم ، اسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982.

**14**.كورين شوفاليه . الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر – م ، ترجمة : جمال حمادنة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2007 .

**15**.لوسيت فالنسي . المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر ، 1790–1830م ، ط1 ، ترجمة : الياس مرقص ، دار الحقيقة ، بيروت .

**16**.مجهول . كتاب غزوات و خير الدين ، تصحيح و تعليق ، نور الدين عبد القادر ، الكطبعة الثعالبية و المكتبة الادبية ، الجزائر ، 1934.

**17**.محمد بن ميمون الجزائري . التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تحققيق و تقديم : محمد بن عبد الكريم ، ط2 ، الشرطة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1972.

**18**.محمد بن يوسف الزياني . دليل الحيران و انيس السهران في اخبار مدينة وهران ، تقديم و تعليق المهدي بوعبدلي ، الشرطة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1979.

**19**.المزاري أغا بن عودة . طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر ، تحقيق يحي بوعزيز ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1990.

**20**.هاينريش فون مالتسيان . ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا ، ترجمة : أبو العيد دودو ، ج1 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1976.

**21**.الورتيلاني حسين بن محمد . نزهة الأنظار في علم التالريخ و الأخبار ، تحقيق : محفوظ بوكراع و عمار بسطة ، المجلد 2 ، المعرفة الدولية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2011.

**22**.وولف جون ب. الجزائر و أوربا 1500–1800م ، ترجمة : ابو القاسم سعد الله ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009.

**ب/ المراجع :**

**23**.آلتر عزيز سامح . الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية ، ترجمة د.محمود علي عامر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1989.

**24**.حنيفي هلايلي. اوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى للطباعة والنشر، ط1، الجزائر، 2008.

**25**.عبد الرحمان الجيلالي. تاريخ الجزائر العام، ج3، د،م، ج، الجزائر، 1982.

**26**.محمد العربي الزبيري. التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة مابين 1792م .1830م ، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 .

**27**.غطاس عائشة.الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1830.1700م، منشوراتANEP، الجزائر،2007.

**28**.غطاس عائشة . الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر2007 .

**29**.محرز أمين . الجزائر في عهد الأغوات 1659–1671 ، دار البصائر للنشر و التوزيع ، ط1 ، الجزائر ، 2011.

**30**.شويتام أرزقي . المجتمع الجزائري و فعالياته خلال العهد العثماني 1519–1830 م ، دار الكتاب العربي ، ط1 ، الجزائر ، 2009.

**31**.سبنسر وليام . الجزائر في عهد رياس البحر ، تعريب : عبد القادر زيادية ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2007.

**32**.خلاصي علي . الجيش الجزائري في العصر الحديث، دار الحضارة للنشر، ط1، الجزائر .

**33**.سعيدوني ناصر الدين . النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800–1830)،ش،و،ن،ت، الجزائر، 1979 .

**34**.درياس لخضر. المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ،دار الحضارة للنشر، ط1، الجزائر،2007.

**35**.جيمس ويلسون ستفانس. الأسرى الامريكان في الجزائر 1785–1797م، تر: علي تابلية، دار النشر تالة، الجزائر، 2007.

**36**.سعيدوني ناصر الدين . دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1986.

**37**.سعيدوني ناصر الدين . ورقات جزائرية: دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2000.

**38**.عمور عمار . الجزائر بوابة التاريخ ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2009 ،

**39**.سعيدوني ناصر الدين . المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني في المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

**40**.غطاس عائشة . الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700–1830 م ، منشورات anep الجزائر ، 2007.

**41**.عباد صالح . الجزائر خلال الحكم الشرعي 1514–1830 ، دار هومة الجزائر ، 2005.

**42**.سعيدوني ناصر الدين . دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984.

**43**.بوحوش عمار . التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962 ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 1997 .

**44**.سعد الله أبو القاسم . تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10 إلى القرن 14 هـ ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1984.

**45**.هلايلي حنيفي . بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني ، ط1 ، دار الهدى للنشر ، الجزائر ، 2007.

**46**.عبد القادر نور الدين . صفحات في تاريخ الجزائر من أقدم عصورها الى انتهاء العهد التركي ، كلية الآداب الجزائرية ، قسنطينة ، 1965.

**47**.درياس لخضر . المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، دار الحضارة للنشر ، ط1 ، الجزائر ، 2007.

**48**.سعيدوني ناصر الدين . موظفوا الدولة الجزائرية في القرن التاسع عشر ، منشورات وزارة الثقافة و السياحة ، الجزائر ، 2009.

**49**.عميرواي حميدة . الجزائر في أدبيات الرحلة و الاسر خلال العهد العثماني ، مذكرات تيدنا نموذجا ، دار الهدى ، الجزائر ، 2003.

50. قنان جمال . نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر ، الحديث 1500 –1830 م ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1981.

51. المريوش المنور . دراسات عن الجزائر في العهد العثماني ، العملة ، الأسعار ، المداخيل ، ج1 ، دار النشر القصبة ، الجزائر ، 2009.

52. ابن منظور جمال الدين . لسان العرب ، تحقيق : عبد الله هاشم محمد الشادلي ، دار صادر ، بيروت ، 2010.

53. دودو أبو العيد . الجزائر في مؤلفات الرحالين الآلمان 1830-1856م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1975 .

54. سعد الله أبو القاسم .أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، قدار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1993.

55. موساوي القشاعي فلة . الواقع الصحي و السكان في الجزائر أثناء العهد العثماني و أوائل الاحتلال الفرنسي 1518–1871 م ، منشورات بن سنان ، الجزائر ، ب.ت.

**3/ المصادر و المراجع باللغات الأجنبية :**

55. **A Berbrugger, Charte des Hopitaux chrétiens en 1694, R.A , n°8, Alger, 1864.**
56. **Devoulx (A), La Marine Régence d'Alger, R.A, n°13, Alger, 1869**
57. **Devoulx(A), Le registre des prises maritimes, R.A ,n°16, Alger, 1872.**
58. **Djillali Sari, Les villes précoloniales de l'Algérie occidentale(Nedroma-mazouna-Kala), S.N.E.D, Alger, 1978.**
59. **Eugéne Robe, Essai sur l'histoire de la propriété en Algérie, imprimerie de degand, Bone, 1848**
60. **Jean Marchika , La peste en afrique septentriole : histoire de la peste en algerie de 1363 a 1830 ;julien carbonel , Alger ,1927.**
61. **Lamarque Léance, Recherche historique sur la médecine dans la régence d'Alger imp Baconner, Alger, 1951**
62. **Louis Rinn. Le royaume d'Alger sous le dernier dey, Adolphe Jourdan imprimeur libraire éditeur, Alger, 1900.**
63. **Mahfoud Kaddache, L'Algérie durant la période ottomane , O.P.U, Alger, 2003**
64. **Rinn.L, Le royaume d'Alger sous le dernier Dey, R.A, Alger, n°41, Alger, 1897**
65. **ROSET. M, Voyage dans la régence d'Alger, Trthus Bertrand. Libraire Edition, Paris, T2.**
66. **Saidouni Nacerddine, L'Algérois rural à la fin de l'époque ottoman (1791-1830), Dar al-gharb al-islami, Beyrouth, 2001.**
67. **Show (T) voyage dans les regence d'Alger, trad de l'anglais par : J. Mac carthy, Marline éditeur, Paris, 1830 .**

**68. Tacherifat, recceil de notice historique sur l’administration de l’ancienne regions d’alger pub par A Devoulx, Alger.**
**69. Venture De Paradis Tunis et Alger au 18 e siécle, mémoire et observation, rassemble présentés par Joseph cuoq, éd sindbad, Paris, 1983**
**70. Venture De Paradis, Tunis et Alger en 18 é siécle, Paris,ed sandbad, 1983**
**71. Venture De Paradis, Alger au 18é siécle, R.A, n°40, Alger, 1896**
**72. Walsin Esterhazy, De la domination turque dans l’ancien régence d’Alger, lib de Charles Glosslin, Paris, 1840**
**73. Walsin Esterhazy, De la domination turque dans l’ancien régence d’Alger, lib de Charles Glosslin, Paris, 1840**

**4/ المجلات والدوريات :**

**74**.غطاس عائشة . الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني في مجلة الثقافة ، العدد 76 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1978.

**75**.سعيدوني ناصر الدين . الاحوال الصحية و الوضع الديمغرافي في الجزائر ، أثناء العهد التركي ، مجلة الثقافة ، العدد 92 ، الجزائر ، 1986.

**76**.سعد الله أبو القاسم . كعبة الطائفين ، مخطوط جزائري ، المجلة التاريخية المغربية ، العددج 87 ، تونس ، 1977.

**77**.قداش محفوظ . الجزائر في العهد التركي ، مجلة الأصالة ، العدد 52 ، الجزائر . 1977.

**78**.هلايلي حنيفي . النشاط الاقتصالدي في مدينة الجزائر العثمانية ، مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية ، العدد 62 ، دار الهدى ، قسنطينة ، 2008.صحراوي عبد القادر ، الأسواق في مدينة الجزائر العثمانية و انظمة التعامل التجاري من خلال مخطوط قانون الأسواق ، مجلة الحوار المتوسطي ، العدد 01 ، مارس 2009 .

**79**.التميمي عبد الجليل . أول رسالة من اهالي مدينة الجزائر الى سليم الاول سنة 1519 م ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 6 ، 1976.

**80**.رحموني عبد الجليل . الجيش النظامي في الجزائر العثمانية من خلال المجلة الافريقية للدراسات التاريخية و الاجتماعية ، العدد 12 ، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس ، الجزائر ، 2016.

**81**.حمدادو بن عمر . واقع الحياة الثقافية و الفكرية في أواخر العهد العثماني ببايلك الغرب ، حخوليات التاريخ و الجغرافيا ، العدد 4 ، الجزائر .

**5/ الرسائل الجامعية والأطروحات:**

**82**.بلبروات بن عتو . المدينة و الريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني ، رسالة دكوراه ، جامعة وهران ، 2008.

**83**.موساوي القشاعي فلة . الصحة و السكان في الجزائر اثناء العهد العثماني و اوائل الاحتلال الفرنسي 1518-1871 ، رسالة دكتوراه تحت اشراف الدكتور ناصر الدين سعيدوني و الاستاذ دانيال بانزاك ، الجزائر 2003.

**84**.آيت حبوش حميد . المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني ، 1519 -1830 م على ضوء المصادر الاوربية ، رسالة ماجيستر ، سيدي بلعباس ، 2009.

**85**.كشود حسان . روالبت الجند و عامة الموظفين و أوضاعهم الاجتماعية و الاقتصادية بالجزائر العثمانية ، مذكرة ماجيستر ، جامعة منتوري قسنطينة ، 2008.

**86**.صغيري سفيان . العلاقات الجزائرية العثمانية خلال العهد الدايات في الجزائر ، مذكرة ماجيستر ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2012.

**87**.حماش خليفة . الاسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني ، رسالة دكتوراه ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2006.

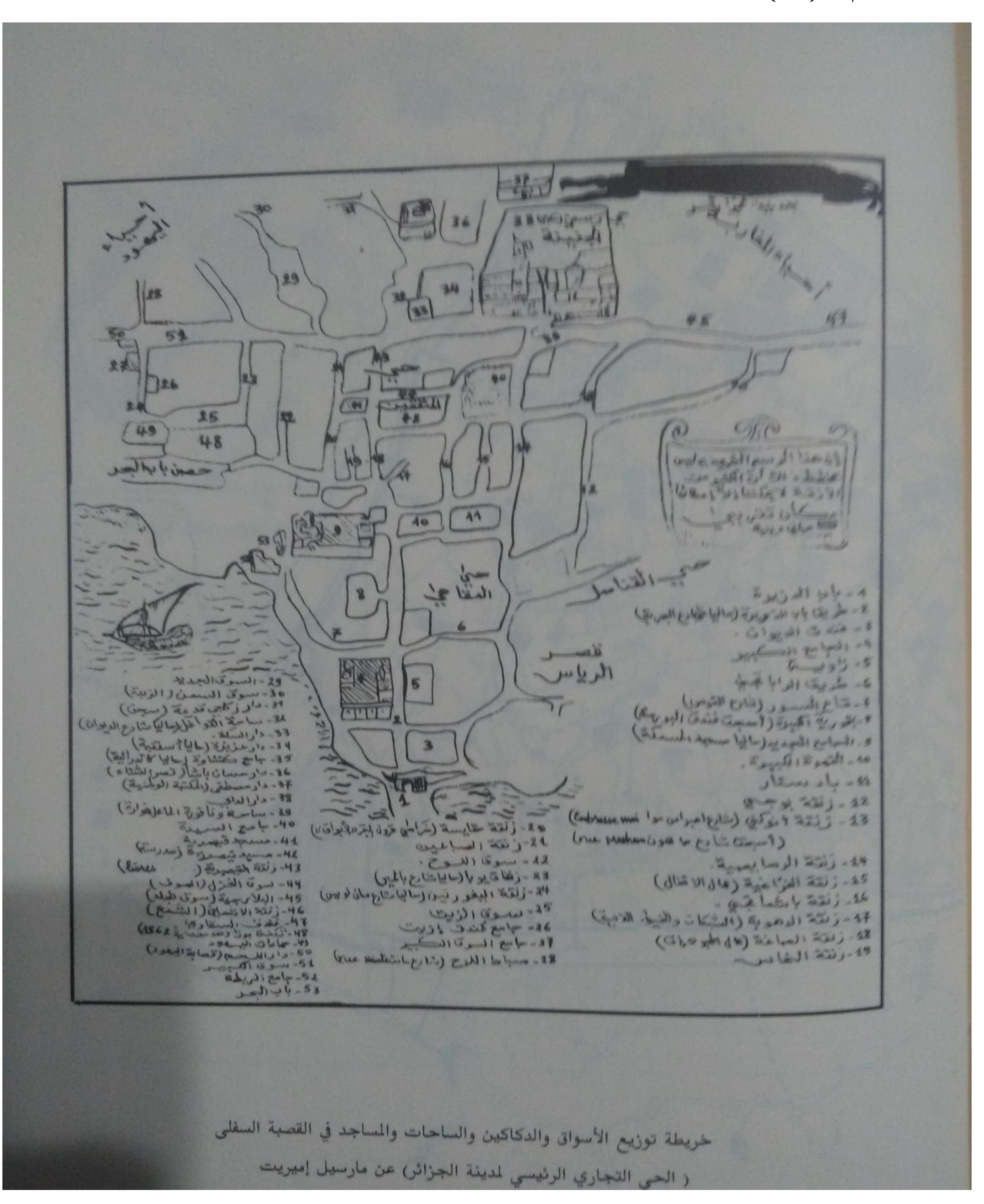
**88**.سعيدي خير الدين . المجاعات و الأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني 1700-1830 م ، رسالة دكتوراه ، جامعة قالمة ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ، 2019.

89.داود ميمن . الجيش الجزائري خلال الفترة العثمانية ، تنظيمة و عدته 15187-1830 ، رسالة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، 2016.



# الملاحق

**الملحق رقم : (01)**

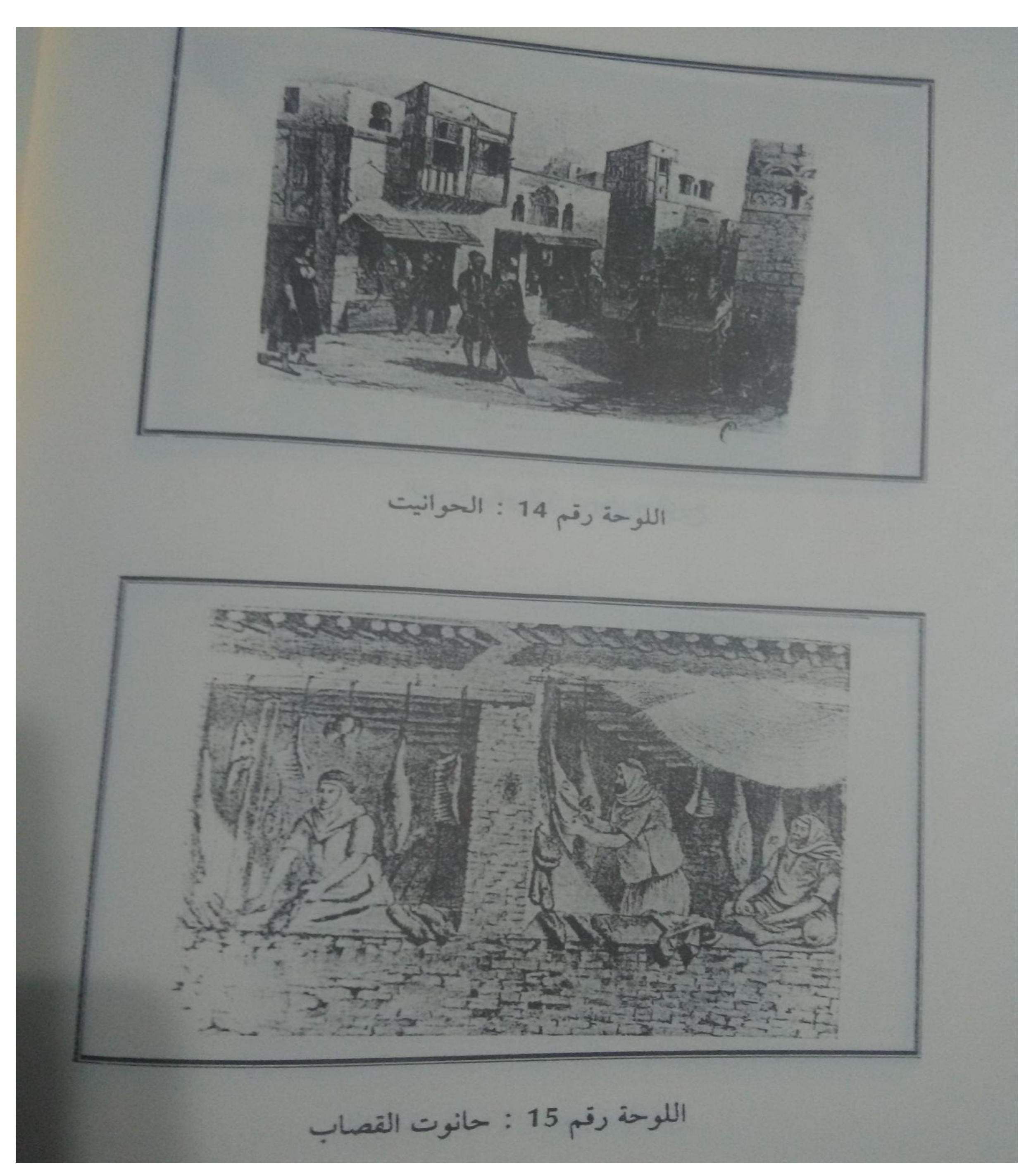



خريطة توزيع الأسواق والدكاكين والساحات والمساجد في القصبة السفلى

( الحي التجاري الرئيسي لمدينة الجزائر) عن مارسيل إميريت

نقلا عن : قانون أسواق مدينة الجزائر ، ص 197.

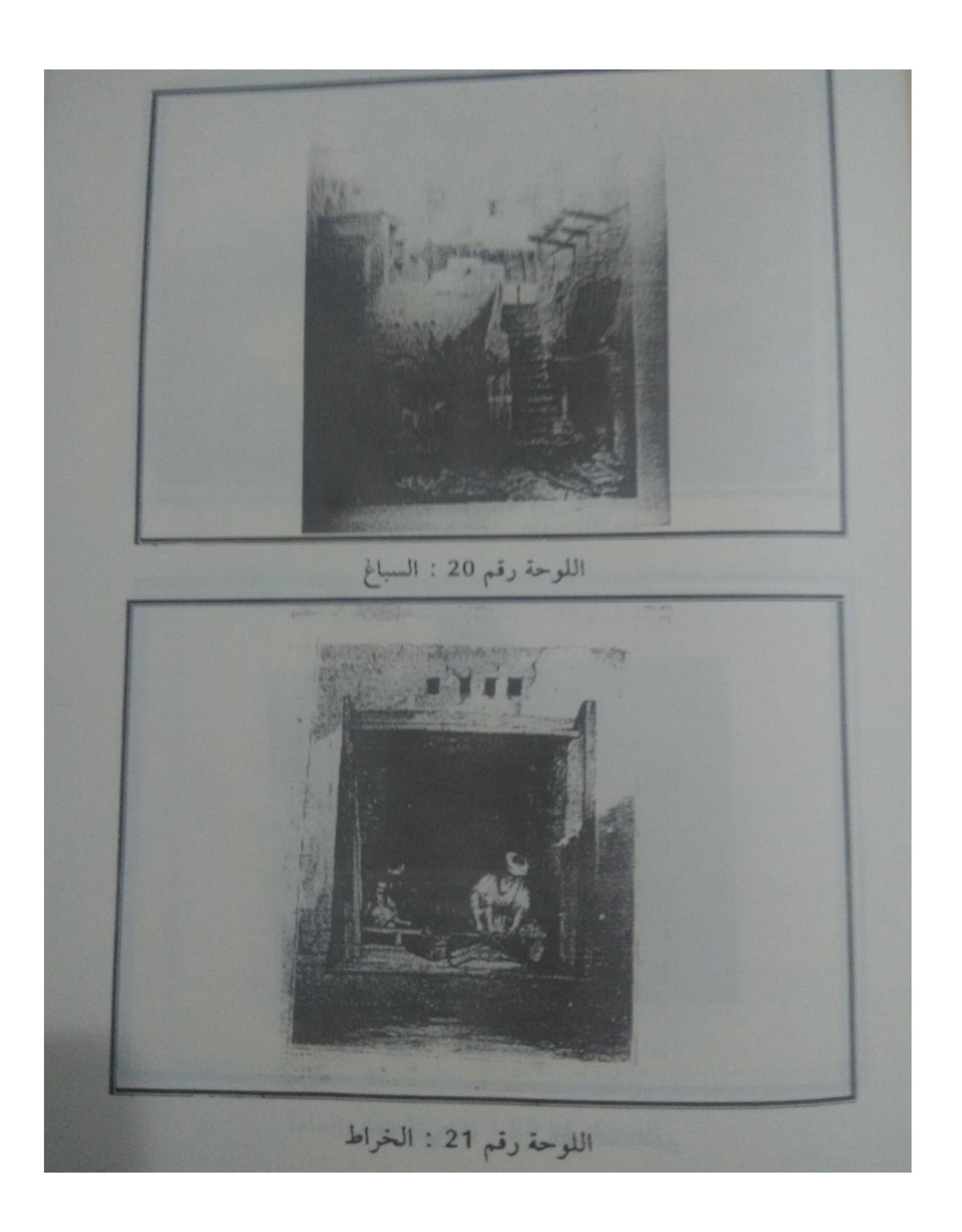
**الملحق رقم : (02)**


اللوحة رقم 14 : الحوانيت

اللوحة رقم 15 : حانوت القصاب

نقلا عن : قانون أسواق مدينة الجزائر ، ص 212.

**الملحق رقم : (03)**



اللوحة رقم 20 : السباغ

اللوحة رقم 21 : الخراط

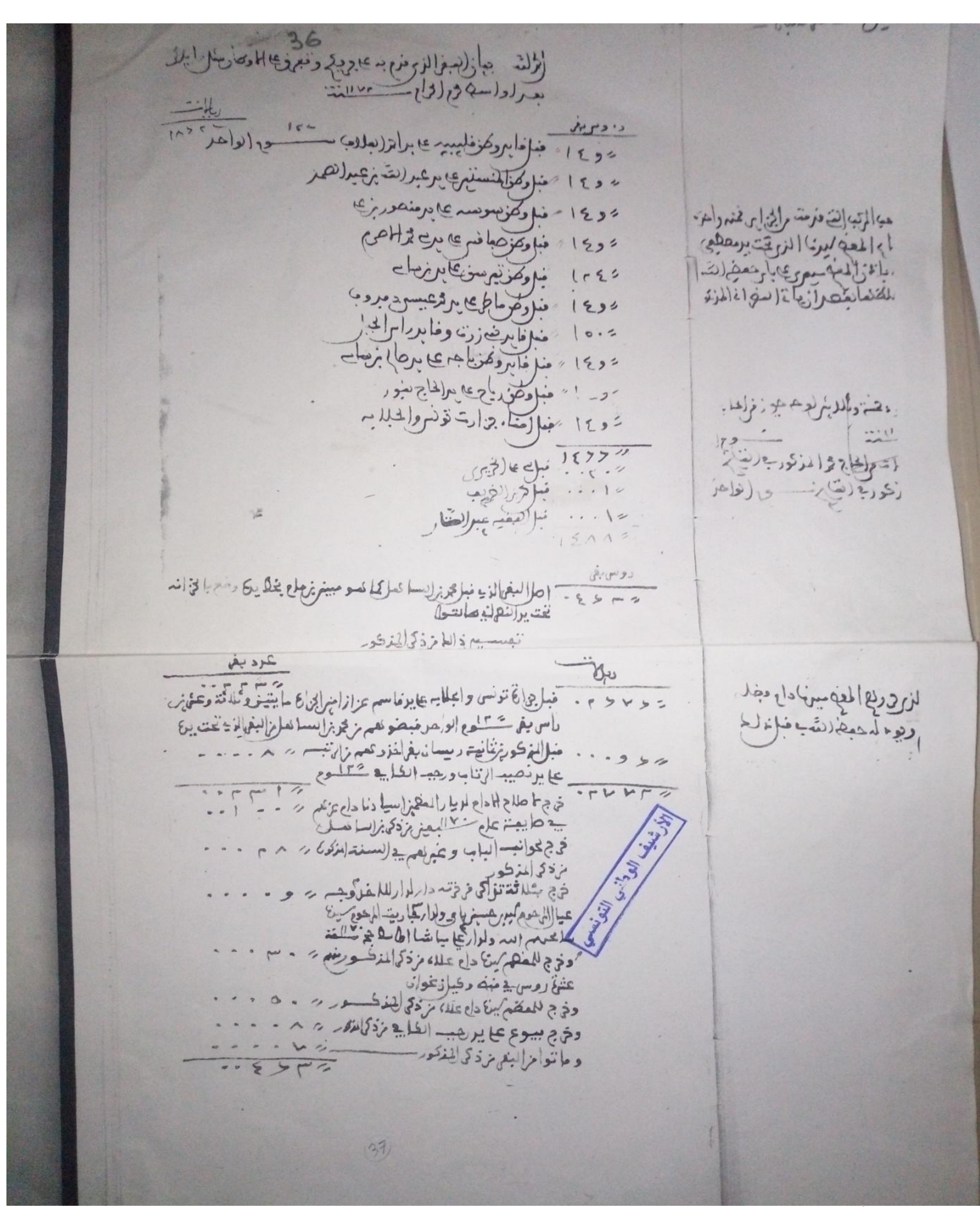
نقلا عن : قانون أسواق مدينة الجزائر ، ص 215.

**الملحق رقم : (04)**



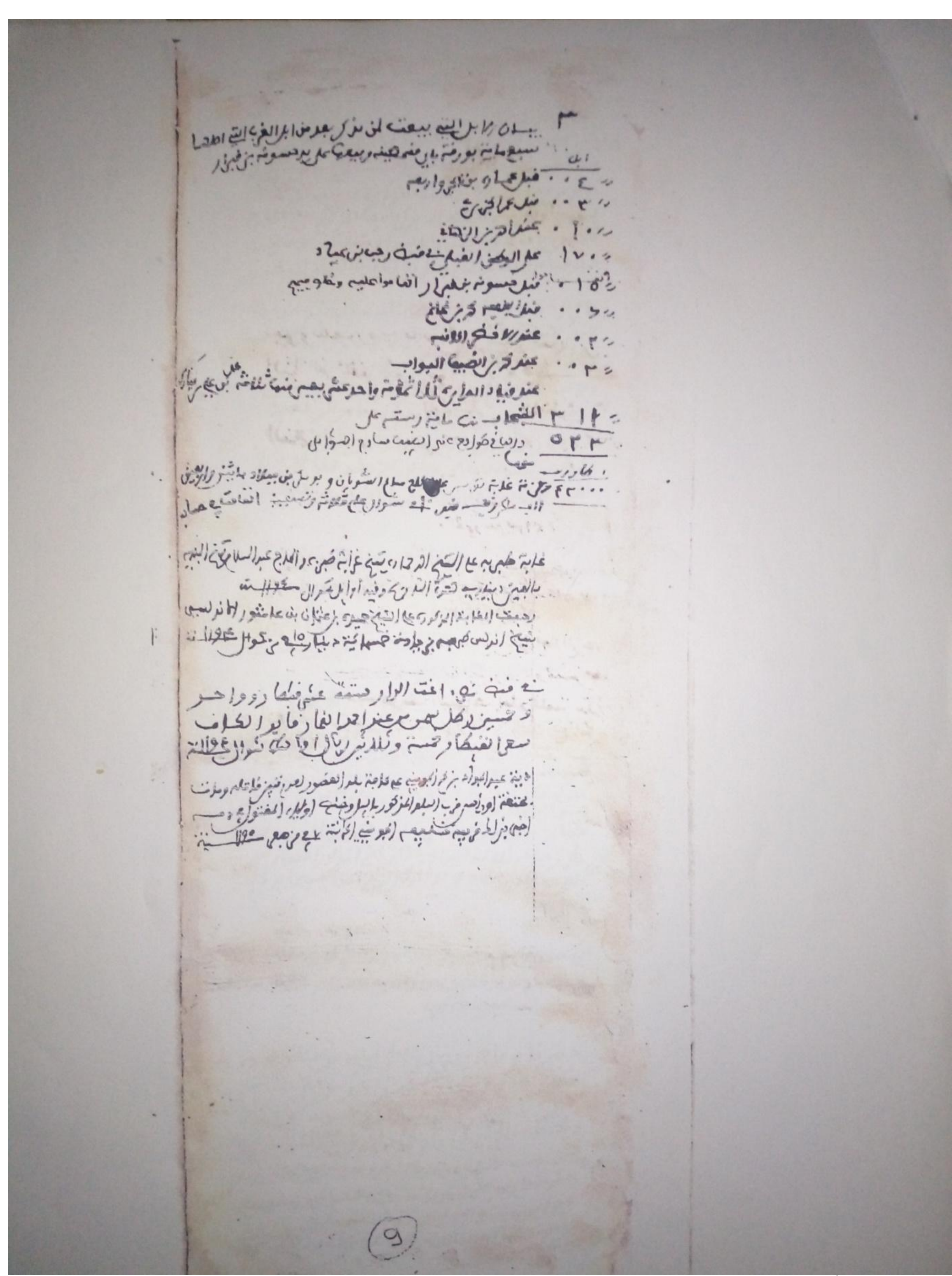

نقلا عن : قانون أسواق مدينة الجزائر ، ص 215.

## الملحق رقم : (05)



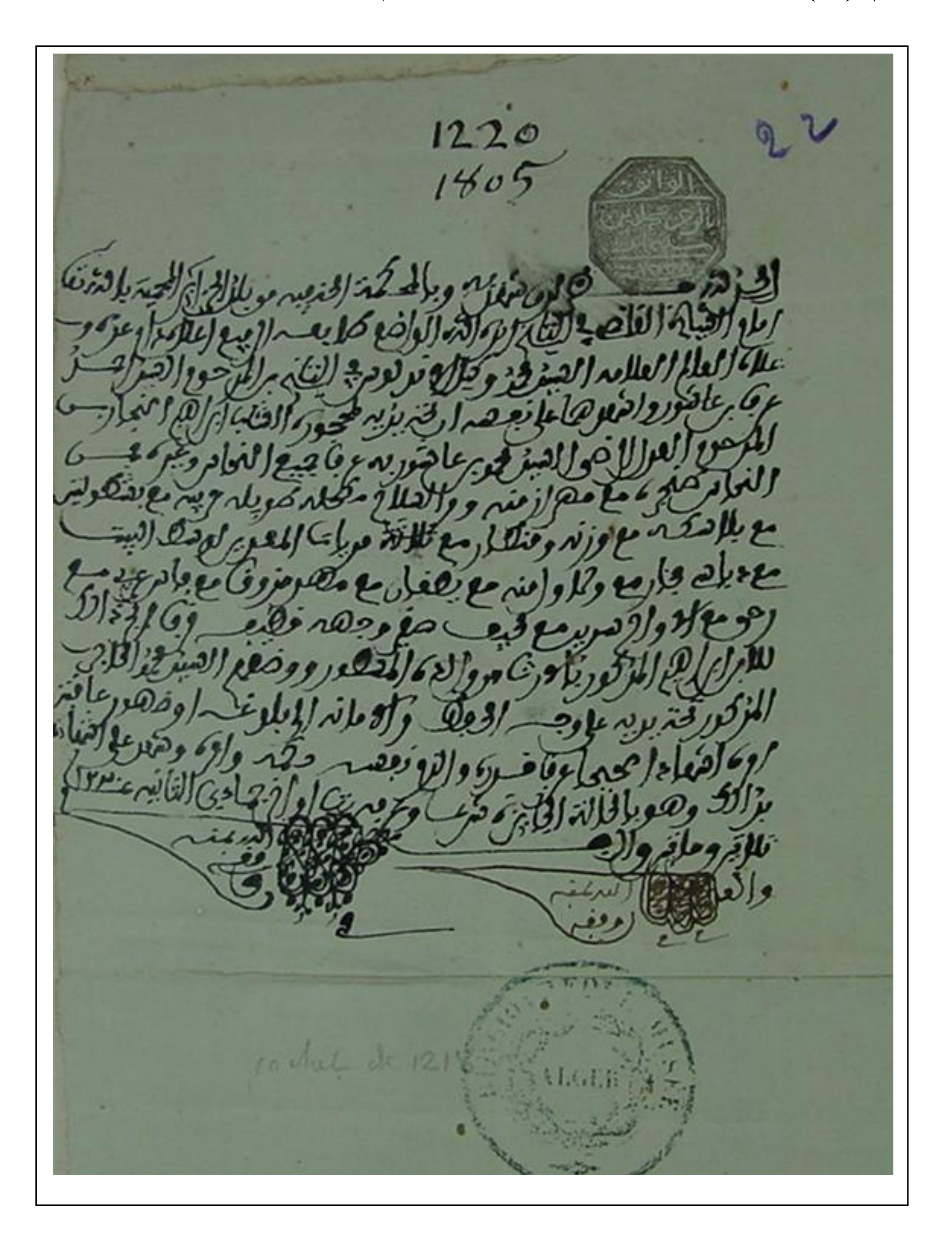
المصدر الأرشيف الوطني التونسي

**الملحق رقم : ( 06)**



المصدر الأرشيف الوطني التونسي

**ملحق رقم (07) : وثيقة من دفتر التركات 1220هـ/1805 م**



1220

1805

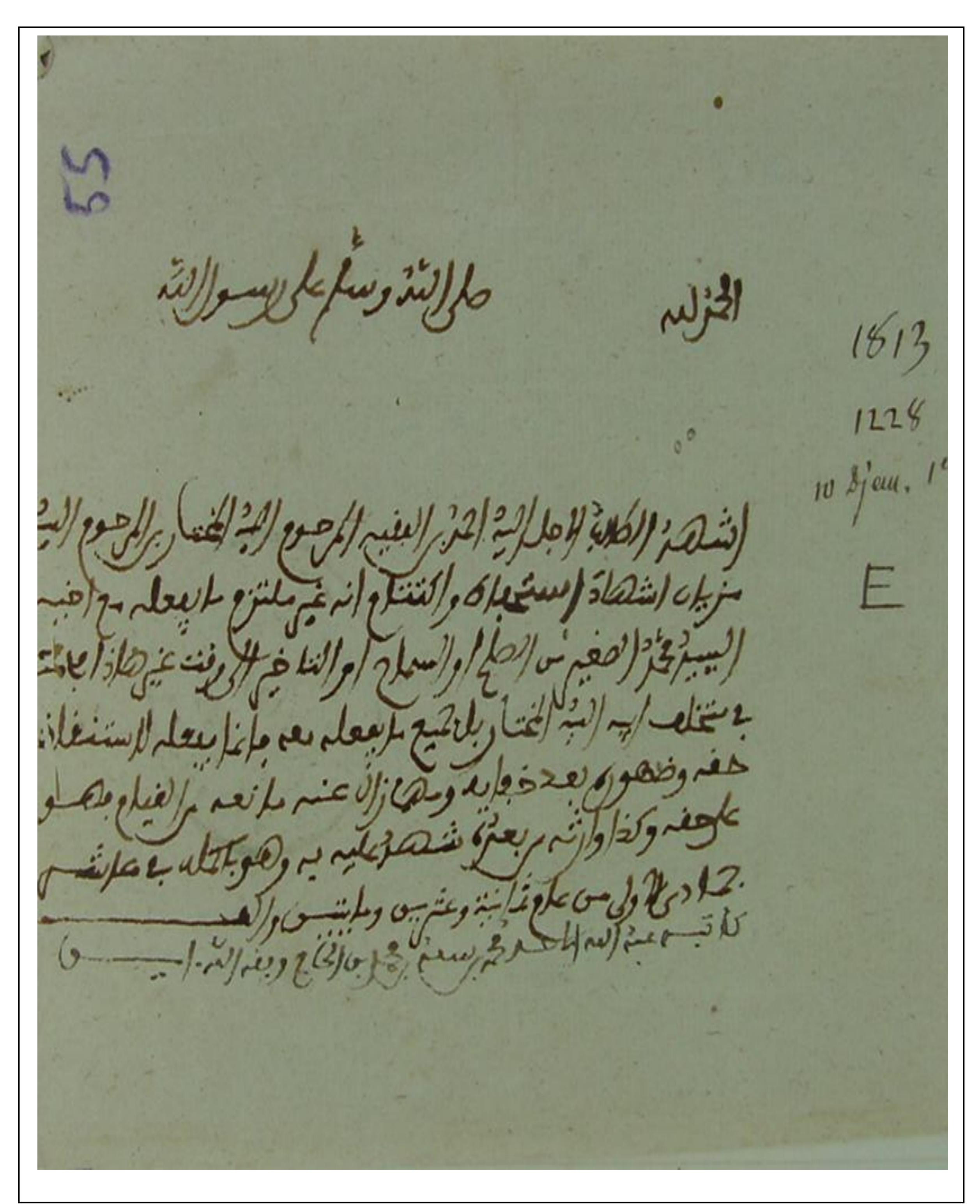
المصدر : المكتبة الوطنية الجزائرية

**الملحق رقم ( 08) : وثيقة من دفتر التركات 1221 هـ /1806 م**


1221 de l'H.
1806
27
E

المصدر : المكتبة الوطنية الجزائرية

**الملحق رقم (09) : وثيقة من دفتر التركات 1228هـ/1813 م**



65

الحمد لله

صلى الله وسلم على رسول الله

1813

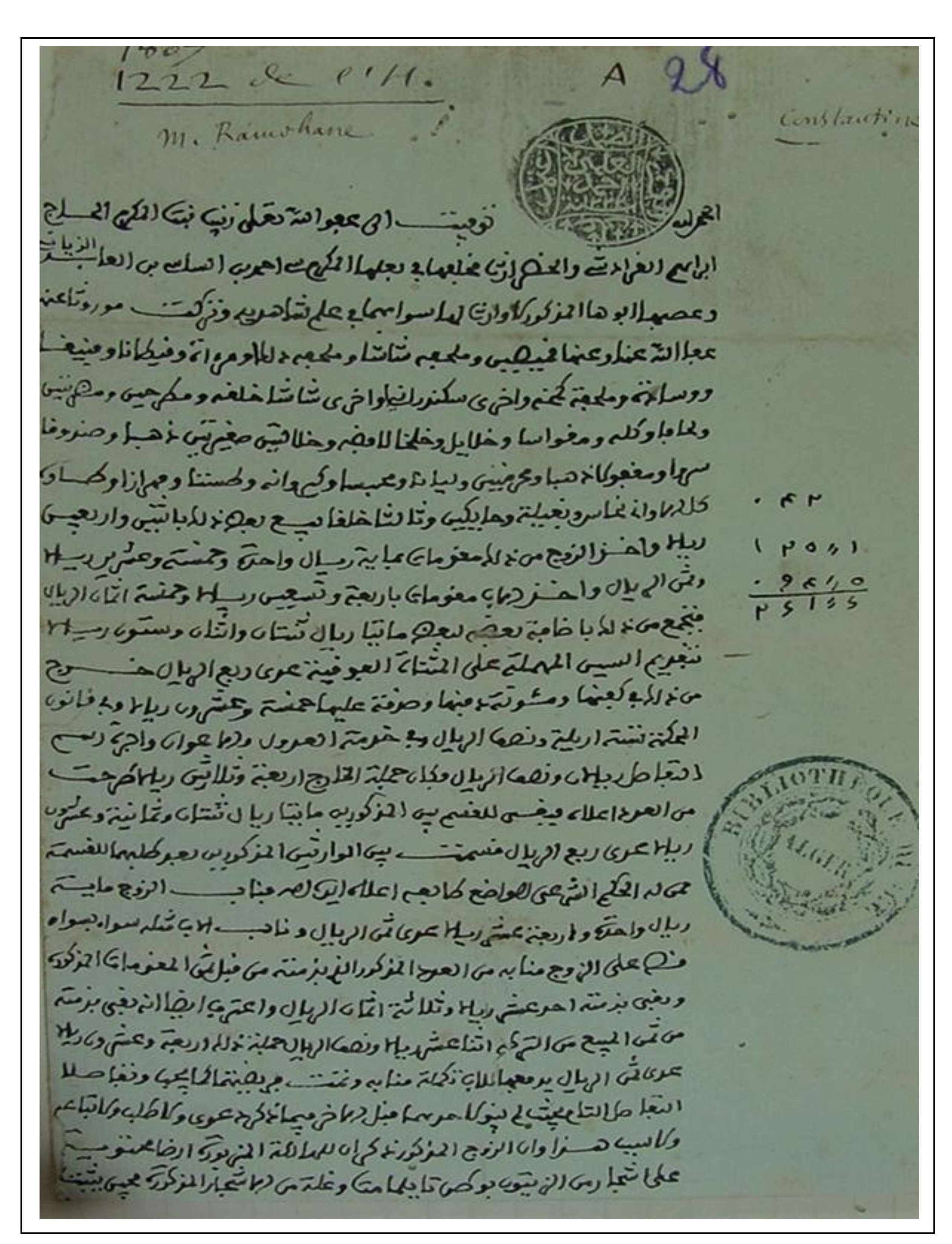
1228

10 Djem. 1

E

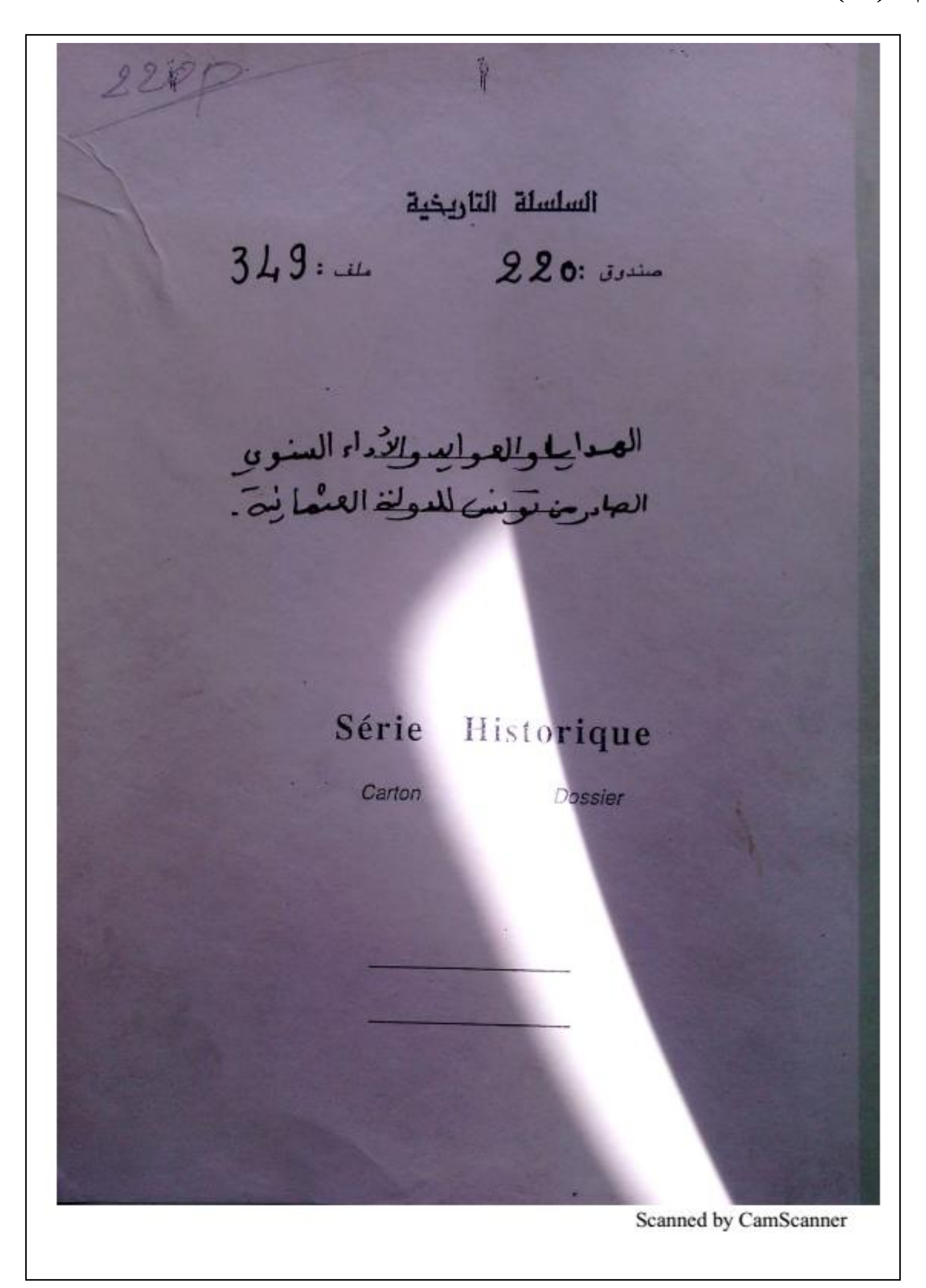
المصدر : المكتبة الوطنية الجزائرية

**الملحق رقم (10) : وثيقة من دفتر التركات 1222 هـ/1807 م**



المصدر : المكتبة الوطنية الجزائرية

**الملحق رقم : (11)**



220p

السلسلة التاريخية

صندوق: 220 ملف: 349

الهدايا والعوائد والأداء السنوي الصادر من تونس للدولة العثمانية.

Série Historique

Carton Dossier



المصدر الأرشيف الوطني التونسي

صورة

فرمان سلطاني صادر الى محمد عزت باشا في احالة قبودانية البحر الى عهدته وضم ايالة الجزاير ايضا مؤرخا في اوائل شهر رجب الفرد سنة ١٢٤٢ هجريه وهذا ترجمته حرفيا:

هـ

الدستور المكرم والمشير المفخم نظام العالم المدبر امور الجمهور بالفكر الثاقب والمتمم مهام الانام بالرأي الصائب الممهد بنيان الدولة والاقبال والمشيد اركان السعادة والاجلال المحفوف بصنوف عواطف الملك الاعلى والي الاناضول ومتصرف انقرة وقره حصار (سابقا) من وجهت الى عهدته هذه المرة بالاحسان قبودانية البحر (بالانضمام) ايالة الجزاير وزيرنا محمد عزت باشا ادام الله تعالى اجلاله

عند وصول التوقيع الهمايوني الرفيع يكون المعلوم حال كنت انت وزيري المشار اليه من وزرائي العظام بكمال الهمة ومن امرائي الفخام ذوي المآثر المرضية وانك بين الوزراء العظام (الكثيرون الحمية) اهل الغيرة وبجميل الخلال ووافر الشجاعة مشهور ومعروف وبتمام الصداقة وحسن الدراية مذكور وموصوف والاستقامة المرضية محلا ومألوف وان ما اجريته الى الان من حركات الصداقة من ابتداء ولايتك فيما وكلت عليه من مهام امور دولتي العلية وخصوصا ما ابرزته من حسن الخدمة بتمام الغيرة وكمال الحمية في امر محافظة بوغاز البحر الاسود من ضفة الاناضول جميع ذلك لدى ملوكانه ظاهر ومعلوم وان ما ستبذله بمشيئة الله ايضا من الان فصاعدا من السعي المشكور ومزيد المقدرة واظهار الخدمات الصادقة والحركات الممدوحة بما يوافق الوقت والحال في حق الدين المبين وبما هو لائق في حق دولتي العلية الابدية الابد وبما هو مطابق لبين مزاجي العالي مأمول ومجزوم وان من يكن وزيرا مثلك مجرب الاطوار ومشهور بالحمية والشجاعة

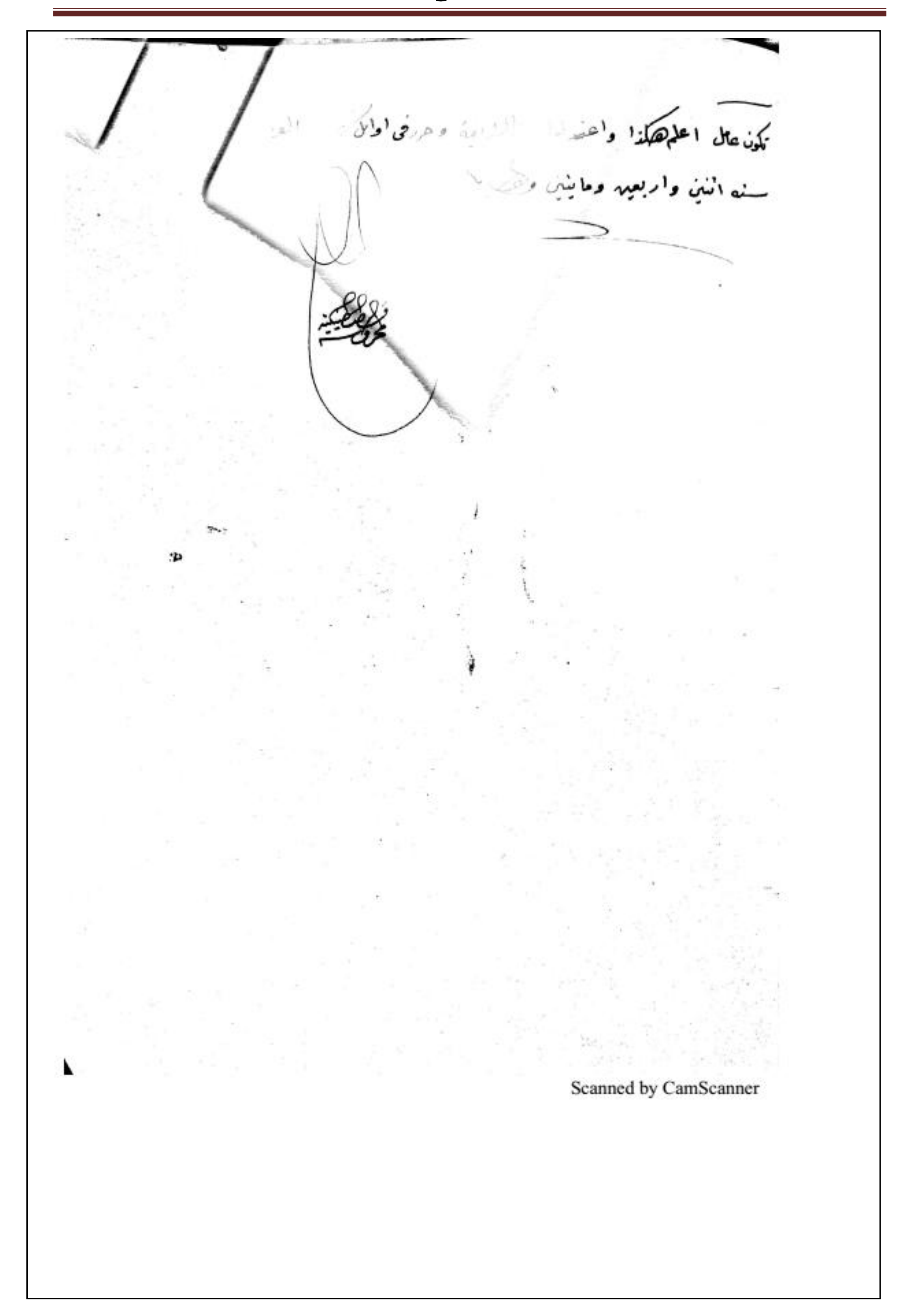
صورة م
فرمان سلطاني صادر الى محمد عزت باشا في احالة قبودانية البحر الى عهدته وضم ايالة الجزاير ايضا مؤرخا في اوايل شهر رجب الفرد سنة ١٢٤٢ هجريه م
، وهذا ترجمته حرفياه

ه

الدستور المكرم والمشير المفخم نظام العالم المدبر امور الجمهور بالفكر الثاقب والمتمم مهام الانام بالرأي الصايب المهد بنيان الدولة والاقبال والمشيد اركان السعادة والاجلال المحفوف بصنوف عواطف الملك الاعلى والي الاناضول ومتصرف سنجاقي انقره وقره حصار من وجهت الى عهدته هذه المرة بالاحسان سابقا قبودانية البحر بانضمام ايالة الجزاير وزيرنا محمد عزت باشا ادام الله تعالى اجلاله م

عند وصول التوقيع الهمايوني الرفيع يكون المعلوم حاكنت انت وزيري المشار اليه من وزرائي العظام اهل الغيرة والحمية الكثيرون الحمية ومن امرائي الفخام ذوي المآثر المرضية وانك بين الوزراء العظام بكمال الهمة ووافر الشجاعة مشهور ومعروف وبتمام الصداقة وحسن الدراية مذكور وموصوف وبجميل الخلق والاستقامة المرضية محلاً ومألوف وان ما اجريته الى الان من حركات الصداقة من ابتداء ولايتك فيما وكلت عليه من مهام امور دولتي العلية وخصوصا ما ابرزته من حسن الخدمة بتمام الغيرة وكمال الحمية في امر محافظة بوغاز البحر الاسود من ضفة الاناضول جميع ذلك لدى ملوكانيتي ظاهر ومعلوم وان ما ستبذله بمشيئة الله ايضا من الان فصاعدا من السعي المشكور وصرف المقدرة واظهار الخدمات الصادقة والحركات الممدوحة بما يوافق الوقت والحال في حق الدين المبين وبما هو لايق في حق دولتي العلية الابدية الابد وبما هو مطابق لميني مزاجي العالي مأمول ومجزوم وان من يكن وزيرا مثلك مجرب الاطوار ومشهور بالحمية والشجاعة

في الاقطار والامصار فان احالة قبودانية البحر اليه من مقتضيات الوقت ولوازم الحالة
وذلك امر حقيقي غير موهوم وقد وجهت الى عهدتك بالاحسان من عواطفي العلية الشاهانية
وعوارفي البهية السلطانية قبودانية البحر وضم ايالة الجزاير لما انك لها اهلا ولياقةً وقد
اصدرت بذلك صحيفة الشرف الموشحة بالمقرون بالعناية خطي الهمايوني وبناء على ما هو منتجة
فيك من جوهر الصداقة والصلابة وعلى مقتضى ما هو مشهود فيك من كمال الروية وحسن الدراية
ان تجري الحركة والعمل فيما هو مفوض الى لياقتك وفيما هو محال الى عهدتك وهنك من القبودانية
ومتفرعاتها وكافة المهام الواجبة الاهتمام والخصوصيات اللازمة الافتراغ حسب ما يوجبه
الوقت وتقتضيه المصلحة وتبذل الهمة والحمية في تادية وظيفتك وتسوية امورها على وفق
المراد حتى تكون ترسانتي العامرة على الدوام منتظمة الاحوال وتجتهد في تعمير وتوفير سفن الاسطول
الهمايوني وتبذل كل ما في وسعك من المقدرة في خصوص ترتيب وتنظيم الاسطول الهمايوني المصمم
على اخراجه ان شاء الله تعالى في الربيع القادم حتى يكون في ذلك الوقت مستكمل المعدات
ومستتم اللوازم والمهمات والحاصل انك تصرف كل الجهد وكمال الاجتهاد في ادارة اصول
وفروع مأموريتك على النحو اللائق بما هو للوقت والمصلحة مناسب وموافق ثم تبذل كل المكنة
والسعي والغيرة للحصول على الاسباب الموجبة لاتمام مهام الدولة والامة بما يليق في حق الدين
والرعية واني قد امرتك بجميع ذلك واصدرت امري هذا الجليل القدر وقد ارسل اليك وبطيه
الاحكام المنظمة في خصوص مأموريتك فالآن المأمول منك لدى علمك بالكيفية تجري
الحركة والعمل كما هو محرر ومن الآن فصاعدا تسعى في اظهار ما انت مشهور به من الغيرة والحمية
والدراية والروية في حسن تسوية الامور ومصالح الخاص والجمهور حتى تنال زيادة توجهي
الملوكانية الكريمة الغاية وقد اصدرت فرماني العالي الشان في هذا الباب وقد امرتك بانه
لدى وصول صحيفة الشرف الصادرة بالفرمان العالي الشان على الوجه المشروح في هذا الباب
فالواجب اتباعه فاللازم امتثاله وعلى مقتضى المقرون بالطاعة مضمونه العالي



(٥)

٧ شعبان – ١٢٤٢

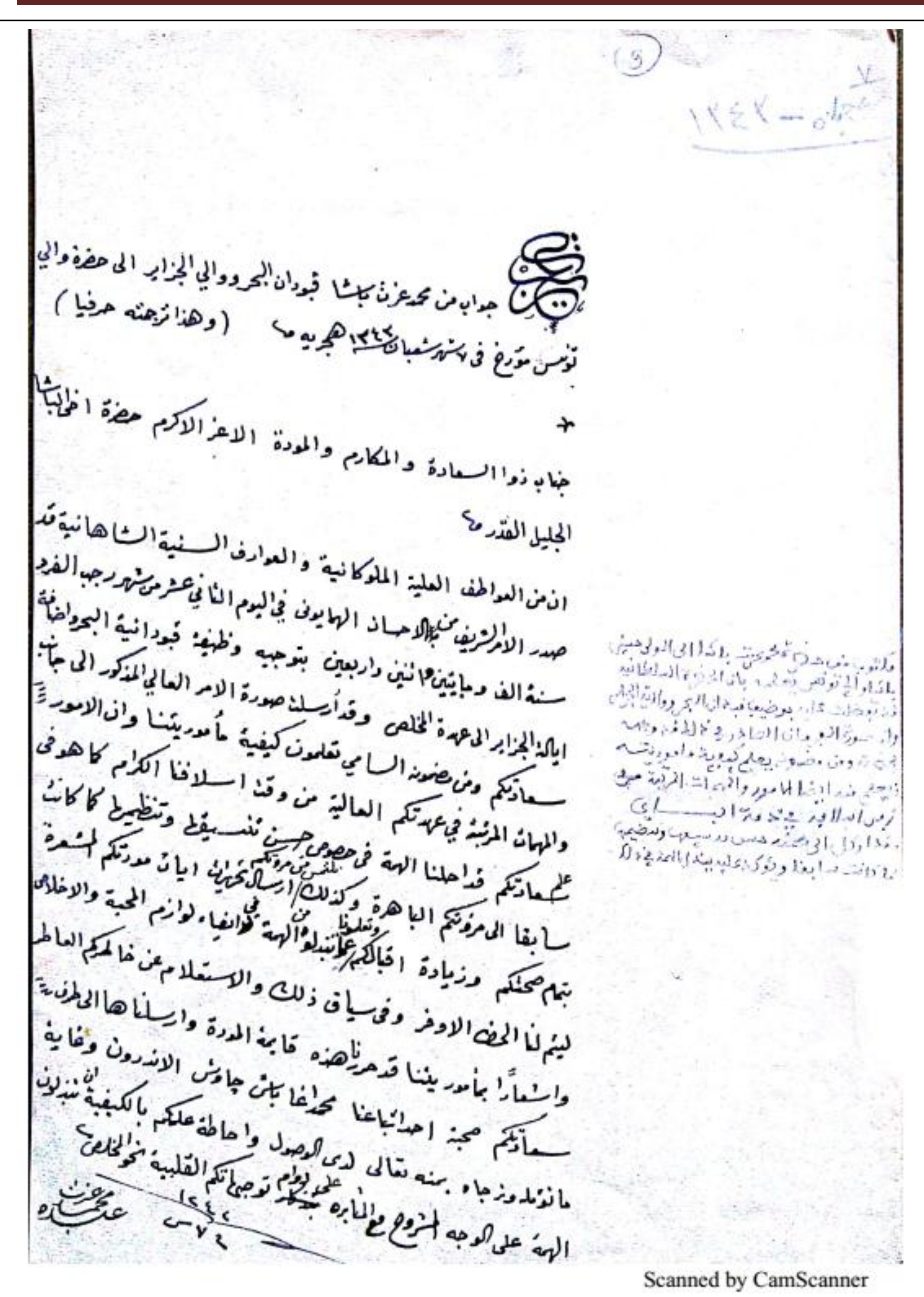
جواب من محمد عزت باشا قبودان البحر ووالي الجزاير الى حضرة والي تونس مورخ في ٧ شهر شعبان ١٢٤٢ هجريه (وهذا ترجمته حرفيا)

جناب ذوا السعادة والمكارم والمودة الاعز الاكرم حضرة اخي الباشا الجليل القدر

ان من العواطف العلية الملوكانية والعوارف السنية الشاهانية قد صدر الامر الشريف من بالاحسان الهمايوني في اليوم الثاني عشر من شهر رجب الفرد سنة الف ومايتين واثنين واربعين بتوجيه وظيفة قبودانية البحر واضافة ايالة الجزاير الى عهدة المخلص وقد ارسلت صورة الامر العالي المذكور الى جانب سعادتكم ومن مضمونه السامي تعلمون كيفية مأموريتنا وان الامور والمهمات المرتبة في عهدتكم العالية من وقت اسلافنا الكرام كما هو في علم سعادتكم قد احلنا الهمة في خصوص حسن تنسيقها وتنظيمها كما كانت سابقا الى مروتكم الباهرة وكذلك ارسال تحريرات ايات مودتكم المشعرة بتمام صحتكم وزيادة اقبالكم على ان تبذلوا الهمة في ايفاء لوازم المحبة والاخلاص ليتم لنا الحظ الاوفر وفي سياق ذلك والاستعلام عن خاطركم العاطر قد حررنا هذه قايمة المودة وارسلناها الى طرف سعادتكم صحبة احد اتباعنا محمد اغا باش جاوش الاندرون وغاية ما نؤمله ونرجاه بمنه تعالى لدى الوصول واحاطة علمكم بالكيفية ان تبذلون الهمة على الوجه المرموح مع المثابرة على دوام توجهاتكم القلبية نحو المخلص

عبده محمد عزت

٧ ش ١٢٤٢



(5)

1242

جواب من محمد عزت باشا قبودان البحر ووالي الجزاير الى حضرة والي (وهذا ترجمته حرفيا)
تونس مؤرخ في 2 شهر شعبان سنة 1242 هجريه

جناب ذو السعادة والمكارم والمودة الاعز الاكرم حضرة اخي الباشا الجليل القدر

ان من العواطف العلية الملوكانية والعوارف السنية الشاهانية قد صدر الامر الشريف من الاحسان الهمايوني في اليوم الثاني عشر من شهر رجب الفرد سنة الف ومايتين واثنين واربعين بتوجيه وظيفة قبودانية البحر واضافة ايالة الجزاير الى عهدة المخلص وقد ارسلنا صورة الامر العالي المذكور الى جانب سعادتكم ومن مضمونه السامي تعلمون كيفية مأموريتنا وان الامور والمهمات المرتبة في عهدتكم العالية من وقت اسلافنا الكرام كما هو في علم سعادتكم قد احلنا الهمة في خصوص حسن تنسيقها وتنظيمها كما كانت سابقا الى مروتكم الباهرة وكذلك يلتمس من مروتكم ارسال تحريرات ايان مودتكم المشعرة بتمام صحتكم وزيادة اقبالكم وتعلمونا ما تبدلوه الهمة من عوائد لوازم المحبة والاخلاص ليتم لنا الحظ الاوفر وفي سياق ذلك والاستعلام عن خاطركم العاطر ارسلناها الى طرف سعادتكم صحبة احد اتباعنا محمد اغا باش جاوش الاندرون وغاية ما نؤمله ونرجاه منه تعالى لدى الوصول واحاطة علمكم بالكيفية ان تبذلون الهمة على الوجه المزوج مع المابره ... على دوام توجهاتكم القلبية نحو المخلص

عبده محمد عزت

2 س 1242



# فهرس الموضوعات

**الملخص:**

يعد موضوع السلطة والنشاط الحرفي في الجزائر خلال فترة الدايات1671م -1830م، من المواضيع المهمة في تاريخ الجزائر الحديث، خاصة وأن النشاط الحرفي يعتبر إحدى العناصر المهمة في إقتصاد البلاد، لما له من دور مهم في توفير مختلف المنتوجات والخدمات للمجتمع، وتنشيط حركة التجارة الداخلية والخارجية، ولما له من دور في توفير المداخيل المالية لخزينة السلطة .لذلك حاولنا إبراز العلاقة التي كانت سائدة بين السلطة والنشاط الحرفي خلال هذه الفترة، وذلك من خلال تقسيم موضوعه إلى مدخل يتناول الأوضاع العامة للجزائر خلال فترة الدايات، فصل أول يتناول طبيعة السلطة السياسية في الجزائر خلال هذه الفترة، أما الفصل الثاني فيتناول طريقة تنظيم النشاط الحرفي، عكس ما روجت له بعض الكتابات الأجنبية التي بينت أن هذا النشاط إفتقد إلى التنظيم، أما الفصل الثالث فعالج العلاقة بين السلطة والنشاط الحرفي .إذ بيّنا الدورالذي لعبته السلطة في تنظيم هذا النشاط وهل فعلا إستطاعت أن تطوره وترتقي به وتحوله إلى صناعات متطورة مثلما حصل في العديد من دول أوربا .

**كلمات المفتاحية:**النشاط الحرفي ـ فترة الدايات ـ السلطة ـ الجماعات الحرفية ـ المؤسسات الحرفية ـ النظام الضريبي .

**Abstract:**

The subject of power and artisanal activity in Algeria during the dayat,is one of the Important topics in Algeria’s recent history,especially since literal activity is considered an important element in the country’s economy,so we tried to show the relationship that prevailed between power and artisanal activity during this period, by dividing the subject of research into an entry that deals the general conditions of Algeria during the dayat period. A first chapter dealing with the nature of political power, a second chapter dealing with the method of organizing artisanal activity. A third chapter deals with the role of the authority in organizing this activity ,and has it been able to develop it like many countries?

**Key words**:Artisanal activit, period of dayat, power, craft group, tax system.

# ملخص

يعد موضوع السلطة و النشاط الحرفي في الجزائر خلال فترة الدايات 1671م-1830م. من المواضيع المهمة في تاريخ الجزائر الحديث، خاصة و أن النشاط الحرفي يعتبر إحدى العناصر المهمة في اقتصاد البلاد، لما له من دور مهم في توفير مختلف المنتوجات و الخدمات للمجتمع، و تنشيط حركة التجارة الداخلية و الخارجية، و لما له من دور في توفير المداخيل المالية لخزينة السلطة، لذلك حاولنا إبراز العلاقة التي كانت سائدة بين السلطة و النشاط الحرفي حلال هذه الفترة، و ذلك من خلال تقسيم موضوعه إلى مدخل يتناول الأوضاع العامة للجزائر خلال فترة الدايات، فصل أول يتناول طبيعة السلطة السياسية في الجزائر خلال هذه الفترة، أما الفصل الثاني فيتناول طريقة تنظيم النشاط الحرفي، عكس ما روجت له بعض الكتابات الأجنبية التي بينت أن هذا النشاط افتقد إلى التنظيم، أما الفصل الثالث فعالج العلاقة بين السلطة و النشاط الحرفي. إذ بينا الدور الذي لعبته السلطة في تنظيم هذا النشاط و هل فعلا استطاعت أن تطوره و ترتقي به و تحوله إلى صناعات متطورة مثلما حصل في العديد من الدول أوروبا.



## الكلمات مفتاحية:

النشاط الحرفي؛ فترة الدايات؛ السلطة؛ الجماعات الحرفية؛ المؤسسات الحرفية؛ النظام الضريبي؛ الأوضاع الاجتماعية؛ الأوضاع الاقتصادية؛ الحرف العسكرية؛ الحرفيين.

**نوقشت يوم 28 أكتوبر 2020**